

تحية استقبال

بقلم

محمود تيمور

لهذه المجلة ، مع طلائع الأدباء فى ميدان القصة ، تاريخ !

فى أول جزء من المجلة ، وفى فاتحة الجزء ، قلت :

« كما تعتز المجلة بأن تعرض من الأعمال القصصية ثمرات ناضجة ، لأقلام متمرسة ، لها تجارب موفقة ، فان المجلة كذلك يسرها أن تحتفى بما تتمخض عنه قرائح الشباب من قصص فيها مخايل مبشرة ، وبواكير واعدة ... »

ولم يكن هذا مجرد قول ، ولكنه كان موعدة لم ندخر وسعا فى انجازها ، وخطة لم نتوان قط فى انفاذها ...

توسلنا الى ذلك بوسيلتين :

الأولى ، الاحتفاء بما يرد المجلة من قصص أدباء الطلائع ، وانتقاء ما يصلح منها للنشر .

والأخرى ، التعقيب على بعض القصص الواردة التى لم تنشر ، فى حديث بين المجلة والقراء .

وعلى هذا لم يخرج جزء من هذه المجلة الا كان لأدباء الطلائع فيه حظ موفور .

وفى بدء العام الثانى للمجلة ، قلت فى مستهل الجزء الثالث عشر :

« **فى الحق أن محاولات الطلائع فى ميدان القصة تتيح الفرصة لهم أن يعبروا عن استجاباتهم الخاصة لما يستقبلون من شئون الحياة الحاضرة ، ولما يشهدون من مشكلات المجتمع الحديث ، مما لا يتيسر لمن علت بهم السن ، وتراكمت عليهم تجارب العيش ، واختلفت أمام أعينهم آفاق النظر . فللنفوس الغضة حيوية ، وللوجدان المشبوب حرارة ، وللطاقات الجديدة نزوع . وكل أولئك جدير أن يتمخض عن خلق فنى جديد وما أحوجنا مع حكمة الشيوخة بما لها من أصالة ومرانة وعمق ، الى توهج الشبيبة بما لها من جدة وتطلع وانتفاض ...** »

وايماننا بهذا ، هو الذى حدانا اليوم أن نعبر عن اهتمامنا بأدب الطلائع على نحو أبعد مدى ، وأعمق غورا .

ولم نجد لتعبيرنا أقوم من تلك الصيغة التى أخرجنا بها هذا الجزء الذى يراه القارىء بين يديه :

أفردناه لقصص جرت بها أقلام كتاب من الطلائع ، بلغت تجاربهم درجة مقبولة من النضج والامتياز .

وفوق ذلك ، لم نشأ أن نسرد قصصهم سردا دون تعريف وتقديم ، فقد أقمنا لهم من هذا الجزء من المجلة مثابة تعارف ، ومجال استقبال .. ومن مراسم الاستقبال أن يقدم الضيف ، وأن يعرف به . بيد أننا لم ننح فى التقديم والتعريف منحى المجاملة والتكريم ، فى غير قصد واعتدال ، بل آثرنا أن نجعل ذلك سبيلا الى تقويم وتقدير وتوجيه .

لقد انتدب صفوة من أحرار النقاد لقراءة القصص التى أعدت للنشر فى هذا الجزء ، فتولوا نقدها ، بالابانة عما تحلت به من براعة ومهارة ، والاشارة الى ما عسى أن يساق عليها من مآخذ وملاحظات .

وربما كان صنيعنا هذا تجربة وليدة لم تعهد فى صحافتنا الأدبية عامة والقصصية خاصة من قبل ، فاذا كان لها من الأثر ما ابتغيناه منها فى الخلاص ، فرجاؤنا أن نعاود التجربة غير مرة ، وأن نستدرك ماتسفر عنه المحاولة ــ ان كانت تسفر ــ عن تقصير .

ولئن وجب علينا أن نشكر لزملائنا النقاد ما أسهموا به من جهد ، ان الشكر أوجب لأولئك الكتاب الطلائعيين الذين وافونا بثمرات قرائحهم ، وأتاحوا لنا أن نتعرف اليهم ، وننوه بهم ، مرتقبين لهم ــ فى فخر واعتزاز ــ غدا مشرقا يبعث على تفاؤل واستبشار..

محمود تيمور



لست انسانا معقدا كما يحسبني الناس ... أبدا ... المسألة أبسط مما يتصورونها ليس هذا الفزع الذى يفزعهم ... وليست تلك الرغبات التى تمتص واعيتى .. تمتص وجودى المعنوى .. ليست نتيجة لطبيعة شائكة غامضة .. والسبب كما قلت بسيط هو اننى اكتشفت فى وقت مبكر من حياتى ... مبكر جدا .. ان لاشيء فى الدنيا يستحق أن يثيرنى .. وكل شيء تافه لدرجة تبعث الاكتئاب ... لذلك صرفت الانتباه عن كل شيء .. لذلك أرقب الاشياء بلا مبالاه .. بعينين فارغتين... كأنهما بحيرتان فارغتان .. لو كانتا مليئتين بالملاله ... بالضجر.. بالسآمة ... لكان هناك اهتمام ... وفى أواخر أيام ابى .. نظر الى نظرة طويلة حادة ... واغمض عينيه لحظة بامتعاض فصرفت النظر عنه ارقب أشياء تسبح فى السماء ، لم احب أن اعرف ما هى ... وقال

الشباك

قصة : ضياء الشرقاوى

ـ استمع يا بنى ... ستقتل نفسك فى أقرب وقت ...
وصمت كأنه ينتظر ردا منى ... قلت : ـ
ـ حسنا
وارتسمت خطوط كثيرة على جبهته.. وامعن النظر فى بدهشة .. ثم قال
ـ أنت انسان مفزع
وصمت مرة أخرى ينتظر ردا على ما أعتقد .. ولم اهتم بالاجابة .. وواصل هو قائلا
ـ لذلك ... ستقتل نفسك ... يجب أن ..
ورأيت اناسا يجرون ويصرخون .. وصرخ أبى .. واغمض عينه ثم قال
ـ سأذهب لارى .. انك تقتل نفسك .. امتلىء بعقيدة ثم بصق بشكل مزر وقال وهو ينصرف
ـ انسان بلا عقيدة ... بلا عقيدة .. ستقتل نفسك .
لا أدرى كيف امتلأ رأسى بأزيز منتظم .. ازيز عجلات القطار ... ثم شعرت بيد تهزنى برفق ونظرت اليها.. وبادرتنى قائلة
ـ هل انت مريض ياسيدى ؟
وكان هناك بائع كازوزة يصرخ .. وطفل يدق الارض بقدميه ..وسمعتها تقول :
ـ خذ جريدتك لقد وقعت منك ولم تحس
كانت جارتى .. ورأيتها تضحك.. كانت صغيرة .. مثل لؤلؤة ليست بالغة الكمال .. والتوهج كلما رأيت تمثالا له انف رومانية اضغط عليه بيدى لكى اكسره ... ووجهها مستدير ... مثل وجه امى .. لذلك حملقت فيها ..

وشعرت بالتقزز فجأة منها .. لقد لمحت زغبا اصفر خفيفا فوق شفتها العليا .. خفيفا جدا..وشددت اصبعى القوى كحربة لكى ادفعه فى جنبها بغيظ ...

ومرة أخرى هزتنى قائلة :
ـ كلم
ونظرت الى الرجل الذى تشير نحوه وقال لى .
ـ تذاكر
فضحكت واعطيته التذكرة فثقبها كلعبة سقيمة يزاولها هذا المخلوق .. لعبة سقيمة .. يثقب التذاكر ... هذا عمله ... وضحكت .. ضحكت منه ... منظره بائس لا يدعو للاهتمام ليس عملاقا .. وليس قزما .. وجهه عادى .. ليس له انف مثير للحنق كحبة البطاطس واسنانه عليها سحب صفراء.. لو كان مثل الشاعر الدانمركى هانز كريستيان آندرسن لاثار ضحك الفتاة الصغيرة التى بجانبى .. طويلا نحيفا له اطراف بالغة الطول .. ولكنه ليس كذلك .. **وعادت هى الى الثرثرة**

ـ خذ تذكرتك

ـ ان الحرب فى كوريا دخلت عامها الثانى .. ان الامور تسير بطريقة مضحكة .. اليس كذلك ؟ ... كم قتيلا صرعوا هناك حتى الآن ؟ .. مليون .. مليون تقريبا .. لن يقلوا عن ذلك .. الا يفعل العالم شيئا لايقاف تلك المجزرة .. وحشية .. هل انت موافق على استمرار تلك المجزرة اطول من ذلك ؟ .

وصمتت هذه المرة فى عناد منتظرة اجابة .. وهززت رأسى .. فصرخت

ـ يا الهي .. هل انت موافق على تلك المجزرة ؟

لقد هـــزت رأسى فقط .. شيء غريب أيتها الغراب .. لو كنت عجوزا شمطاء تثيرين الضـــحك لكـان ذلك افضل ..

قالت :

ـ استمع الى .. الا تدرى انه من الممكن أن تؤدى هذه الحرب الى حـــرب عالمية ثالثة ؟ .. اليس من الجائز ذلك ؟

وصاحت بحنق :

ـ أجب ...

اجبت

ـ ربما

ـ اذن لماذا يقف العالم هكذا صامتا ؟

وقاطعتها

ـ صه ... هذا حديث غير لائق .

قالت باحتجاج

ـ غير لائق ؟

ـ تحدثى عن آخر مودات الفساتين .. هذا انسب لك

ـ وهل تعرف انت فى الفساتين حتى احدثك عن آخر موداتها ؟

وصاحت بعد مدة

ـ اجب

ـ هذا أفضل

ـ هل تعرف فى الفساتين ؟

ـ هذا من الانسب

قالت باهتياج

ـ ما عملك ؟ .. ترزى سيدات ...

ـ لا . ولا افهم فى الفساتين

ـ اذن كيف ستفهم ؟

« لاضرورة لان افهم ما تقولين .. كل همى أن الحظ اسنانك الصغيرة البيضاء ايتها الغبية . »

سألتنى

ـ أين ستنزل ؟

ـ هل أنت تلميذة .

ـ طالبة بكلية الآداب جامعة القاهرة. ومسافرة الى بلدتى لكى أرى أهلى .. لم ارهم منذ شهرين تقريبا .. الدنيـا فى خطر .. والامتحانات اقتربت.. نسيت أن أقول لك انى فى السنة الثالثة ـ قسم فرنساوى ـ اللغة الفرنسية .. لغة حية ... ما عملك يا سيدى ؟

ـ لقد احترقت طائرة ومات كل من بها ماعدا الطيار .

واهتزت كأن نجاة الطيار معجـــزة غريبة لا تحدث مطلقا ..

وصاحت

ـ الطيار فقط ..

ـ فقط ..

ـ لماذا ؟ .. ماذا فعل ؟ ..

ـ لا ادرى .. لقد قـــرأت ذلك فى الجريدة .. العنوان فقط

ـ فى جريدة اليوم ؟

ـ اريد أن أنام ..

ـ أين ستنزل لكى اوقظك ؟

ـ فى بور سعيد ..

ـ معى .. حسنا

واسندت رأسى الى حائط العربة .. وتركت عينى مفتوحتين .. وعاد الازيز **للتسرب الى رأسى .. كخيط متصل.. ونقلنى بعيدا .. وهـزتنى الحمقـــاء الصغيرة .. وقالت**

ـ اسمع .. لماذا لم تنم ... ؟

ونظـــرت اليها .. الى اســـنانها البيضاء .. ولمحـت الزغب الاصـــفر الشاحب فوق شفتها العليا .. وواصلت هى

– هل انت مريض .. ؟
– لا .. تحدثي في كل شيء .. تحدثي ..
– في أي شيء ... ؟
– في أي شيء يخطر لرأسك
– آه .. هل انت لا رأى لك في مشكلة كوريا ؟
– انت تدرسين اللغة الفرنسية ؟
– يا الهي ..

وظلت تثرثر لحظة طويلة طويلة .. واخذت أهز رأسي لاسئلتها الكثيرة التي لم اع منها شيئا فقد سرحت بعيدا عنها ... وعند ما هبطنا في محطة بور سعيد .. امسكت بذراعي وهي تبتسم في ود وتلتصق بي .. قالت

– حسنا .. انك انسان على مستوى رفيع من التفكير .. انك انسان توافقني على آرائي السياسية .. اغلب الناس يخالفونني فيها .. اني معجبة بك يا سيدي – اين تسكن حتى ازورك قبل أن ارجع الى القاهرة ..

ودفعت اليها بكارت فيه عنواني واسمي ...

في المساء – مساء نفس اليوم قدمت الصغيرة .. وفتحت لها الباب وكانت تبتسم فوقفت لحظة ثم اندفعت الى الداخل ... وقالت

– اتسكن في كل هذه الشقة بمفردك .. ؟
– بمفردي
– لقد اتيت لك في نفس اليوم
وحينما لم اجبها قالت :
– أيسوؤك هذا ؟
– لا

– لا اخفى عليك اعجابي بك .. اعجابي الشديد
– لا ادرى ما معنى الضمير الثقافي الذى كان يقول عنه اندريه جيد ..
– الاديب الفرنسي
– آه
– في الحقيقة يعني اشياء كثيرة .. ولو انني لست متتبعة فلسفة هذا الرجل .. ولكن بديهيا فانه يعني ..

واخذت احملق في اسنانها البيضاء.. ووجهها الذى يشبه وجه امي .. وكان هواء البحر يملأ الغرفة رطبا منعشا له رائحة خاصة .. وتنبهت الى كلماتها الاخيرة ..

– وهذا الضمير الثقافي يخدم قضية السلام .. اليس كذلك ؟

وهززت رأسي فلم اكن متتبعا لثرثرتها ..

قالت

– ان آراءك هي نفس ارائي .. وهذا حسن .. كأنني عثرت على لؤلؤة ثمينة .. الكل .. ليس الكل بالتحديد .. يخالفونني .. ويناقشونني بدرجة قاتلة ..
– سأصنع شايا .
– دعني اصنعه انا .
– حسنا .. هناك المطبخ .. اذهبي واصنعي لنا كوبين .. كل شيء عندك هناك

ورمقتني بابتسام وهمست

– كم انا معجبة بك؟..شيء غريب.. غريب .
– ماهو هذا الشيء الغريب ؟
– مسألة اعجابي



● ودفعت اليها بكارت فيه عنواني ●

ـ هيا اذهبى واصنعى الشاى

ودفنت نفسى فى مقعد من مقاعد البحر الطويلة **المستلقية** الى الخلف فى استرخاء .. ووجهى يتلقى الهواء الرطب الذى يسترسل من النافذة الواسعة ذات النمط القديم .. وتعالى ازيز الوابور .. واحسست بها واقفة خلفى ولم تكن لى رغبة فى أن انظر اليها .. مخلوقة غريبة ..

قالت بصوت جاد كذكر ..

ـ استمع الى .. هل الاديان لها علاقة بمشكلة الحرب ؟

وودت لو اصفعها .. هذه الثرثارة ستجعل رأسى ينفجر .. لديها كمية هائلة من الافكار التى لا تفيد .. هناك كثيرون يهوون السباحة فى شيء لانهائى .. كثيرون .. ودققت النظر عبر النافذة لعلنى ارى شيئا **وسمعتها تقول**

ـ آه .. انه سؤال هام .. خطير .. كم يعجبنى فيك عدم التسرع فى الاجابة ....

انه لسؤال ليست الاجابة عليه بهذه السهولة التى تدع الانسان يجيب بسرعة كم كرهت هؤلاء الشبان زملائى بالكلية .. انهم مغرورون .. سمجون .. لو ألقيت اليهم بهذا السؤال لاجابوا عليه قبل أن اكمله .. وكل واحد يصر على أن رأيه هو الصحيح .

وطفت فى ذاكرتى نصوص من اناشيد اسبوع الالام المقدس .. اناشيد وجدتها فى كراس عثرت عليه مصادفة .. ما ذكرنى بتلك السطور كان كلمة لم افهمها فعلقت فى ذهنى .. واخذت الكلمة تهتز فى رأسى ثم نطقت بها وانا اضحك

ـ افلوغيتاريات القيامة ... آه... تقول ...

« مبارك انت يارب ، علمنى رسومك»

« رهط الملائكة ذهل متحيرا ، عند مشاهدتهم اياك »

« محسوبا بين الاموات ،ايها المخلص. وناقضا قوة الموت »

« ومنهضا آدم معك ، ومعتقا الكل من الجحيم »

« مبارك انت يارب ، علمنى رسومك»

« الملاك اللامع عند القبر ، قد خاطب حاملات الطيب »

« قائلا : لماذا تمزجن الطيب بالدموع بترث »

« واشفاق يا تلميذات ، انظرن للحد وافرحن »

« لان المخلص قد قام من القبر »

ـ ما هذا ؟

ـ لا اذكر اكثر من ذلك ... هذه السطور علقت بذهنى

وضحكت وقالت :

ـ لك مواهب فذة

ـ الشاى .

ـ سأحضره

لا ادرى ماذا تريد هذه الفتاة الصغيرة .. لا يهمنى شيء منها .. فلتثرثر كما شاءت

وصاحت

ـ الشاى برد .

وتناولت الكوب .. واخذت تقول

ـ لقد ذكرت فى الافلو .. ما اسمها؟

ـ ما هى ؟

ـ النشيد الذى كنت تردده .. لا يهمنى اسمه .. لقد ذكرت فيه شيئا قريبا من هذا :
« انظرن للحد وافرحن »
لقد ذكرت ذلك
ـ هل هذا يخدم السلام ؟
ـ انت فتاة جامعية .. لا أدرى ماذا يهمك فى ..
ـ فى ماذا ؟
ـ فى كل هذه الاشياء ؟
ـ هل تحفظ كثيرا من تلك النصوص؟
ـ لا ادرى
ـ هل هى نصوص مسيحية ؟
ـ آه

وخيم علينا الصمت .. ومزقته هى قائلة

ـ الغرفة رطبة ..

وقامت واغلقت النافذة .. ونظرت الى ساعتها .. ثم نظرت الى : وقالت

ـ لقد تأخرت .. كم اود لو جلست اليك طويلا .. استمع لحديثك ونتناقش فى السياسة .. انت رجل مثقف ..

وضحكت ضحكة باهتة قصيرة .. وتوردت وجنتاها .. وزحفت الظلال الوردية على وجهها فالتمعت الشعرات الصفراء الباهتة .. واشرقت اسنانها البيضاء ..

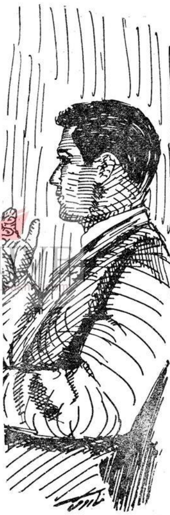
وقالت فى اضطراب

ـ سأذهب انا الآن .. سآتى غدا.. لنتحدث.. انت رجل..الآخرون أطفال لا استطيع مناقشتهم .. اسمع .. لا قصيرة كأنها لم تكن تتوقعها ..كالمفاجأة السريعة غير المتوقعة .. فمدت يدها وسلمت .. وانصرفت وسمعت الباب يغلق خلفها ففتحت النافذة وتدفق الهواء الرطب ...

***

حينما انفرج البحر من ناحية الشرق عن الشمس تحيطها هالة وردية ..كان هواء الفجر رطبا .. والشاطىء المترامى فى اعياء عند اقدام الامواج المتحدرة .. لم يكن هناك احد .. خلعت ملابسى وارتديت « مايوه » وتسللت خارجا .. ورآنى طفل على السلم فحملق فى لحظة ثم ضحك .. بعد لحظات قليلة ارتعشت .. وتقدمت الى البحر .. انى اعرف أن مياه البحر تكون دافئة فى الفجر ادرى .. لماذا .. ؟ وصمتت فى حيرة.. وعند الغروب .. ورأيت أناسا يتسللون الى الشاطىء وواحدا وقف ينظر نحوى وانا اسبح وحينما نظرت اليه مرة ثانية لم اجده..وارتعشت مرة اخرى.. ومددت لها يدى فنظرت اليها بدهشة وتذكرت الاسماك المفترسة التى تملأ البحر .. وحينما اندفعت الى الامام لاخرج عدت ثانية وغطست فقد كانت هناك امرأة عجوز تسير ببطء شديد على الشاطىء ، وقد تدثرت بمعطف اسود ونشرت فوق رأسها شمسية ملونة . وحينما انصرفت .. حينما رأيتها شبحا يتدحرج فى بطء بعيدا.. خرجت وانا أشد ارتجافا .. وتوهجت الشمس .. ورجعت الى البيت وكان الماء العذب الذى انصب فوق جسدى من « الدش » كخيوط من الثلج .... وحينما كنت ارتشف الشاى تذكرت الفتاة الصغيرة ولمعت فى ذاكرتى *الشعيرات الصفراء الباهتة التى تنتشر* فوق شفتها العليا .. وضحكت .. ستأتى اليوم لتملأ رأسى ضجيجا اود لو

جلست صامتة خلفى ٠٠ حتى لا اراها٠٠ رأسها الصغير محشو باشياء غريبة ٠٠ ماذا يهم هذه الفتاة من قضية السلام؟٠٠ حيوانة ٠٠ كأنها تريد أن توفر الطمأنينة والراحة فى المستقبل لاولادها الـــذين ما زالوا فى عالم الغيب ٠٠ لعبة قديمة ذات جذور خالدة ٠٠ وكان على ان اضع الكوب جانبا فقد انتهى الشاى منذ مدة ولم اشعر بدفء وبدأت أسنانى تصطك ٠٠ ورأيت الرمال الصفراء ٠٠ رمـــال الشاطىء ٠٠ تتوهج كمرآة وقد اشتدت الشمس وارتفعت ٠٠ وجذبت عينى نقطة صغيرة تلتمع كماسة بعيدا ٠٠ قـــرب الشاطىء ٠٠ تحتضنها الرمال الصفراء من كل جانب ٠٠ ولففت جســدى فى معطف٠٠٠٠ واغلقت النافذة ٠٠وتناولت طعام الافطار ٠٠ ثم تمددت على الكرسى المائل ٠٠٠ انى احبه٠٠ حينما استيقظت مرة أخرى تبينت اننى لم انم اكثر من ساعة واحدة ٠٠ وعرق خفيف يبـلل وجهى ٠٠ وعندما انحدرت الشمس نحو الغرب وابتلعها البحر تذكرت الفتاة ٠٠ أن الشمس تطالع النصــف الثانى من العالم الآن ٠٠ حينما يستيقظون هم ٠٠ نكون نحن فى طريقنا الى النوم بعــد ساعات قليلة ٠٠ وسمعت طرقـــات خفيفة ٠٠ وكانت هى ٠٠ وسألت



ــ لماذا لم تدقى الجرس ؟

ــ لم آخذ بالى

وضحكت حتى التمعت اســـنانها البيضاء ٠٠ وتمددت على كرسى امامى باسترخاء كأننا اصدقاء قدامى ٠٠

قالت :

ــ لماذا ترتدى معطفا الآن ؟

ـ لانی استحممت فی الفجر ، فی البحر ٠

قالت بدهشة :

ـ فی البحر ٠٠ الآن ٠٠ لسنا فی الصیف ٠٠

ـ نعم

ـ غريب

ـ وارتعشت

ـ لماذا نزلت البحر الآن ٠٠ اليوم بالذات ٠

ـ رأيته جميلا فی وهج الفجر الوردی

وبعد لحظة صمت قصيرة قالت وهی تدقق نظراتها فی حجرها

ـ اليس مضحكا انك لم تعرف اسمی بعد ؟

ـ حقا

ـ سأفتح النافذة ٠

وحينما نهضت لتفتح النافذة رأيتها من الخلف ممتلئة ٠٠ وبدت لی اجمل من الامس ٠٠ وتدفق الهواء وكانت رائحته مشبعة بالملح ٠٠٠ ونظرت اليها باعجاب وقلت لنفسی « **ستذهب قريبا ٠٠ لن تراها بعد ذلك كثيرا ٠٠ ليست كل هذه الاشياء باعثة على السرور** »

ـ ها قد جئت اليك مرة ثانية ٠

ـ حسنا

ـ يبدو أنك متضايق

وبدأ لی حديثها فارغا ٠٠ فلم احب ان اجيب ودفعت ببصری فی قلب الظلام الرابض خلفها عبر النافذة٠٠ واحسست بالهواء يزداد رطوبة فاحكمت لف المعطف فضحكت الصغيرة وقالت

ـ كأنك عجوز فی المائة من عمرك ٠٠

ـ هل وجهی يمتلیء بالتجاعيد ؟

ـ حقا ٠٠ ذكرتنی ٠٠

انها تثير فضولی ٠٠ سألت

ـ بماذا ٠٠ ؟ بالسلام ٠٠

فضحكت فی سعادة وبقوة كرجل وقالت

ـ لا ٠٠٠ قل لی ٠٠ هل عندك اربعون عاما ؟

ـ ثلاثون فقط ٠٠٠

وازداد ضحكها ارتفاعا ٠٠ وهمهمت

ـ انت مازلت صغيرا ٠٠ ولكنك تبدو عجوزا شرسا ٠٠ و ٠٠٠

كان الفستان الذی ترتديه فی زرقة البحر ٠٠ وكان محكما حول جسدها وسمعتها تقول

ـ الا تسمعنی ؟

ـ انی اسمعك ٠٠

ـ فالحقيقة ان الفلسفة تفسد العقول اذا ما غزتها فی وقت مبكر ٠٠ لايجب أن تدرس او حتی تقرأ الفلسفة الا فی وقت متأخر من عمر الانسان ٠٠٠

الست معی ؟ واعتقد أن هذا ماانتهی اليه بول بورجيه من رأی فی روايته شديدة التعقيد « المريد »

ـ بلا شك ٠

ليست هناك فائدة من معارضتها ٠٠

انى احبها حينما تضحك .. وسألت بصوت ازعجنى :

ـ هل تحب ان تبدو رجلا غامضا ؟

ـ لا

ـ شىء غريب .. انها مصادفة لذيذة .. قلما يجد الانسان آخر يوافقه فى كل آرائه

ـ اهذا هو ما يجعلنى غامضا فى نظرك ؟

ـ يبدو لى ذلك .. لا .. لا

ولزمت الصمت لحظة ثم اندفعت تقول بصوت هامس

ـ الغريب .. لا.. لا .. ليس غريبا بل هى الحقيقة .. اننا نكره من يقول دائما وفى كل لحظة . « انا هنا » نمقته ..

ورأيتها تحرك ساقيها فى عصبية .. واحسست بها تفقد انتظام تفكيرها .. واخذت تقول

ـ كيف تعيش بمفردك ؟ ان نظام الامتحانات سخيف .. نحن فتيات الجيل نصنع فجرا لنساء الغد .. العبودية الفكرية امر خرافى لا اصدقه ..

وصمتت حينما انغلق أحد مصراعى النافذة بقوة محدثا ضجة فجاة ... ونظرت بشرود الى النافذة ... ثم ضحكت وقالت :

ـ انى أكره أوجين وأفضل عليه بلزاك .

وقطعت عليها كلامها

ـ سأصنع شايا

ـ لا داعى

ـ اريد انا

ـ اذن دعنى اصنعه انا

واحسست بالراحة وهى تختفى من الغرفة .. وانفردت .. واغمضت عينى .. وودت لو تنصرف او تلزم الصمت .. وارتفع صوت الامواج .. وانصفق مصراع النافذة .. وسحبت الكرسى جانبا فى ركن .. وكان المصباح يهتز فظللت اراقبه حتى استقر فزالت نشوتى... وجذب انتباهى ازيز الموقد فى المطبخ .. وامتلأ رأسى بالأزيز

وكان هناك فوق المنضدة كتاب .

ودخلت مسرعة باضطراب وقالت :

ـ ما هذا .. ان البيت قذر .

ـ نعم

ـ الا يفزعك ذلك ؟

ـ وماذا يهمك يافتاتى الصغيرة ؟

فاحمر وجهها واضطربت نظراتها .. واستنجدت بضحكة باهتة .. ثم قالت :

ـ انك تحتاج

سألتها :

ـ الى أى شىء ؟

قالت متصنعة الاضطراب .. هذا ما لاحظته ..

ـ تحتاج لمائة امرأة كى ينظمن لك هذه الشقة المضطربة .. لقد فزعت من الفوضى التى تشملها ..

ـ أيتها الصغيرة الشقية لا تهتمى .

وضحكت .. وجلست على طرف **المقعد ..**

ـ الاحظ أنك تنادينى دائما بالصغيرة

واحمرت وجنتاها وواصلت قائلة :

انا لست صغيرة .. اننى فى العشرين ..

وقاطعتها قائلا لسؤال أحببت أن القيه عليها .

ـ ولماذا لم تتزوجى ؟

فبهتت من هذا السؤال ‥ كأنه سؤال عار تماما ‥ ورمقتنى باضطراب ثم قالت :

ـ يالك من رجل ‥ اننى اطلب العلم الآن ‥ لماذا يحمل الزواج معنى الموت عندكم دائما ‥ لا يجب أن اتزوج الآن حتى انتهى من تعليمى ‥

ـ حسنا افكار جيدة ‥

وضحكت وهى ترمقنى بخبث ‥ وانطلقت وهى تقول :

ـ الشاى يفور ‥ الموقد سينطفىء ‥ **سمعت** ضجة خارج الشقة ‥ بعض الاصوات اعرف أصحابها ‥ وأخذ الضجيج يرتفع‥وعلا صوت فتاة رأيتها مرات كثيرة فتذكرت ذيل الحصان الذى تصنعه من شعرها الحالك السواد وكان ذيلا طويلا يؤرجحه الهواء ‥ ويهتز من نفسه حينما تجرى على الشاطىء ‥ وضحكت وودت أن أفتح الباب واراقب ذيل الحصان وهو يهتز ‥ لا بد أنه يهتز الآن فى عصبية وغضب ‥ اما عيناها فواسعتان ‥ انها لا تتكلم بالطريقة التى تتبعها صاحبتى الصغيرة بل تحب أن تسمع وتقول هى : « نعم » دائما لاى انسان ولاى رأى ‥ فى السادسة عشرة من عمرها‥ ولكن السىء فيها هو‥فمها ‥ فمها فقط ‥ انه واسع ‥ فحينما تضحك تذكرنى شفتاها بالشاطىء الذى يمتد طولا الى مالا نهاية ‥ باتساع ‥

وضحكت فى عصبية

ـ لماذا تضحك ؟

ورأيتها واقفة أمامى ‥ ولاحظت أن لحمها ابيض ‥

قلت

ـ لا شىء

ـ تفضل الشاى

ـ شكرا

وتناولت كوبا ‥ واخذت هى تحتسى الشاى وقد قربت كرسيها منى ‥ واطلت التحديق فى وجهها فتشاغلت بالنظر فى الكوب ‥ وابتسمت ‥ لعبة قديمة ‥ كأنها تقول لى ‥ «تأمل مفاتنى » ‥ لست انسانا مفرغا تماما‥ اننى احب احيانا أن اضرب فجأة وبشدة ‥ ولكن بادراك واع أن تلك الطريقة لافائدة منها ‥

وسألتها

ـ اذا أتاك عريس الآن فهل ترفضينه ؟

فابتسمت فى خجل ‥ وقد اخذها اضطراب مفاجىء‥ فأحسست بالنشوة لذلك ‥ وكأنها احست بان صمتها اذا طال أكثر من ذلك فسيكون شيئا مخجلا للغاية ‥ وتورد وجهها

وقالت وهى تتمالك نفسها

ـ هدفى الاول هو اكمال تعليمى‥ فاذا وافق فسأقبله

ـ واذا لم يوافق ‥ ؟

وهنا احسست أن السؤال كان ضربة قاصمة لافكارها وآرائها وانوثتها ‥

وحاولت التملص فى مكر قائلة

ـ ولماذا لا يوافق ؟

ـ فرضا انه لم يوافق

ـ سأقنعه

ولزمت الصمت حتى يخمد اوار المعركة فى نفسها ‥ كانت جولة سريعة مرهقة لاعصابها بلا شك ادركت انها وعاء مملوء بافكار الغير ‥ ليست لها افكارها المكيفة الخاصة **وضحكت لذلك الاكتشاف وان لم يكن ذا فائدة لى مطلقا ‥**

ـ انت ماكر

ورمقتها من طرف عينى

ـ لماذا ٠٠ ؟

ـ انت تفكر بطريقة ملتوية ٠

ـ كيف ٠٠٠ ؟

ـ لا ادرى على وجه التحديد ٠٠ولكنك تعتمد على مفاجأة خصمك ٠٠ وتحاول أن تجعله يحاربك بغير اسلحته ٠٠

ـ لا افهم ٠٠ لا افهم ٠٠ شاى امس كان افضل

ـ وهل انت تفضل المرأة المثقفة او غير المثقفة ؟

وغرزت نظراتى فى وجهها ٠٠ قطة ماكرة ٠٠ سيئة ٠٠ وودت لو اصفعها ٠٠ خلع التمثال جميع اقنعته التي يختفى خلفها ٠٠

وقلت

ـ الطبيب الذى يعرف كثيرا فى **الرياضيات ليس مثقفا** ؟٠٠ ولكن بالعكس اذا عرف كثيرا فى امور الطب ٠٠ فهذا هو الانسان المثقف ٠

ـ ما معنى ذلك ٠

ـ اعنى ان الثقافة هى الملاءمة الخاصة

وفكرت طويلا وحاولت أن تبدو انها فاهمة ٠٠ ولكنها قالت فجأة

ـ لم أفهم ؟

ـ هل تعتبرين اطالة عمر الانسان يؤثر فى القيم الحضارية ؟

وصاحت :

ـ انت تحاول أن تبدو غامضا مرة أخرى ؟

وضحكت ٠٠ ورأيت نورا يلتمع ببهوت فى عرض البحر ٠٠

قلت لها



ـ انت شقية

واقتربت بمقعدها ٠٠ وقالت

ـ ولكن ما رأيك فى العريس الذى يطلب أن تتخلى عروسه عن دراستها ؟

ـ رأيى ؟

ـ نعم

ـ كل امرأة تدرى الرأى الصحيح فى ذلك الوقت

ـ هذه عبودية

ـ أبدا ٠

وكشرت قائلة

ـ كيف ٠٠ أليست هذه عبودية ؟

كان يجب أن أقول لها « بلا شك » فقلتها ٠٠ فعادت ابتسامتها ٠٠وقالت

ـ بدأت تتمرد ٠

ـ هذا كلام حاد

ـ انى معجبة بك

ـ اشكرك

ـ الفتاة الغير مثقفة لا تستطيع أن تقول لرجل هذا الكلام .. منحتنا الثقافة الحرية .. الحرية بجميع معانيها التي تساعدنا على صنع فجر جديد من أجل نهضة نسائية

ورمقتها بحدة فجأة فاهتزت في جلستها .. وقلت

ـ انت لا تنفعين زوجة مطلقا ..

وكانت كالضربة المباغتة .. وادركت أن هناك في الحقيقة صراعا .. لهبا تحت طبقة الجليد ونهضت واقفة ونظرت الى برهة .. ثم نظرت الى ساعتها .. وقالت :

ـ سأسافر غدا ..

ـ مع السلامة

ـ هكذا ..

ـ ....

ـ لا ادري

وصمتت واطالت في وجهي .. ثم قالت :

ـ استمع .. اريد أن أقول لك .. انى ...

ـ حسنا ... مع السلامة .. ربما سآتي ..

ووضعت يدها فوق كتفي .. وقالت بعد لحظة :

ـ لماذا الزمت الصمت ؟

ـ انى أراقب النور الذى يلتمع هناك في عرض البحر ..

ومالت برأسها .. ومطت شفتيها .. واستطعت أن أدير وجهي الى الناحية

ـ ألقى بكل شيء في البحر .

للمرة المليون تحاول أن تبدو غامضا

وصمتت لحظة ثم قالت بعصبية :

ـ لماذا رفضت أن أقبلك ؟

ـ لامعنى لها .. بأى موجب ؟

ـ انى أحبك ..

أنا لا أحبك ..

وكشرت وقالت من بين اسنانها :

ـ شكرا ..

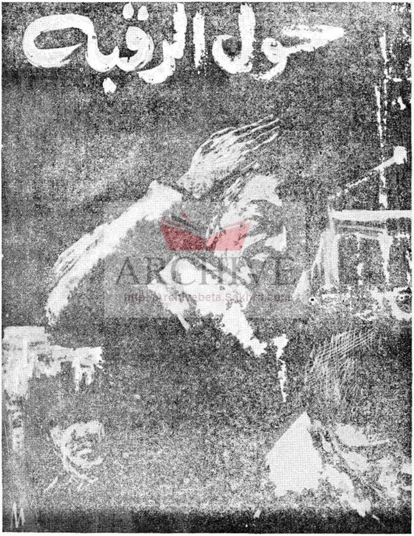
وأدارت لي ظهرها مغادرة الغرفة .. ولحقت بها بسرعة .. وأمسكت بكتفيها من الخلف وهويت على شفتيها بقبلة طويلة .. فقالت بدلال ..

ـ انك لاتحبنى .. فلماذا تقبلني ؟

ـ مجرد اختلاف في المبادىء ليس الا

وارتفعت كلمات من الماضي السحيق .. كلمات ابى .. كترنيمة تتردد منذ الأزل في معبد من المعابد القديمة « انسان بلا عقيدة » ستقتل نفسك حتما » وحينما عدت . نظرت الى البحر بامعان وتدقيق .. لم أكن أراه لأنه كان غارقا في الظلام بل كنت أسمع هدير أمواجه .. كانت هناك عاصفة .. والبحر مضطرب ... في هياج ... البحر تماما بلا عقيدة ... أكيد ...

ضياء الشرقاوى


حول الرقبة



قصة : احمد هاشم الشريف



وجد نفسه عاجزا عن الحركة يتنفس بصعوبة وسط الزحام ٠٠ قلعة منهارة بين مدافع منصوبة ٠٠ فمن الذى جمع قطعة حلوة ودعى الذباب الى وليمة ؟ من الذى صوب المدافع الى القلعة المنهارة؟٠ وجذبته الأيدى من كل ناحية ، ولطمته الأكف بالغضب المطل من شرفات العيون، ونادته أصوات مختلطة ببعضها وكرر الصدى النداء ، فرفع رأسه كأنه راية التسليم ، كأنه **البناء** يتشقق قبل أن ينهار ، وأراد أن يسأل الجموع عن سر غضبها عليه ، عن السخط المتحرك مع الايدى والاصوات ، ولما فشل فى ذلك كان يود لو تحداهم بابتسامة هادئة ٠ ان عملا بسيطا كهذا يدهشهم ويخيفهم بل ويروعهم٠ وجد كل شىء يدور حوله كأنه فى حلم ، ورأى أشخاصا كان يعرفهم بمجرد سماع أصواتهم وماتوا من مدة كبيرة وضاعت ملامحهم ، كانوا مزعجين وقساة ، كانوا وحوشا ، وحسب أن الزمن محاهم من الذاكرة وطوى سيرتهم فى الاكفان ، ولكن ها هم يعودون ٠٠

حملوه الى قاعة محكمة ووضعوه وراء القضبان ٠

لم يبق له سوى أن يتأمل الحاضرين، آذانهم شرك منصوب ينتظر حركة شفتية ، عيونهم سطح لامع يخفى تحته **البئر المعتم ، عيونهم عميقة كالصمت ،** يتمشى بين الاركان ثم يستريح فوق الرءوس وصوته طائر كسيح يجرب جناحية فينتابه الاخفاق ويحط على الأرض ، فهل يطبق الفخ على فمه اذا تكلم ؟ ولماذا لم تسقط اللافتة على رأس

القاضي وهو ينطق بالحكم ؟ وهل صاح الحراس لانهاء الجلسة أم فزعا من الصمت الذي ساد القاعة ؟ وسمع صوت زوجة جاره في العمارة كانت تبكي بمرارة وهي تقول له : أنت بريء .. أنت بريء .. فاستيقظ من نومه وهو يحس بصداع في رأسه .. كان الظلام يغمر كل شيء، والساعة تدق مرتين ، وكالعادة سمع صرير المفاتيح وهي تدور في الأقفال ، وسعال السكارى العائدين يسير بجانب وقع خطواتهم المتباعد ، ولما سمع صياح الديكة رفع الغطاء عن رأسه ، رفعه بقوة ، وجلس على فراشه وهو يقول لنفسه : ليس هنا ديكة .. وضحك من براعة الوهم وقدرته في التسلط على حواسه ، ثم استأنف حديثه مع نفسه : انها أحلام الطفولة تراود ذهني وتلح على الذاكرة .. ليس هنا ديكة ..

ونهض فأشعل النور وراح يتمشى في الحجرة .. ما معنى أن يطارده الكابوس ثلاث ليال ؟ ما معنى أن يدينه الناس وهو بريء ؟

سمع باب الشقة المجاور له يتحرك، ثم يتوقف مصغيا لوقع خطوات الزوج وهو يدخل ،ثم يعود الى الحركة بعنف من استجاب لنزوة طارئة ، وحدث اصطدام عنيف قبل أن يسود الصمت، دائما في النهاية يسود الصمت . ثلاثة أيام وأنا ألازم هذه الحجرة ، أصغي لصرير المفاتيح في الاقفال ، والسعال الممزق تحت وقع الأقدام ، وصياح الديكة المزعوم ، واستجابة الأبواب لوقع الخطوات الليلية التي لا ظل لها ، ثلاثة أيام ؟

اذكر آخر مرة نزلت فيها الشارع قابلني جاري عند الباب الخارجي للعمارة وبادرني قائلا: ثبت لدي بالدليل القاطع وبعد مراجعة نفسي أني أجرمت في حق زوجتي ، أنت تعرف زوجتي ، واذا لم تكن رأيتها فلا بد أنك سمعت صوتها ، وحين يسمع الانسان صوت انسان آخر يعرفه على الفور، وهي معذورة فيما فعلته معي ، ربما سمعت شجارنا أو بعضا منه ، وربما سمعت صوت أطباق وهي تتحطم ، وأنت من النوع الذي يسهر كما أعتقد ، وليس هناك عمل يشغلك ، فمن البديهي أن تهتم بأمور جيرانك ، من البديهي أن يحدث ذلك ، فلتسمع اذن ما حدث لتحكم .. دخلت عليها المطبخ، وكانت منهمكة في تحريك الملعقة على النار ، لم تشعر بوقع خطاي لأني أسير بحذر كما تعلم ، في أغلب الاحيان وخاصة بالليل . وقفت أتأملها بعض الوقت حتى تنبهت لوجودي ، وعندئذ ابتسمت في وداعة ، ولك أن تسألني ، أي شيطان وسوس في أذني قائلا : **اسرق الاطمئنان من قلبها ، روعها حتى تنجو من بلادة الحس .. وهكذا حكيت لها ما شاهدته في السينما،** رواية خنق فيها الزوج زوجته أثناء نومها ، خنقها بخطة محكمة وبعد تدبير، كانت رواية بشعة ، ارتاعت في نهايتها وقاطعتني قائلة : **لا تحك لي شيئا من ذلك مرة** أخرى .. وتركتني وحيدا في المطبخ قبل أن أكمل حديثي معها ، تركتني وهي تمسك جبهتها بيدها اليمنى بعد أن سقطت الملعقة منها واستمرت تقول : بشرفي .. أقسم بشرفي أنت تتعمد ايلامي .. لا تحك لي شيئا من ذلك مرة أخرى .. وكان صوتها برغم بعد المسافة بيننا يخرج من

حجرة النوم ويعبر الصالة ثم يدخل المطبخ ببطء ولكن فى قوة ..

وطاردته لسعةالبرد فلجأ الىالفراش، أحس بنعمة الدفء وخدر بسيط يتمشى فى ساقيه ، فهل يترك النوم يغلبه مرة أخرى ويسلمه وليمة للكابوس ؟

سقطت ملعقة أو سكينة على الأرض فى الشقة المجاورة ، واحتكت أطباق ببعضها لكنها لم تسقط على الارض ، وتلا ذلك نقاش بين الزوجين ، سمع الزوج يقول لزوجته : أنا لا أنكر تأثير الافلام البوليسية على أعصابى ، كما لا أنكر ادمانى للقراءة ، والقراءة تخلق فى صاحبها حالات نفسية معينة قد يعتبرها البعض مرضا ، ولكن كيف تتصورين أنىأخنقك أثناء نومك..كيف تتصورين مجرد تفكيرى فى ذلك ؟ وكانت الزوجة تبكى بمرارة وتتوسل اليه أن يكف عن تعذيبها بالافكار الغريبة والكلام الجارح، وتطلب منه أن ينام أولا حتى تطمئن هى الى النوم بعـد ذلك .. كان شيئا مضحكا أن ينتظر كل منهما نوم الآخر فى كل ليلة ..

وفى صباح اليوم التالى داس بقدمه على شىء وهو يهبط السلم ، كان السلم معتما ، ومن عادته ألا يهتم بالنظر الى شىء داس عليه ، ولكن الجو المعتم أثار فضوله فانحنى وأشعل عود ثقاب ليرى كل شىء بوضوح .. كانت هناك على طرف الدرجة قطة نائمة على الجنب والحبل يتدلى من رقبتها .. والاحشاء تطل من البطن وتكاد تسقط على الدرجة التالية ، كانت ميتة رغم أن فمها مفتوح ولم تكن تموء بطبيعة الحال ، ولو أنها فعلت ذلك لما اعتقد أنها حية ..

وأسرع يهبـط السلم بمجرد انطفاء عود الثقاب ، بمجرد عودة العتمة أشد مما كانت عليه، أحس أنه يطارد مخاوفا كادت تغلبه ، مخاوفا من نوع خاص ، لو تجسـدت أمامه فى تلك اللحظـة وانتصبت واقفة وصمدت ، لما استطاع أن يتغلب عليها ..

ولاحظ ارتباكه رجل رآه للمرة الأولى عند نهاية السلم، تقدم اليه وهو يبتسم فى خجل ، وسأله عن ضـابط بوليس يسـكن فى الطابق الثـالث ، لاحظ أن ربطة عنقهغير موضوعة باحكام، ثم عجب لأنه اهتم بربطة العنق دون سـواها ، ولما أخبره بعدم وجود ضـباط بوليس بين سـكان العمـارة ، اعتـذر قائلا وابتسـامته الخجـولة تزداد اتسـاعا : سأبحث عن الشـقة بنفسى لأن البواب نائم .. عند البـاب الخـارجى توقف وراح يسعل بقوة حتى استيقظ البواب، واخذ يسعل هو الآخر فيما يشـبه الاحتجاج ، وسمع صوت زوجة البواب وهى تطلب من زوجها أن يبقى،لكنه أصر على الخـروج رغـم الحـاحها على بقائه بجوارها .. كان الاجهاد باديا على وجه البواب وهو يتكلم ..

لعل صوته واشارة يديه خير دليل على ذلك ، قال له : « **اننى مازلت أبحث عن عمل مناسب فى زحمة هذه المدينة**»، فسعل البواب وهو يكرر «**عملمناسب**»، ثم راح يشكو من نزيف فى أنفه استمر معه أغلب الليل وانقطع بعد مشـقة ، وبدا الدم واضـحا فوق شـاربه وعلى خديه وفى أطراف أصابع اليدين ، كان كل شىء يقول لمن يراه أنه مجهد ، ورغم ذلك عاد الى زوجته وأغلق باب غرفته،

وسمعها تقول له فى صوت منخفض :
انت تخلع المنديل من رأسى رغم تحذيرى ٠٠ فى كل مرة تخلع المنديل من رأسى٠

تقدم خطوة نحو الباب الخارجى ٠٠

انه يعرف بالتقريب ما يحدث فى الشارع الآن ، بعد انقطاع ثلاثة أيام قضاها منعزلا فى شقته ، يعرف الزحام فى ميدان العتبة قريبا منه ، زحام العربات فىوسط الشارع وزحام الناس على الارصفة ، وعندما بدأ خطواته الأولى، سمع شخصا يسير محدثا آخر قائلا : **فى هذه الحالة أبلغ البوليس٠٠** واستقل الترام من ميدان العتبة بلا هدف سوى رغبته فى اكتشاف المدينة بعد انقطاعه عنها ، وكان واقفا فاستطاع أن يشاهد أقدام العابرين فى شارع كلوت **وأن** يشاهد أطراف ثيابهم، داست قدم عقب سيجارة مشتعل وظلت تسحقه فشعر بهدوء وزال عنه الاضطراب ، وتمنى لو أبطأ الترام قليلا ، لو توقف ثم سار ثم توقف ، ليتابع الصور التى تمر تحت عينيه ويحاول تركيز أفكاره ، لماذا كرر البواب عبارة « **عمل مناسب** » ، ولماذا لم يسلمه أى خطاب ؟

وجاء المحصل ودخل فى نقاش مع أحد الركاب حول دفع ثمن التذكرة ، وتطور الأمر بينهما ، واكتسب مظهرا حادا ، كانا يقفان بجانبه ، ينظران اليه ويحاول كل منهما أن يثبت له خطأ اخر ، ولم يكن هناك جدوى من وراء ذلك لأن كلا منهما ، بحسب كلامه ومنطقه ، كان غير مخطىء ٠٠ فشغل نفسه بتأمل فم المحصل ، كان كبيرا ومتورما من أثر النفخ فى الصفارة طول النهار ، وأمسك الراكب برقبة المحصل وحاول أن يخنقه فصرخ الركاب جميعا وتوقف الترام ، كانت حوادث الخنق تثير دهشتهم كما بدا له ، وماعدا ذلك لا يستحق فى نظرهم الاهتمام ، وجاء السائقوهو يمسك فى يده مفتاحا حديديا ، مفتاحا مرتعشا لأن يده كانت ترتعش أيضا ، ويقول للركاب من خلال ابتسامة غريبة على فمه : انى أقصد **تخويفهم فقط ٠٠ آه ٠٠ تخويفهم فقط،** وأهوى بالمفتاح الحديد على رأس الراكب فتركعنق المحصل، والتفت الى السائق، ثم حاول الاستناد على الركاب فتراجعوا مذعورين ، وتركوه يسقط بين المقاعد٠

دخل مقهى فى شارع كلوت وطلب من الجرسون كوب ماء ، ولكن الجرسون كان منشغلا فى تلبية طلبات الآخرين فتمالك نفسه وقام الى الصنبور وأخذ يغسل نقط الدم العالقة بالقميص ٠

كان وراءه اثنان يلعبان الطاولة ، ثم توقفا عن اللعب عند مروره أمامهم ، وقال أحدهما : خسرنا الدور وجاءت سيدة سمينة لطخت وجهها بالاصباغ ووقفت بجانبه ثم سألته باللامبالاة :

ــ ماذا تفعل ؟

ــ نقط دم على القميص ٠٠ كانت هناك مشاجرة ٠٠ والنتيجة كما ترين نقط دم على القميص ٠٠

ــ هل تشاجرت أنت ؟

ــ لا ٠٠ لست أنا الذى تشاجر ٠٠

فأولته ظهرها وهى تضحك وتقول محاولة تقليد صوته : لست أنا الذى تشاجر ٠٠ ولكن النتيجة نقط دم على القميص ٠٠ واستمرت تقلد صوته وتضحك حتى شعر بضيق ٠٠ ولكنه

سمع أقراص الطاولة تتحرك فى أيدى اللاعبين ، وقال نفس الصوت السابق: سنبدأ الدور من جديد ..

وحين خرج من المقهى وجد الجموع فى انتظاره ..

لم تكن عربة الاسعاف قد وصلت بعد ، ويبدو أن الصف الطويل من عربات الترام المعطلة ، كان لها دخل فى تأخير نقل الراكب المصاب ، وكان السائق قد احتمى بزملائه فأغلقوا عليه احدى عربات الترام وظلوا ينتظرون مجيء البوليس ، كان السائق مضروبا بلا شك ، ولم يكن معروفا من الذى ضربه ، ولكن المعروف أنه ضرب الراكب بالمفتاح الحديد على رأسه ، وكان السائقون والمحصلون قد تجمعوا هم أيضا وبدأوا يتكلمون ، اذن فالأفواه تتورم أيضا وتتضخم من كثرة الكلام لا من مجرد النفخ فى الصفارة طول النهار ، رأى المحصل يقف فى وسطهم وهو يصرخ بطريقة تلفت الانتباه ، يصرخ كأن الخطر ما زال يحيط به حتى الآن :

– فى البداية حاول خنقى .. وجدت صدرى يضيق عندما حاول خنقى .. وكان يقول لى وأصابعه تحيط عنقى .. انت لا ينبغى أن تعيش لأنك بليد الحس كحيوان .. لا ينبغى أن تعيش .. سأخنقك كقطة وأرميك فوق كوم زبالة .

وتزايد الزحام حين جاءت عربة الاسعاف ، فتحرك مبتعدا عن المقهى حتى لايطويه الزحام ، كان يحدث نفسه قائلا : ماذا يفعل الانسان اذا حاول آخر خنقه وهو نائم ؟ هل يمكنه الدفاع



ضابط البوليس ، ثم الابتسامة الغريبة وهو نائم ؟

وسخر من نفسه لأن هـذه الاسئلة طافت بخياله ، وتذكر الابتسامة الخجولة التى قابلته عند نهاية السلم قبل الباب الخارجى للعمارة ، وصاحبها يسأله عن التى أهوى السائق بعدها بالمفتاح الحديد على رأس الراكب ، من السهل أن يلفقوا له الجريمة ببساطة ، وما على الزوج الا أن يخنق زوجته بالفعل ، ويصعد البواب الى الشقة ويطرق الباب ، ويبدأ المحقق استجوابه بسـؤال هادىء : متى بدأت صـلتك بالزوجة القتيـل وما مدى صداقتك لزوجها ؟ ولماذا بقيت فى شقتك ثلاثة أيام ، ومن الطبيعى أن يتنبه المحقق الى نقط الدم التى علقت بقميصه ، وتأتى السيدة السمينة لتقلد صوته وهو يقول : ولكن هناك لست أنا الذى تشـاجر .. ولكن هناك دم على القميص ..

واستمر يحدث نفسـه .. ان زوجة جارى جميلة بلا شك ، جميلة كالعذارى فى أحلام المراهقين ولا أنكر أنى رأيتها فى يوم ، ثم اشتهيتها فى يوم آخـر بـل وفكرت فى حمايتهــا من ذلك الزوج المجنون وحين وصلت الى هذه النقطة من التفكير ، بدأت اكره جارى ، وواجهت نفسى بهذه الحقيقة التى لا مفر منهـا ، عندما قابلنى للمرة الثانية فى نفس اليوم وحدثنى قائلا :

ـ اضغ الى ، انى لم أرو لك الحوادث كما هى بل كنت أتوهم ، لم تكن زوجتى فى المطبخ ، لم تكن هناك على الاطلاق ، فمن الذى يطبخ فى السـاعة الثانية صباحا ، ولم أكن دخلت فيلما كما تظن وانما قرأت قصة فرنسية عن شخص أراد أن يقلد البطل الذى أحرق معبد ديانا ، وبقيت شهرته تتردد فى التاريخ وعلى الألسنة ، رغم أن أحدا لم يعد يذكر المهندس الذى صمم المعبد ولا الذين بنوه ، لم أكن قرأت القصة حتى النهاية استقال البطل العصرى من عمله واشترى مسدسا ليقتل به الناس فى الطرقات .. كان يريد أن يراهم مندهشـين فاغرى الأفواه ، وهم يسقطون ، كان يريد أن يقتل الغباء والتبلد فيهم .. وأنت تعرف زوجتى ، تعرف أنهـا طيبة ومطيعة ، ولكنها كسولة فى الوقت نفسه ، كسولة الى الحد الذى لا يحتمل ، أو هكذا تبدو لى ، وهى معذورة كما قلت لك من قبل لأن الحياة الزوجية مملة ورتيبة ، ولأنها لا تعمل ولا تخرج كثيرا بل تلازم البيت ، ومن يلازم البيت لابد أن يكون ضـيق الأفق ، مهما كان اسـتعداده الطبيعى للذكاء ، هذه بديهيات أنت تعلمها .. دخلت عليها حجرة النوم فى تلك الليلة ولمست عنقها بأصابع يدى هـذه .. وقصدى من ذلك مداعبتها .. فهبت من نومها صارخة كأنهـا تهرب من كابوس يطاردها . وقالت لى أنى أكرهها وأحاول قتلها .. وأنها رأتنى أخلع المنديل من رأس زوجة البواب وأنا أغازلها .. تصور أنى أغازل زوجة البواب ؟ كانت تتكلم كثيرا بلا وعى منها ، كانت تهـذى ثم راحت تبكى دون انقطــاع .. وبقيت أحاول تهدئة روعها وتبديد مخاوفها حتى نامت على ذراعى .. وعنـدئذ كان فى امكانى أن أخنقها ، والخنق عملية سهلة كما تعلم ولكن النتيجة مختلفة .. وشعرت بأنى أدهشتها وروعتها بما فيه الكفاية وكان البـطل العصرى يخشى مطـاردة الناس بعد اطلاق الرصاص .. يخشى أن يفقأوا له عينيه ويحطمون أسنانه .. ولهذا تردد قبل أن يبدأ التنفيذ ..

وبقى حتى المغرب ينتقل من مكان الى آخر بدون هدف ، وقابله صديق قديم فصافحه بقوة ثم بادره بالسؤال : —
ما زلت حتى الآن بدون عمل ؟

— انى ابحث عن عمل مناسب .. فانا ضعيف الجسم كما ترى .. ضعيف الى الحد الذى لايسمح بالارهاق .. واخشى الاختناق ان وضعوا لى مكتبا فى حجرة مغلقة ...

— ما زلت حتى الآن بدون عمل
ويخشى الاختناق..أنا لا أخشى الاختناق وفى نفس الوقت أعمل .. وكان طول الوقت ينظر الى نقط الدم العالقة بالقميص ثم يتجاهلها حتى وهو يصافحه فى فتور ثم ينصرف ..

ترك ميدان العتبة فى طريقه الى ميدان الأوبرا محاذيا سور الازبكية ، معتقدا أن هناك من يتبعه ويراقب حركته من مكان الحادث فى شارع كلوت .. كان الرقيب يتخفى متظاهرا بالاهتمام بقراءة عناوين الكتب على السور ومحاولة فض أغلفتها ، وسأله : هل يحب قراءة الكتب فأجابه بالنفى ، كان يرى أن الكتاب قد يملكون ذكاء نظريا وقدرة على الجدل وتصور الأحداث ، ولكنهم أغبياء فى الواقع لا يحسنون التصرف ويميلون الى السلبية ، لم يقل له هذا الرأى مفضلا أن يحتفظ به لنفسه .. ودخل الرجل فى جدل مع بائع كتب ، واستمر الجدل فترة طويلة لكنه انتهى الى لا شىء ومضى مشيعا بتعليق ساخر ، فاستراح لانه تخلص من هذا الرقيب ، وعاد يقطع نفس المسافة دون أن يعير الكتب أى اهتمام ، ورأى الرجال الذين كانوا يسيرون وظهورهم أمامه،رأى وجوههم، كانت العيون شاردة وحزينة تتحرك ببطء وتفحص الكتب بدقة ، وقبل نهاية السور وجد جاره منهمكا فى تقليب الكتب ، قرر أن يتحاشاه ويمضى مسرعا لكنه تنبه اليه ، صافحه وهو يتأمل ، فى دهشة ، نقط الدم على القميص ، من الغريب أن يسير انسان فى طرقات المدينة وعلى قميصه نقط دم ، حتى لو لم يكن هو المتسبب فى وجودها ، قد يظنه البعض مهزوما خرج لتوه من معركة ، أما الغالبية فتعتبره على الأقل جزارا وسفاح أطفال ، وفى مقهى قريب جلس مع جاره الذى أخبره بعثوره على قطة مخنوقة عند الباب الخارجى للعمارة،واتهم البواب بالاهمال ، والاعتكاف طول الوقت داخل حجرته المغلقة ، ولما سأله عن القصة التى قرأها ، أجابه قائلا :

— ان البطل العصرى فشل فى النهاية ولم يقتل سوى واحد من الاغبياء ، كان فى مسدسه ست طلقات ولم يقتل سوى واحد من الاغبياء ، ولكن ينبغى ألا نيأس سترى انى قادر على ادهاشهم وقتل تبلدهم ، سترى الليلة نتيجة ذلك عندما تعود الى شقتك .. ونظر الى نقط الدم على القميص وهو يقول مواصلا حديثه :
— لو أنى كتبت رواية جيدة ثم أحرقتها لما شعرت بأسف والنيران تأكلها وتلعق بقاياها بأطراف الألسنة ، أحس براحة لأنى أعددت وجبة طيبة للنيران ، فاذا تأججت وهى تحرق أوراقى تأكدت أنى طاه جيد ..

وتذكر وهو يصافح جاره منصرفا ، منظر المحصل وهو يصرخ بطريقة تلفت الانتباه : فى البداية حاول خنقى..وجدت

صدرى يضيق عندما حاول خنقى ..
ورأى السائق مقبلا أمامه وهو يقول للركاب من خلال ابتسامته الغريبة :انى **أقصد تخويفهم فقط .. آه .. تخويفهم فقط ..**

وأضاءت أنوار النيون فى شارع فؤاد وبدأ الزحام ، فجلس على مقعد خشبى بحديقة الازبكية وأخذ يحدث نفسه : لماذا لا أعود الآن ، لماذا أخاف العودة المبكرة ؟ لن استلقى مرة أخرى على الفراش وأخضع لسلطان الاحلام .

ورأى القطة المخنوقة تنام على كوم زبالة أمام العمارة ، فعبر الباب الخارجى ووقف مترددا أمام حجرة البواب المغلقة وسأله عن أى خطاب وصل اليه،فأجابت زوجته من الداخل بالنفى وراحت تشكو له شقاوة الأولاد فىالعمارة ، فبدأ يصعد السلم قبل أن تذكر شيئا عن القطة المخنوقة ، وعندئذ شعر بأقدام تتحرك خلفه ، كان هو نفس الرجل الذى قابله فى صباح اليوم ونفس الابتسامة الخجولة كانت هناك ، على شفتيه ، بلا معنى محدد، عندما قال له :

ـ سمعت صوتا نسائيا يصرخ وأنا أصعد السلم باحثا عن شقة الضابط .. صوت نسائى أعقبه صوت رجل يتأوه ، كأنه يموت مودعا شيئا عزيزا عليه .. والبواب نائم .. ولم أعثر حتى الآن على شقةالضابط .. رغم حضورى مرتين .

تركه مواصلا الصعود ، كان باب الشقة المجاورة له مفتوحا ، وخط رفيع من الضوء يتسلل منه ، اقترب برأسه من الفرجة الضيقة للباب ، وجد الضوء خافتا فى الداخل ، ولذلك قدر أن أحدا لن يلحظ وجوده .. رأى الزوجة واقفة وقد اعتمدت بيديها على ظهر أحد المقاعد الكبيرة ، رآها منهارة ، ولا بد أنها كانت ترتدى ملابس خفيفة ، لأن صوتها كان مرتعشا ، كانت تنطق حروفا متفرقة ولا تقوى على نطق الكلمة مرة واحدة .

وشعر بالحيرة تغمره وهو واقف يتأملها .

انه رآها يوما واشتهاها ، فهل أذنب لأنه أبدى هذهالرغبة ، بينه وبين نفسه ؟ هل أذنب حقا ؟ ومتى تكف الأوهام عن مطاردته فى كل مكان ، متى يكسر حلقة الحديد التى تحيط برقبته ، يكسرها قبل أن تخنقه ..

عاد يتأمل الزوجة ، كانت تتكلم وتتكلم دون أن تتلقى أى جواب ، ولم يكن هناك أثر لوجود زوجها فى الصالة كما لم يكن هناك أثر لصوته .. كانت تحدث نفسها كأنها فى صلاة ..

وظل يتمشى فى حجرته حتى دقت الساعة مرتين ، كان مصرا على الاحتفاظ بتمام وعيه ومغالبة الأوهام .. ولم يسمع صرير المفاتيح فى الاقفال ، ولا السعال المزق تحت وقع الاقدام ، ولا صياح الديكة المزعوم ، فقال لنفسه :

ـ مهما كانت النتيجة فسأخرج لهم عندما يأتون .. سأخرج بنقط الدم على قميصى .. واتحدى الجموع وعلى فمى ابتسامة هادئة ..

أحمد هاشم الشريف


حكاية بسيطة
قصة : سعيد صبحي الصفانى

أطرق « حمدى » فى خجل وهو يلمح نظرات الاستنكار تخترقه من كل اتجاه من أبيه الجالس أمامه ، وأمه التى تجلس بجانبه ، وشقيقته الكبرى .. سبب المصائب التى حلت به .

لم يفعل شيئا رديئا يستحق عليه كل هذا ، لقد طلب فقط حذاء جديدا ، لأن حذاءه الحالى أصبح باليا وفى حالة لاتسمح له بالاستمرار أكثر من ذلك خطوة واحدة .

ومع هذا ... هم يستنكرون منه هذا الطلب !!! . وفى هذا الوقت بالذات — لماذا ؟ ... جهاز أخته الذى يكلف العائلة مالا تطيق والذى جعل أباه يستبدل بضعة جنيهات من معاشه حتى يسد هذه البالوعة التى فتحت ولا يعرف كيف يسدها .

(حمدى) تلميذ فى الاعدادية ، وغاوى كرة قدم ولا يستطيع أن يستغنى عن اللعب ابدا ، — حتى ولو شنقوه — . وهذا ما كاد أن يفعله أبوه فعلا . .عندما اكتشف أن هذه الهواية المفزعة تكلفه ثمن حذاء جديد كل بضعة أشهر .. مما يؤثر على ميزانيته التى أصبحت فى حالة من الارتباك ليس لها مثيل .

— انت أعمى ؟ !.

— حط فى عينك حصوة ملح ..

— نجيبلك منين ؟ ..

هكذا انفجروا فيه جميعا عندما عرض عليهم حذاءه البالى .. وطلب منهم حذاء جديدا .

انه ليس بأعمى ، ولا قصير النظر . فقط .. هو يريد الحذاء ليذهب به الى المدرسة صباحا ... ويلعب الكرة مع رفاقه بعد الظهر ... هكذا يفعل كل الصبية .. فلماذا يشذ هو عنهم ؟ ومادخله فى جهاز أختهوزفافها ؟ ولماذا يتحمل تضحيات بسببها ، وقد كانت تضربه وتشتمه بمناسبة وبغير مناسبة ...

صحيح أن اخلاقها تغيرت بعد الخطوبة ... ولكن آثارا من شراستها مازالت عالقة بها .. وهى آثار كافية لأن تنكد عليه حياته .

لن أتنازل عن طلب الحذاء مهما قالوا .. ومهما فعلوا ... هكذا صمم (حمدى) وعزم عزما أكيدا على تنفيذ تصميمه .. لن يخضع ولن يدعهم يتغلبون عليه ويجبرونه على الذهاب الى المدرسة بحذاء مرقع ويحرمونه من لعب الكرة .

ووقف فى سط الغرفة ينظر اليهم بتحد وصاح فى ثورة

— عايز جزمه جديدة .. والا مش حروح المدرسة بكره ...

وفوجىء حمدى بصوت أمه الساخر يرد عليه فى هدوء .

— هىء .. بناقص ... يعنى حتجيب السبع من ديله ؟!

وقال له أبوه فى ضيق

— اللى بينفع بينفع نفسه .

أما أخته فقد نهضت ثائرة وهى تصرخ فى وجهه

— عايز تطلع صايع ؟ .. طول عمرك خايب ... ودلوقت عامل الجزمة حجة عشان ماتروحش المدرسة ...

وجلست أخته وتركته يقف مذهولا يرقب علامات الرضا والاستحسان فى ملامح والدته .

هؤلاء الناس ، لماذا لا يفهمونه ويصرون دائما على اغاظته ؟ ان حذاءه

لن يكلفهم نصف ثمن واحد من تلك الاوانى النحاسية العديدة التى اشتروها لاخته ...

لماذا لا يضعون هم فى اعينهم حصوة ملح ويروا حذاءه البالى ؟ ... وهل يشرفهم ان يذهب الى المدرسة مهلهل الثياب وابوه موظف فى الحكومة ؟ ..

ان المعلم (حسان) صاحب «المجيرة» يرفض أن يقبل هذا لابنه رغم أنه أخيب حارس مرمى فى الحى كله .

وشعر باليأس ، وبالدموع تتحجز فى مآقيه ، فانطلق من الغرفة لا يلوى على شيء .

وعند ما اطمأن الوالد الى خروج الابن من الغرفة ، التفت الى زوجته قائلا

ــ الولد عنده حق يافهيمه .. الجزمه مقطعة خالص ودايبه أوى .. دا برضه فى وشنا .

ولوت الأم بوزها ، ورسمت حاجبيها فى وضع خاص قائلة فى ضيق

ــ اذا كان معاك ... هات له .

ورد الأب وهو يرمقها فى غيظ

ــ ما انتى عارفه البير وغطاه ... لازم أتكلم يعنى ؟

وأشاحت الأم بيدها فى غضب

ــ انت حر بأه مع ابنك ... اعمل اللى تعمله .

وثار الأب وهو يرى طريقة زوجته فى الرد عليه

ــ انتى عاملة لونة فى بلد قرفانه **ليه ؟ مش كفاية انتى وبنتك خاربين بيتى .. طالعين فى العالى ... وقاسمين وسطى وبرضه مش عاجب .. وحتة جزمة للولد مش عارف اجيبها له .**

وانطلق من الغرفة غاضبا . واعتكف فى غرفة نومه راقدا فوق الفراش وهو يزفر فى ضيق وغيظ . لقد نفد صبره ولا يستطيع الاحتمال أكثر من هذا . أفلسته هذه المرأة المجنونة هى وابنتها الحمقاء . لقد استبدل ثلاثة جنيهات من المعاش حتى الآن . بعد أن ضيع الجنيهات القليلة التى كان يدخرها فى دفتر البريد على الجهاز الفخم الذى تصر ابنته عليه .

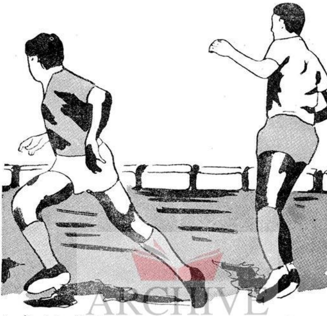
لم كل هذا ؟ وممن ستتزوج ؟ انها لن تتزوج أبا زيد الهلالى على أى حال .. اى شيء مستور كان يكفى .. لم الفشخرة اذن ؟ ولمصلحة من ؟ ..

الولد الغلبان ، ذكى ونبيه . لماذا أهمله كل هذا الوقت ؟ صحيح أنه شقى وعفريت لكن كل الصبية هكذا . وهو لم يطلب منه فى يوم ما الا الشيء الضرورى . ومع ذلك فقد كان يبخل عليه فى احيان كثيرة ليفرغ ما فى جيبه فى البالوعة التى فتحتها له زوجته وابنتها .

واخذ يعيد التفكير فى وضعه كزوج ، مهضوم الحق . مسلوب الارادة . فيشعر بثورة عارمة تفور فى صدره ، وبغيظ يكاد يشقه ويشطره . وتمنى لو دخلت عليه زوجته الآن لينفجر فيها ويصب فوق رأسها غضبه وثورته .

ونزل حمدى الى الشارع يسير بخطوات متثاقلة وهو يشعر بالضيق والقهر والحزن يكادان يعصرانه عصرا .

لماذا يعاملونه وكأن هناك ثأرا بينه وبينهم .. وأبوه .. لماذا يشترك معهم



.. ان أباه رجل طيب ... وهو يحس هذه الطيبة فيه وان لم يكن قد لمسها منه ، ويشعر انه مغلوب على أمره مثله ، كلاهما ضحية سيطرة أمه التى تريد أن تصرف الامور على هواها وحسب مزاجها . ولذلك .. فهى تدلل أخته وتقربها منها . وتعامله هو فى غلظة وجفوة . وألقى نظرة على الطريق كان قد وصل الى الشارع الخلفى الذى يتخذه هو وأصدقاؤه ملعبا لهم . يصرفون فيه الطاقة الحيوية الضخمة الكامنة فى أجسادهم الفتية . سواء فى مباريات كرة القدم التى يغرم بها معظم صبية الحى . أم فى اية العاب أخرى تتفتق عنها اذهانهم الخالية المنطلقة .

وكان الشارع فى ذلك الوقت مهجورا. فالساعة الآن الثانية . والشمس حامية. وجميع الاصدقاء قابعون فى البيوت فى انتظار أن تنكسر حدة الشمس . فينزلون الى الشارع بكراتهم الشراب والكاوتش ، ينبثون فى جميع الاركان ، يلعبون ويقفزون ويمرحون ويزيطون .. وكأن الدنيا أصبحت عالما مغلقا عليهم .

وهبط (حمدى) بنظراته الى حذائه وتأمله فى أسف وحزن . وزاد احساسه بالذلة والمهانة . وتذكر أن عليه أن يختفى اليوم عن أعين الاصدقاء . حتى لايدعونه الى اللعب معهم . ويضطر حينئذ أن يخترع لهم مبررا لرفضه اللعب يكفى لاقناعهم . خاصة وهو أكثر أبناء الحى نبوغا فى كرة القدم . حتى أن الكبار من طلبة الثانوى والجامعة يشركونه فى اللعب معهم فى مبارياتهم الكبيرة التى يلعبونها يوم الجمعة على

الكئوس الفضـــية المتواضـــعة التى يساهمون جميعاً فى ثمنها الذى لايتجاوز عادة جنيها أو اثنين ·

وعاد مرة أخرى الى تأمل حذائه فى حسرة وألم وغيظ ·

واحتار ·· لم يكن يعرف أين يذهب بعد أن خرج من البيت غاضبا دون أن يتناول غذاءه انه لايستطيع أن يذهب الى جدته · والا أسرع أحد أعمـامه الى اعادته لابيه خوفا من غضبه وثورته التى يتقون شرها · وشعر برغبة خبيثـــة للضحك عندما جال هذا الخاطر بذهنه· أبوه قاس أشد القســـوة مع جدته وأعمامه · ورخو الى درجة فظيعة أمام زوجته · كيف هذا ؟ ·· لاجواب · أو هكذا تهيأ له ·

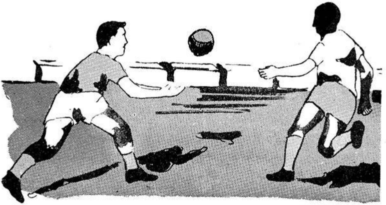
وتلفت حوله · فرأى نفسه قد وصل الى أحد الميادين الكبرى وقد بدت الحركة فيه سريعة مجنونة على خلاف شارعهم الهادىء المستسلم للنعاس فى هذا الوقت من النهار ·

سيارات الاتوبيس ·وعربات الترام· والسيارات الخاصـــة · وناس يجرون هنا وهناك وكأن ماردا ضـــخما يجرى وراءهم بعصا غليظة يهددهم بالفناء اذا عن لهم أن يتباطأوا أو يتكاسلوا ·

وشعر برغبة ملحة فى الهرب من هذا الضجيج المزعج · ويبعد عن هذا السباق المجنون الذى لايدرى علته · ويقطـــع عليه تفكيره فى حالته المؤسفة ·

وعرج على شارع جانبى هادىء · الا أنه لمح فى آخره زحاما شديدا تتعـــالى من وســـطه صـــيحات وصرخات غير مفهومة · وأحس بشىء يدفعـــه الى أن يغذ السير ويسرع الى مكان هذا التجمهر ليدرك سببه ·

وعندما اقترب منهم عرف السبب · فقد كانت احدى مباريات كرة القـــدم الهامة كتلك التى تجرى عنـــدهم فى الشارع أيام العطلات ، وبحث عن ثغرة له وسط الجمـــوع التى تحلقت حول الملعب الاسفلتى الصغير · واضـــطر أن



يحشر نفسه بين بعض المتفرجين حتى وصل الى مكان يطل على الملعب . يمكنه من مشاهدة المباراة واللاعبين بوضوح . وانهمك على الفور فى متابعة الكرة . وأرجل اللاعبين تلطمها فى قسوة . وهى حائرة بينهم لاتعرف لها مستقرا. أما اللاعبون أنفسهم فقد كانوا يتصببون عرقا .والتصقت فانلاتهم وقمصانهم بأجسادهم التى تلمع تحت وهج الشمس .

ولفت نظره منضدة خشبية صغيرة على الرصيف المقابل وضع فوقها كأس فضى صغير ... وجلس وراءها شاب بدين ، لايبدو على ملامحه حماس كبير للمباراة التى تجرى امامه . بل كان واضحا أن لاعلاقة له بهذه اللعبة اطلاقا .

واراد أن يعرف النتيجة ـ فقد كان واضحا أنه وصل متأخرا . فنظر حوله يتأمل وجوه الاشخاص الذين يقفون بجانبه ، فوجد على يمينه رجلا نوبيا أسمر يلبس جلبابا أبيض وطاقية بيضاء . فسأله فى خجل .

ـ هى النتيجة كام ؟

ونظر اليه الرجل باستغراب ثم قال له بسرعة حتى لايفوته شىء من المباراة

ـ النمر الذهبى غالب أربعة اتنين .

وأراد أن يسأله أى الفريقين هو النمر الذهبى .. الا أنه خجل عندما وجد الرجل منهمكا فى متابعة المباراة. فعاد الى متابعة الكرة بدوره . تتقاذفها الارجل والرءوس فى حمية وحماس . ووقع أحد اللاعبين على الارض. وانطلقت صفارة الحكم ـ الذى لم يكن قد رآه حتى هذه اللحظة ـ وتوقف اللعب . ونزل بعض الواقفين على الرصيف الى الملعب الاسفلتى وتحلقوا حول المصاب وهم يرمقون لاعبا آخر فى غضب .

لكن اللاعب المصاب قام بعد مدة قصيرة يعرج قليلا ويتمشى جيئة وذهابا . فلما اطمأن الىقدرته على اللعب صفر الحكم ... وعادت الكرة الى مواصلة رحلة العذاب التى لاتعرف لها نهاية ..

وشعر حمدى بالرجل النوبى يوجه اليه الحديث

ـ دايما نادى النجمة كده .. كل ما يتغلب .. يلعب ناشف .

ونظر (حمدى) اليه فى شرود . وهز رأسه علامة الموافقة .. اذن .. فالمصاب من فريق النمر الذهبى .. عال .. يستطيع الآن أن يتابع المباراة على نور . لكن صفارة الحكم انطلقت فى صرخة طويلة تنهى المباراة .

وفى سرعة البرق . وجد نفسه مدفوعا وسط الشارع تحت ضغط الجماهير الصاخبة التى هجمت على المنضدة تحاول أن تنتزع الكأس من يد الشاب البدين التى تقلصت عليه فى ذعر وخوف . خشية أن يسرقه سارق فى وسط هذا المولد . وارتفعت الهتافات . وعلت الصرخات . وامتلأ الشارع بهستريا صاخبة مجنونة ...

وبلا وعى اندفع (حمدى) يشارك فى هذه « الهيصة » . يهتف ويصرخ دون شعور . ويلوح بقبضته فى الهواء كأنه يتوعد عدوا مجهولا .

وفجأة انقلب كل شىء . ووجد

« حمدى) نفسه • وسط قطيع من الجماهير المذعورة التى تجرى بلا وعى • وكأن القيامة قد قامت • ولمح احدى عربات شرطة النجدة تدخل الشارع بصفاراتها الزاعقة المولولة • وعندئذ • لم يجد بدا من أن يجرى هو الآخر لينفد بجلده • فقد كانت رؤية أحد رجال الشرطة كافية لان تصيبه بالانهيار •

وأخذ يجرى بدون توقف حتى تقطعت أنفاسه • فأبطأ من سيره وهو يتلفت حوله خشية أن يكون قد لحق به أحد • ولكنه لم ير سوى النوبى • جاره فى المباراة • وقد أخرج منديلا منجيب جلبابه وأخذ يمسح به وجهه الاسمر اللامع • وعندما لمحه الرجل قال له فى غضب :

ـ الراجل الى اسمه أشرف ده مش جايبها البر •• كل جمعة يجيبلنا عربية النجدة ••

تقولش شارع أبوه ••

ونظر اليه (حمدى) لاهث الأنفاس ولم يقل شيئا • فتركه الرجل وانصرف •

وعندما هدأت أنفاسه • شعرببرودة خفيفة فى كتفه الأيمن • وألقى عليه نظرة فوجد كم قميصه قد انخلع من كتفه • وظهرت حمالة الفانلة البيضاء

مشكلة أخرى ••• هكذا فكر (حمدى) • فهو لم يكد ينتهى بعد من مشكلة الحذاء • واذا به يواجه هذا الاشكال الجديد الذى لايعرف له حلا ••

لاشك أنهم سيقذفونه من الشرفة عندما يدخل عليهم هكذا • وستجدها أخته فرصة للشماته والتشفى • ولمزيد من السخرية والتريقة •

وأحس بالغيظ • ولعن حظه التعس الذى يأبى الا أن يخذله فى أحرج الاوقات • ماذا يفعل الآن فى هذا الكم المقطوع ؟ •

ولم يكن فى حالة تسمح له بالاجابة على هذا السؤال • أو آية أسئلة أخرى• فقد كان التعب يهد جسده الغض • والحزن يمزق نفسه القلقة •

وعندما اكتشف أن قدميه تقودانه الى البيت • لم يستطع أن يمنعهما ، فقد يئس •• ولم يعد أمامه الا أن يسلم أمره لله • وليحدث ما يحدث ••

وفتحت أخته باب الشقه • وعندما لمح وجهها المكفهر • أيقن أن اليوم لن يمر بخير • فقد كانت سحب الشر تتجمع لتنقض ـ على ما يبدو ـ فوق رأسه المتعب •

واتجه الى غرفته • وخلع ملابسه فى هدوء ـ وارتدى بيجامته • ثم جلس على حافة الفراش • وعند ملامسة جسده المتعب للفراش المريح أحس بالنعاس يهاجمه بعنف •فألقى بجسده فوقه وهو يتنهد بعمق • لكن باب غرفته فتح فجأة وقفت أخته تقول له فى غيظ •

ـ مبسوط يا بوز الاخص • أهى ماما اتخانقت مع بابا عشانك •

ولم يرد عليها لأن النوم كان قد حمله الى عالم آخر •

سعيد صبحى الصفانى

محمد مندور

عزيز علينا أن نذكر الأستاذ الدكتور « محمد مندور » ، لا لنقدمه الى قراء الأدب والنقد ، ولكن لننعاه اليهم فى حسرة وتفجع .

فقدناه فى الشهر الماضى ، أكثر ما كنا رجاءفيه ، وحفاوة به . فقد دعوناه الى المشاركة فى هذا العدد من مجلة « القصة » ، عدد الطلائع ،لينقد ما تيسر له قراءته من القصص ، فرحب واستجاب ، وكان الأمل أن يكون ذلك فاتحة اتصال أوثق ، ومشاركة أبعد مدى .

ولكن للأقدار سخرية بما يفكر فيه المفكرون ،وما يريدون ... وكان من سخريتها بنا ، أن تحملنا صاغرين على أن نكتب اليوم هذه السطورفى تحية الراحل المأسوف عليه ، نقدم بها نقده الذى كتبه الى المجلة ، آخر ما كتب اليها أوبالأحرى أوله وآخره معا .

منذ ربع قرن أو يزيد ، ظهر فى الناس كتاب اسمه « **نماذج بشرية** » لكاتبه « **محمد مندور** » ، وأشهد أنى لم أكد أمضى فى قراءة بعض فصوله حتى تبين لى أنى بازاء كتاب فذ لكاتب فذ ، وأنه قد ولد فى العربية مؤلف فى النقد ليس لها بمثله عهد ، **فهو فى منهجه وفى مضمونه وفى صياغته** يدل على بصر بالفكر الحديث فى ارقى مستوياته ، **ووقوف على روائع الأدب عامة والأدب القصصى خاصة** ، ومهارة فائقة فى التركيز والاستخلاص والتوجيه .

ويومئذ أيقنت بأن سيكون هذا الكتاب بمثابة تربية نقدية لناشئة الادب وشداته وتذكرة نافعة للأدباء الرواد وطلائع النقاد .

وعرفت أن الدكتور « **محمد مندور** » تلقى ثقافته الادبية الرفيعة من أصفى الينابيع فى الغرب ، وأهل نفسه هنالك بدراسات عميقة فى ألوان من العلوم الانسانية والمعارف الكونية ، ورجع الى وطنه أستاذا جامعيا يبنى أجيالنا الصاعدة على أسس وطيدة ... **وما لبثنا أن رأيناه يترك مقعده من الجامعة ، وكأنه ضاق به ويخرج الى الآفاق الفساح ، يكتب فى الصحف اليومية تعليقا على شئون الحياة وشواغل المجتمع ،ويتناول فى المجلات الدوريه موضوعات حول النقد الأدبى متنوعة ، ويحاضر فى المعاهد الفنية وغيرالفنية ، ويلقى أحاديثه فى الاذاعة مرئية ومسموعة ، ويسهم فى ندواتها بالراى والمناقشة ،وهو فيما بين ذلك كله يؤلف أو يترجم ماضى العزم ، ناشط القلم .**

ولعل أكبر ما يميز الدكتور مندور أنه جرى فى النقد أول ما جرى على ما درس من مناهج وأصول اتباعية مقررة ، بيد أنه لم يتعصب لها ،ولم يقف عندها ، بل ساير الجديد فى عالم الفكر ، وتابع التطور فى مذاهب الأدب ، ولم يضرب صفحا عن المستحدث من أساليب النقد ، واذا هو يتمثله ويزنه أدق وزن ، ويخرج منه ناقدا أصيلاً ، بعيد أفق النظر ، مصقول الذوق. عدل التقدير ، مكتسبا من السماحة والمرونة ما يعصمه من التعسف ، وينأى به عن الجمود .

واذا كان الدكتور « محمد مندور » قد ودعنا اليوم ذلك الوداع المحتوم ، فقد **خلف لنا بآثاره نموذجا من النماذج الانسانية الممتازة ...نموذج أديب ناقد ، آمن برسالته ، فاداها فى أمانة ، وذهب راضيا مرضيا ، عليه صلوات من الله ورحمة .**

محمود تيمور

القصة القصيرة بين البساطة والتعقيد

نقد : د. محمد مندور

● قصة « التسلل » بقلم ضياء الشرقاوى ●

تبدأ هذه القصة بوصف نزعة عدم الانتماء عند بطلها ثم ينتقل الكاتب الى سرد قصة طالبة فى كلية الآداب « لقحت » نفسها على هذا الشاب عند التقائهما مصادفة فى القطار الذاهب الى بورسعيد ومقابلته لها بالصد والاحتقار ومع ذلك ظلت هـذه الفتاة تلاحقه وتتسلل الى بيته فى بورسعيد دون أن نتبين عندها أى عته أو شذوذ بل على العكس تبدو طبيعية بل ومثقفة تعرف ما تريد · ويستمر الشاب فى الصدود عنها ولكنه فى آخر لحظة فى القصة يضمها الى صدره وتنتهى القصة بقبلة طويلة متبادلة · وبذلك نجحت الفتاة فى تسللها اليه · وفى تضاعيف القصـة يتلو علينا الكاتب بلسان بطل القصـة آيات طويلة من التراتيل المسيحية لا نتبين ارتباطها العضـوى بالقصة رغم جمالها الروحى ·

ولسنا ندرى على وجه التحديد ماذا يريد الكاتب أن يقوله لنا من خلال قصته غير المألوفة فنحن لا ندرى أين توجد مثل هذه الفتاة ؟ وأين يوجد مثل هذا الفتى ؟ واذا كان هدفه هو أن يصور مصير اللامنتمى ووقوعه طال الزمن أو قصر بين براثن قوية غلابة فانه لم ينجح فى تجسيد وابراز هذه الفكرة الانسانية الاجتماعية الصميمة· واذا كان فى الحوار الذى يجرى بين الفتى والفتـاة شىء من اثارة الاحسـاس والتأمل فانه يدل على المهارة أكثر من دلالته على الصدق الفنى والصدق الانسانى · ويلوح لنا أن هذا الكاتب ربما كان أقدر على كتابة الحـوار المسرحى منه على الكتـابة فى الفن القصصى الذى لا بد من تطعيمـه بعنصرى الوصف والتحليـل فى تحـديد ابعـاد الشخصيات والجو الطبيعى والبشرى المحيط بها كعوامل أساسية تساعد على الفهم والتفسير · واذا كان المؤلف قد أوحى لنا فى مطلع قصته بما قد يساعد على تفسير موقف الشاب من هذه الفتاة فانه على العكس من ذلك لم يقدم لنـا أى مفتـاح لفهم شخصية الفتاة وتفسير سلوكها الشاذ بالنسبة لعرف حياتنا وتقاليدها ·

وفى النهاية أحب أن اسجل للكاتب براعته فى خفة الأسلوب وسرعته مع التركيز والقدرة على الايحاء بتركيب الحوار ذاته لا بمقاطعة مثل المحاولة المستمرة التى قام بها الشاب للهروب من الدخول فى حوار جدى قد يثير الاهتمام المتبادل بينه وبين الفتاة بتجنب الاجابة على اسئلتها ورد الكرة اليها باسئلة تنقل الحديث من مجال الى آخر تجنبا لتوليد الاهتمام · ففى مثل هذا الحوار ذكاء لا شك فيه **يؤيد ما قلته عن قدرة هذا الكاتب على الكتابة للمسرح أكثر من قدرته على الكتابة القصصية · ويا حبذا لو اتجه نحو المسرح الساخر فى مرارة ·**

***

● قصة « حول الرقبة » لاحمد هاشم الشريف ●

قصة « حول الرقبة » يبدو أن كاتبها قد قرأ الكثير ولكنه لم يهضم مما قرأ غير القليل · كما يبدو اما أنه ليس لديه شىء محدد يريد أن يقوله أو أن لديه هذا الشىء ولكنه عجز عن التعبير عنه صراحة أو ايحاء · فالقصة تتضمن تهويمات وانتقالات

مفاجئة من كابوس يقظة الى قطة ميتة على السلم الى هلوسة من الجار لزوجته الى مشاجرة بين راكب وعمال الترام ودم علق بقميصه من هذه المشاجرة • وأخذ يطوف بهذا القميص المبلل بالدم بين مقهى فى كلوت بك ومقعد فى حديقة الأزبكية وما الى ذلك من تسكعات خيالية يلوح أنها نتيجة لرواسب عديدة متنافرة من قراءاته فى الآداب الأوربية الحديثة من أمثال كتابات سارتر القصصية وادجار آلان بو ، بل وجماعة اللامعقول أيضا • وقد انعكس اضطراب مضمونه على أسلوب تعبيره والبناء الفنى لقصته الذى انتقل فيه أكثر من مرة من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم مما زاد قصته تفككا واضطرابا على نحو أفقد القصة وحدتها الفنية وعلتها الغائية على السواء . وما أظن مثل هذه القصة تروق غير النفوس الشاذة المريضة المضطربة أو المولعة بالاثارة التافهة المزعجة فى غير ضرورة فنية أو هدف انسانى صادق •

ونفس العيوب الناتجة عن اضطراب الرؤية الفنية والرؤية الانسانية نجدها فى أسلوب التعبير اللغوى • وما حاوله المؤلف من تصوير لا أرى مبررا لمتابعته واظهار فساده خلال القصة كلها مكتفيا ببعض أمثلة آخذها من الصفحة الأولى لهذه القصة مثل قوله « الغضب المطل من شرفات العيون » فما أظن أن شرفات العيون قد اكسبت التعبير الأدبى فى هذا الموضع شيئا من قوة أو جمال فى التصوير البيانى • وكذلك جمعه فى سطر واحد بين تشبيهه لبطل قصته عندما رفع رأسه بأنه « رفع راية التسليم » ثم اردافه هذا التعبير بقوله كأنه « البناء يتشقق » قبل أن ينهار فالتنافر واضح بين الصورتين والتكامل الفنى بالتالى منعدم بينهما تماما وانما هو حشد لرواسب من الصور لم يهضمها الكاتب ولم يتمثلها على نحو يمكنه من حسن الاستفادة منها • وكذلك تشبيه الآذان « بالشرك المنصوب » ينتظر حركة شفتيه فالصورة مجتلبة مفتعلة نحس فيها الجهد والتلمس • وكذلك جمعه بين « البئر المعتم » و « العيون العميقة كالصمت » فالتنافر بين الصورتين أيضا فاقع يوحى باستعراض العضلات الضار المفسد للفن •

ونصيحتى لهذا الكاتب هى أن يتمهل فى هضم ما يقرأ وتمثله حتى يصبح جزءا من ذاته بحيث يتخفف من عبء الذاكرة الذى يطمس اصالته وأن يتجه نحو التبسيط والتركيز ذاكرا أن الفن السليم غالبا ما يكون أن نصنع شيئا من لا شىء • وقمة الفن فى التعبير هو أن نقول اشياء كبيرة بألفاظ بسيطة وصور انسانية أقرب الى السليقة منها الى الصنعة المعقدة التى توحى بالجهد والافتعال ، ويا حبذا لو أدرك أن الفن التلقائى أسمى بكثير من الصفة المعقدة الحاوية وليكن له فى الطير الذى يغرد بسليقته أسوة حسنة • والصنعة كثيرا ما تكون قبرا مذهبا للموهبة التى أحس بأن كاتب القصة يملك بذرتها وأرجو أن يضيعها فى أرض مليئة بالملح ونشع الذاكرة •

***

● قصة « حكاية بسيطة » سعيد صبحي الصفاني ●

القصة حكاية بسيطة حقا ولكنها على بساطتها حكاية انسانية مؤثرة لا نعدم أن نلتقى بمثلها فى الحياة ٠ وهى قصة الشاب الصغير حمدى الذى بلى حذاؤه وطالب أهله بحذاء غيره ليستطيع مواصلة لعب الكرة مع أترابه فى الحى والذهاب الى المدرسة الاعدادية فى غير ذلة ولا خجل ٠ ولكن سيطرة أمه الحمقاء وتآمرها مع ابنتها الكبرى على امتصاص كل ما يملك الأب لشراء أثاث فاخر لهذه البنت التى يعدونها للزواج تغل يد الأب عن الاستجابة لمطلب ابنه ٠ ولكن الأب ينتفض ضميره ويثور على تسلط زوجته وابنتها الأحمق ٠ وتتعقد مشكلة الشاب الصغير بتمزيق كم قميصه فى زحام وجد نفسه فيه نتيجة لولعه بمشاهدة لعب الكرة بعد أن عز عليه الاشتراك فى هذا اللعب ٠ ويعود الشاب الى بيته فى حالة نفسية مضطربة لتلقاه أخته معلنة أنه قد تسبب فى تشابك أبيه مع أمه مما يوحى بأن هذا الأب قد استرد سلطانه على نحو يمكنه من عدم التضحية بابنه فى سبيل حماقة زوجته وابنته الكبرى وتطلعهما الأبله لبذخ لا يستطيعه ٠

ولقد تأثرت فعلا بمأساة الشاب الصغير حمدى رغم أن كاتب القصة لم يحاول أن يستجدى العطف عليه ٠ فأسلوبه دقيق مقتصد نأى به عن الطرطشة العاطفية مكتفيا بأن يترك المواقف البسيطة التى وصفها تجند مشاعرنا حول حمدى ٠ ويلوح أن الكاتب يملك القدرة على الملاحظة وانتقاء اللمسات الصغيرة الموحية على نحو ما هو واضح مثلا فى وصف المباراة التى شهدها حمدى والحوار أو محاولة الحوار السريعة الخاطفة بينه وبين البواب النوبى الذى تصادف وقوفه الى جواره ، كما عاد الى الالتقاء معه بعد أن فرق البوليس الجمع تلبية لاستنجاد أحد سكان الحى الذى لا يروقه شغل الشبان للطريق على هذا النحو ٠ فاللمسة التى أشار فيها الى الرجل النوبى وهو يخرج منديله ليجفف به عرقه الذى أخذ يتصبب على وجهه الأسود اللامع تدل على ذكاء فنى لا شك فيه ٠

وفى اعتقادى أن هذا الكاتب ما دام يملك القدرة على الملاحظة الدقيقة وموهبة حسن اختيار اللمسة الفنية المعبرة من الممكن أن ينتقل فى يسر من الحكاية البسيطة الى الحكاية المركبة بمزيد من قراءة عيون القصص الفنى العالمى من جهة ومطالعة كتب التراث العربى المتينة الأسلوب ليكتسب مزيدا من جمال الأسلوب وشاعريته ويا حبذا لو استطاع أن يجمع بين الروح الشاعرية وروح الابتسامة الحزينة المؤثرة ٠ وعلى أية حال فاننى أفضل هذه الحكاية على بساطتها على قصة **«حول الرقبة»** وقصة **«التسلل»** وذلك لطابعها الانسانى الصادق المؤثر فى غير ميوعة عاطفية ولا جفاف ذابل ٠ والكاتب على أية حال يلوح أنه يدرك **الوظيفة الأساسية للقصة القصيرة من حيث أنها تجسيد لفكرة أو احساس بواسطة مواقف ليس حتما أن تكون مركبة معقدة مادامت فى ذاتها قادرة على تحقيق الهدف من هذا الفن العسير ٠**



انتظار

قصة : فخري فايد





عقارب الساعة تتحرك فى بطء ..

دقائق وتصل . بل لعل الجرس يرن الآن وافتح الباب فأجدها لم تطق صبرا فحضرت كعادتها قبل ميعادها .

. .

. . .

. . . .

عقرب الدقائق يستقر فوق الثانية عشرة .

دقات الساعة ترن رتيبة وسط الفراغ .

انها الحادية عشر صباحا : موعدها . هى حتما تغادر الاتوبيس الآن وتتجه الى الباب وذهنها مشغول بالبحث عن ألف اعتذار لتسترضينى . ولكنى لن أدع الامر يمر ببساطة .

اننى لست ألعوبة تلهو بها كيفما تشاء . على أن ألقنها درسا قاسيا ،فمن تكون هذه الحشرة الحقيرة حتى تتأخر دقيقتين عن موعدها ! ..

سأضربها ..

سأجعلها تمرغ وجهها فوق ساقى .

.. بل سألقاها ببرود .

سأفتح الباب وأسألها .

ـ من تريدين يا سيدتى ؟

ـ أريدك أنت طبعا !

ـ آسف يا سيدتى . لقد أخطأت العنوان بثلاث دقائق .

.. وفى صمت . وهدوء ..

وباحتقار : أغلق الباب وعلى شفتى تتراقص ابتسامة هادئة .

. .

. . .

. . . .

عقاب الساعة تتحرك .

خمس دقائق مضت ..

هى المواصلات .

انها مزدحمة دائما . على الناس أن ينتظروا .. وينتظروا . وهى لاتستطيع أن تقطع المسافة مشيا . قد يكون هناك من يراقبها .

ألا لعنة الله على المواصلات .



عقارب الساعة تمضى فى اصرار .

انها الحادية عشرة وعشر دقائق ..

ليست حجة مواصلات . بامكانها أن تستعمل التاكسى اذا ما وجدت أن الاتوبيس سيجعلها تتأخر عن موعدها.

لو فعلت ذلك منذ خمس دقائق لكانت قد وصلت الآن .

هى ..

نعم . من أدرانى أنها ليست كذلك؟

.. ولكن . مع من ؟ ..

و .. أين ؟ .

يالها من انسانة تافهة حقيرة فاجرة .

بل أنا التافه الحقير الفاجر .

فأنا الذى دفعتها الى ذلك دفعا ،

وكان من المحتم ألا تحتمل وتفر منى .

فلقد كنت دائما جافا فى معاملتهـــا • كان يخيل الى أنى اله عليها أن تقدم لى القرابين •

•• ولكن هاهى ذى تملنى •

تمل البذل بلا مقابل •

وها أنا ذا جالس كالصنم انتظـــر مجيئها ولا أتحرك • بالرغم من كونى أريدها بكل جوارحى • ولكن •• هل من السهل عليها أن تدعنى هكذا ؟ •

أهكذا تهون العشرة ؟

لا • أبدا •• أبدا •

لا أعتقد أن ما بيننا ينتهى بمثل هذه البساطة • بل يجب الا ينتهى • يجب أن أؤمن مستقبلى من تراجعها ، على أن أقترن بها • ألا أدعها تفلت منى • فقط لو تجىء •



عقارب الساعة تتحرك •• تدور •
الدقائق تضيع •• تذهب •
ثمان وعشرون دقيقة •

يا ترى أين أنت الآن ؟

آه لو صدقت مخـاوفى وذهبت الى آخر •

اننى لا اتصور أن يحدث هذا •

لا أستطيع تصوره •

بل لا أستطيع تصوره •

•• بل لا أحتمل فكرة أن تفلتى من بين يدى بعدما وجدتك •

حقا • اعترف • بأنى كنت فظا فى معاملتك •

وها أنا أعترف وأتحول لانســـان جديد •

•• فقط • لو تجيئين •



عقارب الساعة تجرى •

انها الثانية عشرة الا ثلثا •

يا الهى كيف غابت عنى الحقيقة طوال تلك المدة !

فلم تعود ؟!

ولمن تعود ؟! •

أتعود لى ، أنا •• أنا الجاف كعـود الحطب ؟ ••

حتما ستار الحب انزاح عن عينيها ، فاكتشفت انى اتفه من أن تتعلق بى •

اننى أتذكر •

أذكر واحدة قبلها قالتها لى ببساطة مزقت أعماقى حينما عرضت عليهـــا قلبى :

ــ من تكون فى دنيا الرجـــال ياذا الانف الكبير ؟! •

•• أنفى كبير • كبير كبالون يشبه القلة • وليس فى ما يجذب المرأة •حتى لقد تساءلت مرارا : ما الذى يجعلهـا تتعلق بى هكذا الى حد الهيام ؟!

•• لقـد كانت فرصـتى وأضعتها بحمقى : أضعت عمرى •

..

...

....

جرس الباب يرن .

يا الهى .. لعلها هى .

لو يكون هذا الرنين من ضغطـــة اصبعها الرقيق .

سأمرغ وجهى فوق قدميها .

سأتوسل اليها أن تغفر لى جناياتى السابقة .

فقط .. لو تكون هى :

..

...

....

عقارب الساعة تتلكأ ..

انها الثانية عشرة الا عشر دقائق .

الباب يفتح ..

وأخيرا .. انت

تعالى ..

ادخلى ..

أدخلى ايتها المحبوبة .

يا اله العالمين . لكم أنا سعيد وأنا أضمك الى ..

.. لكم أنا نشـــوان با متلاكك بين ذراعى .

انت لى .

لى وحدى .

آية .. لكم أحبك . أحبك .

..

...

....

عقرب الثوانى يمر علىعقرب الدقائق فى لمسات سريعة نشوى .

..

...

....



عقرب الدقائق كاد يقترب من الثانية عشرة .

: والآن حدثينى . اين كنت طوال تلك المدة ؟

: ردى على . اين كنت ؟ .

: ....

: انتظر قليلا . سأحكى لك .

: بل أريدك أن تجيبى حالا . أين كنت ؟

ردى .

أتراك تعتقدين أنك بمثل فعلتك تلك تشدينى اليك وتظنين أنى سأنهـــار ساجدا تحت قدميك متوسلا أنترتبطى بى .

بحال من الاحـــوال ما كنت لاحزن لغيابك . فلقد كنتسعيدا طوال غيبتك .. سعيدا أغنى . وارفع ســـماعة التليفون مجددا علاقاتى بمن هنسيدات لك .

فاياك أن تحاولى ذلك معى ثانية :

ودعينى .

أغربى عن وجهى ايتها الحشرة .

اذهبى .'.

لا أود أن أرى وجهك .

: ماذا تقول . أنا لم أقصد اى شىء من هذا . لقد كنت أعود أبى بعــدما سمعت أنه مريض .

: تعودين أباك . تعودين امك . أنا
لا أهتم بهذا . أنا لا أهتم به . فقط..
أنا لا أقبل اعتذارات . واقسم بانني
لو لم أكن كريما لما أدخلتك من باب
شقتي ولصفقت الباب في وجهك .
والآن . اخرجي .
اخرجي حالا .

..

...

....

الباب يفتح بسرعة ، ثم يغلق بعنف.



عقرب الدقائق الملتحم بعقرب الساعات ابتدأ يغادره .

الدقات التى انسابت قوية فى البداية راحت تضعف وتتردد وسط الفراغ فى وهن .

..

...

....

حسنا ما فعلت . لقد لقنتها درسا قاسيا حتى تتعلم كيف تحترم مواعيدى

.. بل .

بل .. بل انه هوس . جنون .

فلقد فقدتها .. اضعتها .

عيناها قالتا انها لن ترجع .
لقد أضعتها ..

أضعتها بحمقى . أضعت عمرى .

يا الهى ..

لم تصرفت هكذا ؟!!

لم .. لم

..

...

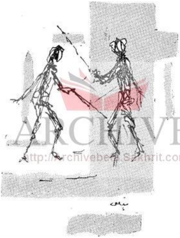
....

صوت بكاء مفجوع .
عقارب الساعة توقفت فى اصرار .

فخرى فايد



قصة : كمال حمدي



منطق الشك

ـ اسمحوا لى أن أتكلم ساعة واحدة ٠٠ بلا مقاطعة ٠٠ لا تخشوا شيئا ٠٠ فما جئت للدفاع عن نفسى ٠٠ انما جئت لاكشف لكم عن بعض خبايا نفسه ٠٠ مثل ما كشف هو عن خبايا نفسى التى ساءتكم كثيرا ٠٠ نعم سأكشف لكم الآن عن خبايا نفسه التى ـ لا شك ستسوءكم أكثر ٠٠ وهناك قاعدة تقول ٠٠ اذا اختلف اللصان ظهر المسروق٠٠ وها نحن ـ الصديقان ٠٠ نختلف أمامكم ٠٠٠ اختلافا سيظهر منه أكثر من مسروق ٠٠٠ بشاعتى ٠٠ وبشاعته ٠٠ أما بشاعتى فلقد وضحت لكم ٠٠ وبقى لى أن أوضح مدى بشاعته ٠٠ رد دين لا مفر له منه ٠٠

والحقيقة أن اختلافنا غريب٠٠فالواقع أننا لم نختلف يوما قط ٠٠ ولم يحدث بيننا سوء تفاهم ٠٠ انما الذى حدث هو نوع من الغدر من جانبه ٠٠ غدر ـ لاشك ـ أنه على جانب كبيرمن الادراك والوعى ٠٠ فبينما هو ٠٠ يكشف لكم عن سلوكى الخسيس بالنسبة لكم يمد يده لى فى الجانب الآخر ٠٠ مصافحا ٠٠ صادقا فى اخلاصه ٠٠ على الاقل كما كان يبدو لى ٠٠٠ والآن أدركت لعبته٠٠ وكما غدر ٠٠ سأغدر ٠٠ بفرق بسيط ٠٠ يداى الاثنتان أمامكم مبسوطتان٠٠ لن تكون هناك يد تصفع ٠ ويد تسلم ٠٠بل صفعاتى ٠٠ باليدين ٠٠ لاخفاء هناك ٠٠

أرسلت اليه انصحه ٠٠ ألا يتزوج ابنتكم ٠٠ أنا ابن عمها ٠٠ أقرب الناس اليها ٠٠ وذممت فيها ما شاء لى الذم ٠٠ فاذا ما أرسلته اليه ٠٠ دليلا يديننى عندكم ٠٠ اطلعكم اياه بطريقة مسرحية صبيانية ٠ ٠

« هأنذا اكشف لكم عنه ٠٠ انظروا كم هو خسيس ٠٠ يأكل من خبزكم٠٠ يشاركم أفراحكم ٠٠ وتجرى دماؤكم فى عروقه٠٠ ثم بعدهذا يكتبلى نصيحة صادقة خالصة ٠٠ ألا انتسب اليكم ٠٠ فنسبكم عار يخجل منه الانسان ٠٠ لا تدخلوا هذا الشخص مرة ثانية الى المنزل ٠٠ اطردوه ٠٠ أوصدوا بابكم من دونه ٠٠ »

ثرتم أنتم ٠٠ وقررت أن تتبعوا ما أمر به ٠٠ **ولم تسألوا أنفسكم ٠٠ سؤالا واحدا بسيطا ٠٠**

لماذا يطلعنا على تلك الخطابات ٠٠؟

والأمر حتى وان كان فى صورة ذم٠٠ لا يخرج عن كونه نصيحة من صديق الى صديق٠٠ لاتجبره على شىء ٠٠ يكفيه أن يجيبه٠٠ برفض النصيحة٠٠ وينتهى الاشكال ٠٠ « وليمت العزول بغيظه » ٠٠ هذا السؤال لم يتبادر الى أذهانكم ٠٠ لأنه لا شك ٠٠ سيجر خلفه أسئلة كثيرة ٠٠ تضع أنفسكم فى وضع محرج ٠٠ لا قبل لكم به ٠٠ هناك المثل الذى يقول « الذى ابلغك السوء ٠٠ هو الذى أساءك » ٠٠٠ وهناك السؤال ٠٠ الذى يتبع ٠٠ هل هذه الشخصية ٠٠ جديرة بالانتساب اليها ٠٠ تلك التى تغدر بأصدقائها على هذا النحو ٠٠ وانتم تعلمون ٠٠ مدى صداقتنا وعمقها ٠٠ بل ان معرفتكم به ٠٠ جاءت عن طريقى أنا ٠٠ فكيف يحدث هذا ٠٠؟

لن استطرد فى التجريح ٠٠ فحمدى هو حمدى٠٠ لا تخفى عليكم معرفته من تصرفاته ٠٠ ولابأس أن تقبلوا عيوبه

٠٠ **لكن السؤال** الذى أريد لكم أن تحاولوا معرفة اجابته ٠٠ ما هو هدفه

الحقيقي من وراء اطلاعه لكم على تلك الخطابات ٠٠؟! ما الذى يدفعه الى اتخاذ ذلك السلوك المشين ٠٠ الغدر ٠٠ الخيانة والفتنة والوقيعة ما المبرر ؟٠٠

سنختلف لا شك في الاجابة٠٠ ولكن اجابتى الوحيدة ٠٠ التى أملك الدليل القاطع عليها ٠٠ هو انه يريد أن يدفعنى الى أن أغدر به ٠٠ كما غدر ٠٠ واكشف لكم عن رسائله ٠٠ التى تسوءكم أكثر من اساءة خطاباتى اليه ٠٠ تكشف عن تردده ٠٠ وسؤاله لى الملح ٠٠ عن نصيحة ٠ ٠أيقدم ٠ ٠أم يحجم ٠٠ وعن وصف لابنتكم لا يشرف ٠٠ ذلك لانى لا أرسل له النصيحة ٠٠ الا اذا سألنى اياها ٠٠ وبعد هذا ٠٠ لايستطيع أحد أن يسلبنى ٠٠ حرية ٠٠ أن أنصح من أريد ٠٠ دون التقيد بأى اعتبار ٠٠ فالحقيقة ٠٠ يجب أن يضحى من أجلها كل شيء ٠٠ وأنا عاشق الحقيقة ٠٠ والآن ٠٠ اذا كشفت لكم عن رسائله ٠٠ ستضطرون الى فسخ الخطبة ٠٠ من جانبكم ان كنتم تملكون شيئا من الكرامة ٠٠ فلا يخسر هو شيئا ٠٠ وينتهى الامر الى ما يريد ٠٠٠

ـ اطلعنا على تلك الرسائل ٠٠

قالها الاب فى حدة ٠٠

ـ لا شك ٠٠ سأطلعكم عليها ٠٠ ولكن هناك شرطا اشترطه ٠٠ فكما طلب هو ايصاد بابكم دونى ٠٠ اطالبكم بنفس الشيء ٠٠ اذا كنت صادقا فيماادعيه ٠٠

ـ لك ما تطلب ٠٠

ـ أريد قسما منها هى أن تفسخ تلك الخطبة فورا ٠ ٠اذا كانت رسائله تحوى تجريحا مباشرا لها ٠٠

صمت الجميع ٠٠ ولحظة التردد طالت أكثر مما ينبغى٠٠ فأضفت ـ لكى اخفف من شرط القسم ٠٠ تلك الخطابات سأقرأها لكم ٠ بعد القسم ـ لكنكم لن تروها حتى اتيح الفرصة لصديق العمر ٠٠ أن ينكرها ٠٠ اذا أنكرها هو ٠٠ سأنكرها أنا كذلك ٠٠٠ بمثالية مخضبة بكرامة مهدرة ٠٠ كرامتى أنا ٠٠

نظرت اليها ٠٠ « يسرية » تلك الفتاة التى عشقتها منذ صباى ٠٠ تراها ماذا ستقول الآن ٠٠ الكلمة كلمتها ٠٠ ولكن ٠٠ كما يحدث الشيء غير المتوقع فى الحياة دائما جاء صوت حمدى فى تحد صارخ ٠٠٠

ـ اقسمى لينكشف أصله ٠٠ أنا لم أرسل اليه شيئا من هذا أبدا ٠٠

ـ لا تنكر الآن شيئا ٠٠ أرجوك ٠٠ يكفى منك ما أهنتنى به ٠٠ لن أدع لك فرصة اهانتى مرة ثانية ٠٠ هل فهمت ٠٠ انى اتيح لك أن تنكر ما كتبته ٠٠ بعد أن اقرأه عليهم ٠٠٠ أولا ٠٠٠

اجابنى فى حدة صارخة ٠٠

ـ الحق لى ـ انكرها قبل ٠٠ وبعد ٠٠ اقسمى ٠٠ أقول لكم صادقا ٠٠٠ ليس هناك ما أخشى منه ٠٠ اقسمى ٠٠ انت ٠٠ يسرية ٠٠ الحقيقة ستضيع ٠٠ ان لم تقسمى ٠٠ والحقيقة حتى وان كانت مؤلمة أفضل بكثير من الجهل الشاك ٠٠

٠٠ نهض الاب متثاقلا ٠٠ وكلامه الهادىء يتردد ٠٠

ــ أطفال انتم أم كبار ٠٠ اننا نريد أن ننهي المشكل الآن٠٠ دون أن نخسركما أنتم الاثنين ٠٠ اعتذر يا حمدى له ٠٠ عن سلوكك المعاب ٠٠ لقد أخطأت حقيقة يا حمدى ٠٠ في اطلاعنا على تلك الخطابات ٠٠ اعتذر له ٠٠ ومن جانبنا نحن ٠٠ سننسى كل شيء ٠٠ سنصفح عنكما انتما الاثنين ٠٠ الحياة كلها هكذا ٠٠ كلام يقال من الخلف ٠٠ وينكر من الامام ٠٠٠

ــ كلا أبى ٠٠ يجب أن تظهر الحقيقة مهما كان أمرها ٠ كلمتها الاولى قيلت٠٠ تريد الحقيقة ٠٠ الآن ٠٠ الحقيقة كانت بجوارها سنوات طوالا ٠٠ولم تدركها ٠٠فأى حقيقة تريدها ٠٠؟

ينهض حمدى وبلهجة بطولية حاسمة تلفها المرارة من كل جانب ٠٠

ــ ان اردتنى زوجا لك ٠٠ يجب أن تثق بى٠٠ يجب أن تقسمى٠٠ وصراحة ان لم تقسمى الآن ٠٠ لا أستطيع الزواج منك ٠٠ ما دمت ٠٠ لا تثق بى ٠٠

ندت منى ضحكة ساخرة ٠٠

ــ اذن فى الحالتين ٠٠ لن يكون هناك زواج ٠٠

عبارتى ٠٠ خرجت دون تحكم ٠٠ ما كان يجب أن تقال٠٠ اسرعت بالموقف الى نهايته انتى لا أريدها ٠٠ نهاية تضعنى فى مأزق ولكن ضيق تسلط عليه الأضواء ٠

ــ سأقسم لك ٠٠ ما تريد ٠٠

٠٠ قالتها ٠٠ ما كنت أتوقع هذا ٠٠ فحمدى عريس جيد ٠٠ من الخطورة المجازفة به ٠٠ لكن هذا المأزق الذى دفعت اليه ٠٠ اعددت مخرجه ٠٠ بمنطق محكم لعبتى الاخيرة ٠٠ « انتظرى ٠٠٠ فسرت لك حقيقة هدفه الدنىء ٠٠ هو أن أكشف لك عن رسائله ٠٠ بما فيها من خسة واهانة ٠٠ تجرحك ٠٠ فتفسخ الخطبة ٠٠ من جانبك ٠٠ ولا يخسر هو شيئا ٠٠ فاذا اطلعتك على خطاباته ٠٠ حقق هو هدفه ٠٠ عن طريقى ٠٠ ولكنى ٠٠ الآن ٠٠ الآن فقط ٠٠ لن اسمح لنفسى أن تكون وسيلة لتحقيق مآربه ٠٠ فاسمحى لى ٠٠ أن اعتذر ٠٠وأن احجب عنك الرسائل ٠٠ بل لأمزقها أمامك الآن ٠٠ وسأكون أول المهنئين لزواجكما السعيد ٠٠ لا شك » ٠٠ عبارتى الاخيرة قيلت فى شيء من التمثيل البارع المتقن ٠٠٠ وجاء صوتها الشاك يتردد الى أذنى ٠٠ خافتا مؤلما ٠٠

ــ ولكنك ٠٠ قد تكون كاذبا ٠٠ وهذه الرسائل لا وجود لها أصلا ٠٠

جاءت اجابتى الساخرة ٠٠ وأنا أودع ٠٠

ــ اننا نعتبر الامور صادقة أو كاذبة وفقا لصالحنا ٠٠ والحكم لك الآن ٠٠ ان اعتبرتنى كاذبا ٠٠ فأنا كاذب ٠٠ ولكن حذار من النعامة التى تخبىء رأسها فى الرمال ٠٠ هربا من وحش مفترس٠

ــ انت الوحش فعلا ٠٠

رددتها ٠٠ ويدها تمسك بخاتم الخطبة لتخلعه من أصبع مرمرى أبيض٠

ـ أليس هذا ما تريد ·· أنا لا أريد بعد الآن ·· ان أشترك معكم فى أمثال تلك الالاعيب الوقحة ·· ابى ·· اذا سمحت اليك قرارى الاخير لن اتزوج حمدى ··

ـ لا تتسرعى ··· سينتهى كل شىء على خير ··

ـ أيا كانت النهاية ·· ومهما كانت التضحية التى أقدم عليها جسيمة ·· ومهما كان القرار خطيرا ·· هذا هو قرارى النهائى ·· أرجوك ·· ألا تراجعنى فيه ·· مرة ثانية ·· أبدا ··

·· قامت لتنصرف ·· وكحائط مسدود وقف حمدى يهدر بكلماته المحتدة

ـ أتصدقينه ·· وأنا ··· أهكذا ينتهى الامر ·· « يسرية » ··

ـ ليس الموضوع صدقا أو كذبا ·· بل هو شعور تطرق اليه الشك ·· ليت الشعور تحكمه الارادة ·· اذن لقضيت على ذلك الشك ·· الذى يهدم أجمل أمل كنت أملكه فى حياتى ·· حمدى ·· هكذا انتهى ما بيننا حقا ·· فاغفر لى انى لا استطيع أن أهبك نفسى ·· وخفقة شك ·· تسكن بين جنباتى نحوك ··

أما أنت ·· فقد تحقق ما تريد ·· فاسعد بانتصارك ·· الاخير ··

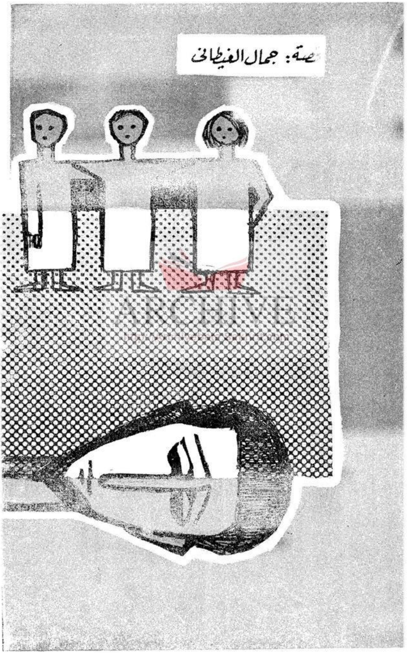
··· حدجتنى بنظرة احتقار ··· اماتت فى كل شعور بالكرامة واحيت فى نفسى زهو الانتقام منها ·· تلك التى لم تشعر بى يوما فى حياتها ··

فكت الخطبة ·· وتحقق ما أريد ·· وجاء صوت حمدى نهاية ثورته ·· من أجل لا شىء ··

ـ عرفت الآن قيمة المبارزة · ليست من الهمجية فى شىء كما يدعون ··· ولكنها الوسيلة الوحيدة ·· للقضاء على أمثالك ·· المبارزة ·· وسيلة لاضافة الكمال للقانون ·· الذى لا يستطيع أن يدين بغير أدلة قاطعة اما المبارزة ·· فهى حكم ·· بناء على دليل واضح ·· وان لم يكن قاطعا ·· حقيقة ·· حكمها الاخير للاقوى ·· ولكن كرامة الانسان لن تكون جديرة ان لم تساندها القوة للمحافظة عليها ·· والا ·· فالموت أشرف ·· انزوج مثلا المخدوع فى امرأته ·· الاشاعات تصل الى أذنه ·· لكنه لا يملك الدليل ·· حتى يثأر أو على الاقل ينفصل عنهما ليس هناك من وسيلة سوى أن يسكب كوب ماء فى وجه عشيق زوجته ·· فتقوم المبارزة ·· ليثأر لشرفه المهدر فى نبل وشجاعة ·· والنهاية ·· البقاء لمن يجدر له البقاء ··· وها هى كوبة الماء اسكبها عليك ·· فهل تبارزنى؟

وثبت سريعا ·· فلم تصبنى سوى قطرات ماء متناثرة ··· أجبته بضحكة ساخرة · ولكن القانون يمنع المبارزة ·· الآن ·· الا تدرك هذا ··؟

رثيت له ·· صديق العمر ··· أوصدت بابها دونى غدرا وخيانة ·· وأوصدت أنا بابها دونه ·· بتأثيل لا أملكه ·· ما أقوى انتصارى وما أجمل زهو نفسى ·· منطق الشك ·· هو سلاحى الحاد ··· دائما فى خدمتى ·


قصة: جمال الغيطاني

أحراش المدينة

متولى

٠٠ كيف جئت ؟؟ كم اشـارة مرور عبرت الى هذا الشارع ؟ فجأة انتبهت الى قدمى فوق رصيف شـارع سـليمان ٠ آخر طريق أذكره جيدا سور الازبكية ، وقفت عند باعة الكتب ٠ لم أجد كتبا جديدة ، عندما تجاوزت منتصف السور واقتربت من مدخل الحديقة استنشقت بقوة رائحة فول سودانى، دخان يتصاعد من مدخنة قصيرة ، وقفت خلف بائعة الفول ٠ كتمت أنفاسى٠ يد خشنةقاسية تقبض قلبى ٠ انحناءة الظهر ٠ الطرحة السوداء ٠ درت حولهـا ٠ رفعت وجهها وقالت فول يا بك ؟٠ خاب أملى عندئذ٠ شعرت بحنين ، فى ذقنهـا وشم أخضر مثلث باهت كأمى تقـارب الخمسـين ٠ أمى ليس لها شهادة ميلاد ، سألتها ٠٠ كم عمرك يا أمى ؟ لا أعرف ٠ قلت كيف؟ قالت عندنا فى البلدة لا تبلغ العائلة عن وليـدها فنبقى بلا شـهادة ميلاد ٠ أى حنين ملأ نفسى لهذه المرأة بائعة الفول ؟ لو سألتها من أى بلدة أنت ؟ كدت أقول لهـا اتعرفين انك تشبهين أمى ؟ انطفأ نور اعلان أحمـر فوق واجهـة متجر ثم اضــاء ٠ فحسست جيبى ٠ آه لو معى قرش زيادة عن حاجتى لاشتريت منها٠٠ ضحكت بنت تمشى خلفى ٠ توقف شاب يتأبط ذراع فتــاة أمام متجر ، عبرت اشارة المرور، صاح الجندى٠٠ اسرع٠٠ اسرع ٠٠ وصـلت الى الرصيف ، ولم اعتقد أنها تبيـع الفول ؟ أى شىء تبيعه اذن ؟ التين الشـوكى ؟ وهـل تحتمل أصابعها شوك التين وانتزاعه آخر الليل بملقاط ؟ لا أظن ٠ ربما تبيع البليلة أو لقمـة القـاضى ٠ الحلوى أمام مدارس الاطفـال ٠٠ ياه ٠٠ هـذه أشياء كانت تعـدها لى أنا فى طبق أو اثنين ، ولم لا تعدها للناس ؟٠ بدلا من واحد عشرة ، آه لو يوجد سجل يحوى أسماء البائعات كلهن ؟٠ ولو يوجد سجل كهذا لذهبت اليه وبحثت فيه عن اسمها وعرفت أين هى وأى شىء تبيع ؟٠ من أيام ٠٠ قمت مبكرا ٠ صباح الشتاء غامق٠٠ انبعث فى الصمت صفير راديو حاد ٠ لم تعمل محطات الاذاعة بعد ٠ مرت فترة ودقت سـاعة بعيـدة ست مرات رزينـة باردة عميقة كالشتاء ، عند هذه الدقات استرد حريتى ، قفـزت من السرير ولم أحدث ضـجة حتى لا أوقظ صـاحبى الراقد بجوارى ، خرجت ، الجـو بارد ، برودة ثلجية تلسع الاطراف ، انفى وجبهتى وأذنى ٠ قميصى خفيف ، زمان ٠٠ عندما كنت أقصر من طولى الآن بخمس عشرة سنتيمترا أو أصـغر من عمـرى تسـع سنوات ،كانت تقف بجسمها البـدين القصير ٠٠

لا تخلع ملابسك الثقيلة ٠٠ الدنيا برد؟

فى السماء غمام رمادى متلاصق معتم، تمم البيوت الصفراء غارقة فى ضباب٠

لم أر ضبابا أشد ولا أكثف من هذا الضباب المخيم فوق القاهرة فى الصباح، ثقيل .. لزج كاللبن ، من بعيد أصوات مخنوقة مرتجفة ، فكرت بأى مدرسة أبدأ ؟ وبالليل قبل نومى قال زميلى ..

ـ ابحث عنها أمام أى مدرسة ربما تبيع الحلوى للصغار .. أو البسكويت . يوجد عدد كبير من المدارس فى الحى ؟

.. أظن سبعة .. تسعة .. معظمهم مدارس ابتدائية وعلى العموم أسأل المدارس هنا فى حوارى وأزقة .

الشارع خال فى الصباح الا من بعض العمال يسيرون بسرعة . وعندما كنت أعمل فى ذلك المصنع، تبدأ نوبة العمل فى السابعة صباحا بالنسبة للسيدات، وهل هن سيدات ؟ ها سيدات ؟ أما الرجال فالسادسة والربع أقصى حد . بعدها الدقيقة بربع يوم ، لم يخصم منى مليما واحدا . أمى توقظنى فى الصباح على الرغم من البرد ، برد الشتاء، عربات الفول تقرقع عجلاتها الخشبية فوق بلاط الشارع المضلع، بعض الفوانيس مضاءة، نورها يسيل ، شريط رفيع مختنق من الزيت ، زمان فى يوم الجمعة بالذات أنام حتى التاسعة ، تتركنى أنام ، عندما أصحو أظل فى الفراش مغمض العينين . أفكر فى أشياء وأشياء ، أشعر بها تقترب منى ، تمد يدها لتلمس جبهتى ، تتراجع وتهمس لينم ويشبع نوما ، تعود الى جلستها ، آه يا أمى .. آه يا أمى لو رأيتهم فى السجن كيف تنهال عصيهم علينا لنقوم فى منتصف ليل الثلج ، أى شىء تفعلينه وقتئذ ؟ توقفت فجأة ، مرقت سيارات عديدة ضخمة وجلس شبان على سور حديدى أمام مطعم ، يعلقون حول أكتافهم « بلوفرات » صوف ثقيلة ، شعرت بوخز البرد فى جسمى، اهذه طريقتكم لارتداء الملابس ؟ مد شاب يده وغمز فتاة ، نظرت اليه بغضب بتهتك ، كم الساعة الآن ؟ لو معى ساعة لن اسأل بنتا فمنظرى لن يأت لى بالرد، رجل أنيق .

ـ كم الساعة من فضلك ؟

ـ آه ؟ آه .. سيكس آندهاف ..

مصرى ؟ كأنه يقول لى يابن الكلب.. آندهاف ؟ لو عندى القدرة على الضحك لأستلقيت على قفاى ، والله حول رقبته سلسلة ، لم يتبق الكثير على القهوة ، لن أفكر فيه .. كيف تعثر على أمك وآلاف منه موجودون ؟ القهوة ، لم يتبق الكثير عليها ، دقت الساعة يومها سبع دقات، درت على المدارس فى الحى واحدة بعد الأخرى ، بدأ الطريق يزدحم بالصغار ، جاء بائع كشرى ، وبائع حمص شامى ، التف حولهما الصغار ، رحت أرقب وأبحث ، أقتربت من تلميذ صغير أمام مدرسة أخرى فى حارة بعيدة ..

يا شاطر .. الا تأت الى هنا بائعات؟

أى بائعات ؟

نساء عجائز يبعن أى شىء .. لسن عجائز تماما .. حلوى .. دوم . ألم تر واحدة قصيرة فى وجهها وشم أخضر.

رفع رأسه . قال ..

.. هناك واحدة ضائعة منك كالتى تصفها ؟.

خفق قلبى كما لم يخفق أبدا ، ملامحه بها شىء .

.. نعم ابحث عن واحدة مثلها ..

قال الصغير ٠٠

٠٠ فى هذا المكان ٠٠ بجوار سور الجامع ٠٠ هذا السور الحديدى ٠٠ كانت تجلس امرأة ٠ أتقول أنها قصيرة؟ كانت طيبة ولا تضحك على أحدنا وتتوصى بى ٠٠ و ٠٠ و ٠٠

٠٠ أين راحت ٠٠ أين راحت ٠٠ أين ؟

٠٠ أين راحت ؟ طردها شيخ الجامع مرة ٠٠ رجعت ثانى يوم وجلست هنا مكان وقوفى ٠٠ نعم هنا ٠٠ وعندما رجعنا من الاجازة لم نجدها ٠٠ لكن والله سألنا بعضنا عنها ٠

٠٠ ألم ترها فى شارع ٠٠ ميدان ٠٠ حارة ؟

حارة ؟

قال عم اسماعيل بائع الفول ٠٠

٠٠ حارة الوطاويط ٠٠ هل تعرفها ؟

٠٠ طبعا مررت بها كثيرا ٠٠

٠٠ رأيت هناك امرأة ترتدى ثوبا أسود تجلس باستمرار ٠٠

حارة الوطاويط ضيقة مبلطة ، قال صاحب دكان الورق الواقع بالقرب منها٠

٠٠ فى هذه الزاوية رأيتها كثيرا ٠٠ صامتة مغمضة العينين ترتدى دائما ثوبا واحدا لا تكلم أحدا ولا يكلمها أحد ٠٠ ويقول محمد فراش هذه المدرسة انه سمعها تبكى فى ليلة سوداء هطلت فيها الأمطار وأظن أننى لم أرها بعد ذلك ٠ سألت بأسى ٠ بعد هذه الليلة ؟ قال نعم٠ الا تعرف أين راحت ؟ قال لا أدرى ربما تجلس حول سيدنا الحسين فالمجذوبات يتمن هناك باستمرار ، قلت وهل بدت عليها علامات المجاذيب ؟ أجاب بصراحة والله أبدا ٠٠ لم تذكر شيئا أبدا ٠٠ صمت لحظة وقال ٠٠ لم تسأل هل أنت صحفى ؟ قلت أبدا ٠٠ أبدا لست صحفيا ٠٠ درت حول سيدنا الحسين ٠ أين أنت يا أمى ؟ نساء يلبسن ثيابا بيضاء وخضراء ٠ سألت عامل مقهى ، قال لا أعرف ٠ سألت خادم الجامع ، قال لم أرها ٠ سألت ، درت ٠٠ الصمت٠٠ هكذا ؟ أهكذا ياأمى ؟ تذهبين ولا أدرى أين أنت ؟ خطاباتك وصلتنى بالعدد هناك٠ ثلاثة ٠ احفظهم فى جيبى، آه لو أعرفمن كتبهم لك؟ خمسسنوات ظللت أرى المغرب فيها أصفر كلون الرمال ٠ السجن بصقة رجل مسلول فى صحراء واسعة مخيفة ٠ فى وقت الراحة أجلس ورأسى بين يدى٠ الشعور بالخوف عليها يأكل نفسى كل يوم كعود كاوية حارقة ٠ أى شىء تفعله الآن ؟ كيف تعيش ؟ كيف تفكر ؟ أمى التى لو وضعتها على رأس الحارة لا تعرف طريق العودة الى البيت ؟ ويقول زملائى لا تشغل بالك ألم تقل انها تعرف حياكة الثياب؟ ربما ذهبت الىأقاربها ٠ وتنزلق الشمس مختفية وراء الأفق ٠ يسودنا سكون كئيب ، يجلس فوقنا الصمت ، الورقة لا تزال مدلاة من يدى ، يرتفع صوت زميل من خلفى ، مؤلما خافتا ، أتعرف أشعر بها كانها أمى لم تكن لى أم طوال حياتى ان قلقى على أمك لا يقل عنك أبدا ٠٠ اسمح لى ، يقول آخر ، اننا نحبها بعد خروجنا لا بد أن نرها ٠٠ آه ٠٠ لم أجدها ، آه لو تعرفون أين هى الآن ؟ فى أى عمارة ، شقة ،حجرة ؟ مصنع ؟ فى هذه المدينة الهائلة المتوحشة

الضيقة ؟ فوق أي رصيف ؟ جدار ؟ **بلاطة ؟ تأكل ؟ تشرب ؟ تشعر ؟** تعرف أنني خرجت ، ابحث عنها وعن عمل لي ، لكن لا بد أعثر عليها ، لا بد ، لا بد ، ستصل اليك مهما كان الزمان وفي أي مكان، سأسند رأسي على قدميك، تعبثين بأصابعك في شعري ، الشمس فوق السطح ، حولنا الدجاج ، اي أيام **بعيدة هذه ؟؟** دافئة، مقبضة حزينة ، لا تخلو ساعة من صوتها ٠٠ آه ٠٠ هل أصدق نفسي ؟؟ اصدق انني تشاجرت معها في يوم ٠٠ بل في يومين ٠٠ اكثر



من مرة ومرتين وبكيت ، ضربتني ، بكت هي عندما خرجت هائما على وجهي الى باب النصر متصورا انني سأصل عند شواهد قبوره الى نهاية العالم ، خرجت ورائي ، عادت بي الى البيت ، أنا لا اعرف الآن كيف أجدها وأرجع بها ، آه لو رأيتك فجأة تدبين وسط الناس حتى لو شحاذة لو أي شيء فقط أعثر عليك أي فرحة ؟؟ أي فرحة ستغمر وجهك الطيب؟ ربما ٠٠ ربما لحقها العمى في هذه السنين ؟٠٠ ستشعر بي؟ ولو٠٠ ستشعر بوجودي ٠٠ عندما عبرت ميدان الحسين، لم أصدق انني أعيش ، لم أر شيئا ، اصوات الجارات وهن يتحدثن معي ، أقف أمام الحجرة التي ضمتنا ، شعرت بما حدث عندما فتحت باب غرفتنا شابة صغيرة ، أي شعور مزقني ؟ فانقطاع الخطابات سنين نذير النذير .

٠٠ أمي ٠٠ أين أمي ٠٠ كنا نسكن هنا ؟٠٠

٠٠ انني هنا من سنين ٠٠

تلفت حولي ، ربما نسيت البيت ، لكنه هو ، هرعت الى أسفل ، خرجت جارتنا القديمة روحية البيت اذن هو البيت ، المسكن والحجرة والركن لكن أمي ٠٠ أمي ليست فيه ٠٠

٠٠ آخر مرة رأيتها عندما جاء بعض الجنود وفتشوا البيت بعد ذهابك بشهور وسمعناها تبكي ولم يخرج أحد منا فكلنا نخاف منهم كما تعرف ولم نسمع صوتها بعد ذهابهم ٠٠

٠٠ ألم تريهم عندما نزلوا ٠٠ ربما اخذوها معهم ٠٠

٠٠ لا نظرت من وراء النافذة بعيني كان معهم صاحب البيت وفي الصباح

طلعت الى السطح ولم أجدها ·· كان الباب مفتوحا ··

الباب مفتوحا ··

·· والأثاث ··

·· يا عيني عليها ·· وهل بقى أثاث كسروا السرير وطردوها أكثر من مرة·· بعيني رأيتها تنام على بلاط السطح وأخذتها عندى أكثر من ليلة ·· الاثاث؟ باعت منه جزءا وتكسر منه جزء ·

الاثاث ؟ ضربتموها ·· ضربتموها ؟ الرقيقة·· البسيطة·· الطيبة القلب ·· طردتموها ونامت فوق بلاط السطح وصاحب البيت الجبان ·· اتعرفون ما الذى جرى لها ؟ اتعرفون ؟ هذه تحتمل ضرب ؟ جسمها خلق للضرب ؟ تفخر طوال عمرها بأن أبى حتى موته لم يرفع فى وجهها كفا، لم يضربها بعصا وتجيئون أنتم لتضربوها وأنا أعرف ضربكم ·· ياه ·· كيف احتملت ؟! كيف بكت ؟! كلكم السبب ·· آه لو أعثر عليها لأعوض لها ما فات ·· طبعا ازددت يا أمى كبرا على كبر ·· فى يوم تمددت فوق السرير بعد عودتى من العمل · اعدت لى الطعام ، أى طعام اعدتيه لى يا أمى ؟ وضعته فوق السرير · جلست بجواره صامتة ، أشعر بنظراتها تطول مدة ، تتنهد ثم تطرق برأسها ، يصرخ طفل فى الحارة ، تصيح امرأة تنادى ابنها ، ترفع أمى عينيها الى السقف ، ينبعث صوت راديو من بعيد ، فى أيام الغسيل تغنى ··

·· أدور على راح منى ··

أدور على راح منى ··

مرة واحدة سمعتها تغنى « على بلد المحبوب ودينى » ، لم تغسل أبدا فى أيام أجازتى ·· عدت مبكرا مرة ولم تكن انتهت من تنظيف البيت · رأيت وجهها أصفر شاحبا وعظمتى وجهها برزتا ·· ياه ·· لم تريحين نفسك ·؟

ضحكت وكلما أنظر اليها لا أشعر أنها غاضبة أو حزينة · كأنها تفكر فى أشياء حلوة بسيطة صغيرة ، كان مصباح صغير يضىء وجهها ، يومها أدركت أن امى كبرت ، لم أشعر بذلك مطلقا من قبل ، أحسست أنى وقعت على اكتشاف هائل مريع ، أمى كبرت ؟ أعوام وأعوام ·· وخلال السنين الخمسة ·· كم زادت؟ كيف أصبحت ؟ وجهها ؟ كل شىء يتغير، وجهى به آثار جروح · هل سأعرفها· هل ستعرفها أم هى؟ قلب الأم دليلها·· دليلها ··

·· انتبهت الى أننى لم آخذ نفسى من لحظات طويلة ، دفعت الهواء الى صدرى ، عضضت شفتى بقوة ، وهؤلاء الناس ، أيعرفون أنى أبحث عن أمى ؟ يضحكون ·· اضحكوا يا ناس سليمان، السبب ·· السبب ·· اكره كل ما فى هذا الشارع وما يحيط به من شوارع حتى العطر الزائف الذى يملأ الهواء ، أنوار ميدان التحرير تبدو من هنا ، أين هذه القهوة التى يجلس عليها الموظف ؟ صاح بائع الجرائد ·· سألته عنها ··

ــ أمامك على الرصيف المقابل ··

لم أعبر الى الرصيف المقابل ·· لا زلت أقف على الرصيف المقابل للرصيف المقابل لل ·· ماذا ؟· ارجع يا افندى خطوة ·· صاح عسكرى المرور ومنذ أيام وقع ضابط تحت ضربات زميل لك وصفق الناس واندفعوا ،

اندفعت معهم .. تغيرت ؟ واذا زادتها السنين كبرا فكيف أصبحت ؟ ستزداد طيبة ، تعنى بى أكثر ، تغسل قمصانى أحسن ، تقتل البق وتطرده حتى لا يقلقنى فى نومى ، تبحث لى عن زوجة ، هذا ما سيصيبها من تغيير . آه يا أمى .. آه لو حلقت فوق البلدة كلها ، اصرخ واسأل ليعرف الناس أن أعز شىء عندى ضاع فيبحثوا معى عنها ويسألون بعضهم، فى القرى، فى الغيطان ، البلاد، يجدونها .. أمك هاهى ، أصحيح لا يعرفون أين؟ الا تقول وجوههم انهم يعلمون ؟ ألم يقل الصبى أن بائعة طيبة لم تضحك عليه أبدا كانت أمام المدرسة ؟ وحارة الوطاويط ، أيعرفون ، ايعلمون ؟ اذن لماذا لا يتكلمون ..

.. **رائحة الصباح** تحمل الى صدرى الأسى، العاشرة وماقبلها، ادوخ بشوارع المدينة ، الشمس لها طعم ، لخطوات الناس ، مشيهم ، العربات ، مذاق من عندى لم ؟ لا أدرى ، ركبت السيارة . المحصل يصيح بلا انقطاع ، سألت عن عمل فى عدة أمكنة وأخيرا نزلت فى مصر القديمة . ذهبت الى شون الغلال ، الفول والسمسم والذرة والقمح ، هنا تجار من بلدتنا ، كانت أمى تذكرهم دائما ، ربما عرفوها بعد أن اختطفت من حياتها ، نظروا الى شعرت انى نحيف وتألمت ، فارجحت المراكب فوق النهر، تناثر رزاز خفيف وبدا الماء أسودا داكنا صرخ عامل صعيدى من فوق صارى . قال التاجر.

.. **يا ساتر ولم تجدها حتى الآن ؟**

..**جئت اليكم ابحث عنها .**

.. **لم نرها .. لم نرها ..**

نظرت اليهم . صامتون . شعرت أنهم يكذبون . ان لم يروها فهم لمحوها مرة ولو صدفة على الاقل . احسوا بها ولو واحد منهم . واحد . هزوا رءوسهم العمة وقالوا ..

.. ياخسارة .. بنت ناس ..

عندما قمنا قال اكبرهم الشيخ فرج ..

.. بحثت عنها فى المستشفيات ؟؟

مضيت . اصوات العمال الصعايدة تتصاعد . يحملون المركب بأجولة القمح والذرة . مشيت حتى بقايا بوابات الفسطاط . ثم فم الخليج . ركبت الأتوبيس وسار بمحاذاة النيل . تذكرت موظفا يسكن بالقرب من باب اللوق . أمى رددت اسمه كثيرا أمامى . من بلدتنا . صعدت الى مسكنه . فتحت لى الباب فتاة بنظارة طبية . قالت بابا غير موجود . قلت اين استطيع العثور عليه » . بالليل فى هذه القهوة ..

مزدحمة . تنعقد فوقها سحابات الدخان . لا بد ان أجده . لست أدرى ايعرفنى أم لا » سأطلب منه مساعدتى فى البحث عن عمل . اسمه يوسف وموظف .

الشيخ فرج تاجر الغلال الكبير قال اسأل عنها فى اقسام البوليس ..

جارتنا روحية تلفتت حولها ومصمصت شفتيها . جاء جنود وفتشوا البيت . سمعناها تبكى . فى الصباح طلعت ولم أجدها .

روحية لم تجدها وأسألهم عنها !؟ لو شخص آخر .. يجوز . اما انا ؟؟ يساعدونى أنا ؟ يجدون لى أمى أنا ؟ ضابط يبحث معى أنا «كيف» من أبعدنى

عنها من سنين .. سنين ؟ أبدا ، أبدا ، أبدا . آخر الدنيا ولا البوليس . أول الدنيا ولا البوليس . ملأ نفسي انقباض مفاجيء . ارتعش جسمي . شتاءنا البارد يثبت وجوده . أمس سقط المطر في الصباح عبرت كوبري قصر النيل . نظرت ناحية مبنى التليفزيون . في السماء سحابة هائلة معتمة وضخمة لها طبقات فوق بعضها . رحت أتأملها . منظرها كالكرنب . مشيت فتحركت . وقفت عادت الى الثبات . ومن خمس سنوات لم اسمع صوت سقوط قطرات المطر فوق البلاط . تركت حارة الوطاويط الى أين ؟ جبل يعصمنا من الماء . أى ماء أى جبل يعصمها في هذه المدينة » نسيج العنكبوت . زمان . سقط المطر مرات ومرات . تنبعث رائحة طلاء الجدران . تهمس أمي . أخاف ان يتسرب الماء من السقف . السقف قديم وعروقه خشبية اصطدم بكتفي شاب نقلت الكتاب من يدى اليمنى الى يدى اليسرى . درت في المقهى . أكره رائحة الدخان . نظرت الى كل الجالسين حول المناضد . أين يوسف اين يوسف ؟ اقتربت من عامل المقهى

ـ يوسف محمود الموظف ؟

ـ لم يجيء الليلة ..

خرجت متمهلا ـ ضحك رجل بدين له كرش . لماذا لم يحضر ؟ ابنته قالت له ؟ ربما كان موجودا في بيته ساعة سؤالى عنه . لم يهرب مني لم توقفت . يهبط الليل سريعا ثقيلا عندما يجيء أشعر بروحي تنسلخ مني . من التاسعة الى السادسة . لا استطيع أن أجدها حتى لو دارت هي تبحث عني . سأبقى وحيدا في السرير حتى يرجع صاحبي من نوبة عمله بالمصنع وينام . وقد لا أنام . وفي الفجر يجيء حارس الليل والقمقم . يوقع في بطاقتي ثم ينصرف لا أعرف أين هي؟ يروح الناس ويجيئون ويضحكون . تحتك الأيدى بالارداف . مخلوقات شارع سليمان باشا . كانوا بشرا . لا يهمهم أن يعرفوا . عبرت اشارة مرور . ادركت ان الضوء لا زال لا زال أحمد لم اتوقف في الصباح قال زميلي .

ـ أخاف ان اصارحك بأفكار تدور في مخي .

ـ قلها .. ما الداعي الى الخوف ؟

ـ لم تتوقع انها . يعني أقصد . ربما ـ ها .. ماتت ؟

ـ ارجو ألا تغضب مني .. ارى اصرارك واصرارنا معك لكن أخشى ضياع مجهودنا .. اطرقت عندما نوقظني في الصباح تلح على في النهوض الافطار المعد . مع السلامة الغسيل والغذاء . الجو حر رفعت رأسي . نار الموقد تزداد اشتعالا . في الدور العلوى صاحت أم تنادى طفلتها المصروف نستيه قام صاحبي وقال .

ـ هل ستخرج الآن ؟ ابق قليلا اما انا فسأخرج . . ميعاد عملي يقترب سأسأل قبل دخولي المصنع .. فعندنا عجائز .. ما أكثرهن !!



نقد : د. على الراعى

انتظار

قصة فخرى فايد

فى هذه القصة أناقة ، وحسن تصميم ، وبراعة فى اختيار التكتيك الذى يستطيع أن يخدم موضوع القصة ويبسط عليه جدة وأصالة برغم انه موضوع مألوف : الحبيب فى انتظار حبيبته ٠

ولعل الكاتب قد أفاد من تكنيك الشاعر ت٠س٠ اليوت فى قصيدة مشهورة له بعنوان : « رابسودى فى ليلة عاصفة » ٠ وهى الاخرى تتخذ من الساعة وعقاربها وسيلة فنية لتقسيم القصيدة الى مراحل نفسية ، **وان كان التقسيم فى حالة القصة أكثر بروزا لانه يرتبط بتيار متحرك من الشعور له بداية وقمة ونهاية تتركز عليها القصة ٠**

أما فى قصيدة اليوت فانه مجرد علامات ترقيم ، لانه لا قصة وراء القصيدة ، كما أن تيار الشعور فيها متشـــابه ، فهو يعبر عن الجفاف والضياع وعدم جدوى الحياة ٠

ونعود الى القصة فنقول ان التصميم فيها يخدمها تماما ولكنه يتعثر شيئا ما قرب النهاية ، حين يصر الكاتب على أن يعـــود ببطله الى حالته النفسية الاولى من تكبر واستعلاء ٠

هنا يتخلف لنا شعور بأن الكاتب يريد أن يقدم لنا تطبيقا قصيصا لفكرة له سبقت حوادث القصة . ولم تنبع تلقائيا من النمو الحر لحوادثها.

فكأنما قال : سأكتب قصة عن بطل متغطرس يحب فتاة ، ويخيل اليه انها تركته فتخونه شجاعته ويقرر أن يندم على غطرسته، فاذا ماجاءته الفتاة بعد قليل وهى تعتذر عاد الى غطرسته ، وهكذا أيها السيدات والسادة ، تجدون أن الذى به عيبا لا يستطيع التحرر منه ..!

وفى رأيى ان التيار الأقوى والأسلم فى القصة يدفع ناحية الندم وعودة الحبيب الى حبيبته ، وان الجزء الذى يلى هذا من القصة ليس نموا طبيعيا **وانما هو مجرد براعة وخفة يد من المؤلف .**

***

منطق الشك قصة كمال حمدى

كان من الممكن أن تكون هذه قصة طيبة لو لم يلجأ الكاتب الى تحميل لحظتها الحاسمة عبئا فادحا حقا ، هو أكبر بكثير مما تستطيع لحظة ما أن تتحمله ..

ان الكاتب يختار لحظة المواجهة بين البطل غريمه والفتاة التى أحبها الاثنان كى يروى من خلالها كل ما حدث بين الغريمين .. من أكاذيب وغدر ورسائل .. الى آخره .

وهذا الاختيار المتعسف يمنعه أن يتحرك بحرية داخل اطار القصة القصيرة ، الذى هو اطار ضيق بطبعه .

فكان الكاتب قد كتب قصة قصيرة مختزلا مساحتها الزمنية والنفسية الى النصف أو أكثر ..

أى انه ألزم نفسه الزاما لا مبرر له بأن يحكى ويطور الاحداث ويصل الى الذورة فى رقعة ضيقة جدا من الأزمة القصصية ، وهذا ما حفزه الى أن يبنى عمارة عالية الأدوار ، بدلا من أن يبسط حوادث قصته وشخصياتها بسطا معتدلا يسمح للقلب والعقل معا أن يتقبلاها ويتأملاها بارتياح .

من هذا نجد أنفسنا أمام تركيب معقد حقا، يتردد الكاتب نفسه بازائه بين تقمص بطل القصة تارة وبين القيام بدور الراوية تارة اخرى.

ونشغل نحن القراء عن القصة بمحاولة « فك أقواسها » — كما يحدث فى مسائل الجبر !

ولا يبقى أمام الكاتب فرصة معقولة لاطلاعنا على شىء من الحياة الداخلية لأبطاله ، فنراه يكتفى بعرضهم من الخارج ..

ولذا فشخصياته أشبه بالنمـــاذج المثبتة ، أو الدمى : الصديق الغادر ، القريب اللئيم ، الأب الطيب ، الفتاة المجروحة .. الى آخره .

ولا أقول انه ليس من حق الكاتب أن يروى قصته بالطريقة التي تروقه .. بما فى هذا اختزال مجراها ، وتركيب حوادثها ..

كل ما أقوله هو : اذا نحا الكاتب هذا المنحى ، فعليه أن يظهر قدرة قصصية غير عادية ، كي يتغلب على الصعوبة التى خلقهـــا لنفسه طائعا مختارا ..

ومن الأسف ان الكاتب لا يملك هذه القدرة غير العادية .

***

أحراش المدينة   قصة جمال الغيطانى

فى هذه القصة تأثر الكاتب خطى نجيب محفوظ تأثرا واضـــحا وخاصة فى رواية الطريق .

هنا نفس التكتيك ونفس الموضوع .

بطل نجيب محفوظ يبحث عن أب . وبطل القصة يبحث عن أم .

ويبدو ان كاتب القصة قد جعل للأم فى قصته اكثر من معنى ...

كما جعل نجيب محفوظ للأب فى روايته معنى مركبا ..

فقد يعنى الكاتب بالأم الصلة العضوية التى تربط الانسان بالحياة ..

وقد ترمز عنده الى حياة هانئة عاشها البطل قبل السجن ثم خرج فلم يجدها ..

وقد تشير الى ركيزة كان يستند اليها ، فانهارت.

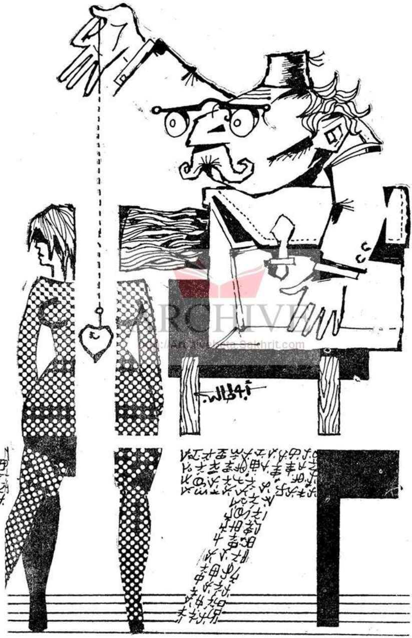
والتكتيك الذى يستخدمه نجيب محفوظ للوصول الى قرائه نراه هنا مطبقا بحذافيره ..

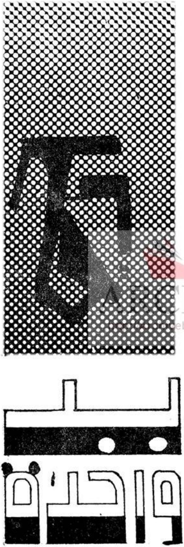
تواجد الماضى والحاضر.. تداخل الصور.. القاء الوصف التقريرى وتحويله الى صور قصيرة مركزة .. القاء الزمان والمكان فى رواية حوادث القصة والاعتماد على تتابع الصور كما يحدث فى الافلام .. الى آخره .

ولا أعرف ان كان الكاتب قد كتب قصصا أخرى غير هذه ، ولكنى انصح له بعد أن يتشرب تكتيك ومادة نجيب محفوظ ، بأن ينتقل الى مرحلة أعلى من مراحل الكتابة ، وهى مرحلة الابداع على أساس مما تعلم على نجيب محفوظ وغيره ..

انى أراه كاتبا واعدا على كل حال فان تأثره بخطى نجيب يدل على وعى فنى واضح . ليست القصة مجرد ترداد لنجيب محفوظ ، بل هى تذوق فنى له .

وعلى هذا التذوق اعتمد فى أملى أن ينطلق الكاتب الى مراحل أخرى من مراحل التطور .





قصة : كمال مرسى

فى صباح يوم الحفل جاء الاستاذ عاشور الى المدرسة لأول مرة منذ سنين عديدة ، مرتديا حلة جميلة جديدة..!!

كان ذلك حدثا فريدا غير مألوف فى حياة المدرسة ، اليومية الرتيبة ٠ فتناثرت همسات الترحيب بها فى الفضاء الكبير ، غير أن الاستاذ عاشور تجاهل ذلك الترحيب بحلته بالرغم من أن لفظة (اش ٠٠ اش ٠٠٠ ش) كانت تلاحقه كلما خطا خطوة داخل الفناء ٠٠ لكنه كان سعيدا ٠٠ وكعادته كلما أحس بالخجل ، أخرج ساعته الفضية الكبيرة المربوطة بعروة صداره ونظر فيها برهة ثم أعادها الى مكانها ٠٠٠ ولو أن أحدا سأله تلك اللحظة عن الوقت لما أجابه بالدقة التى اشتهر بها ، بالرغم من أن ساعته لا تؤخر أو تقدم دقيقة واحدة ٠٠٠

وهمست تلميذة رفيعة كالفتلة :

ـ فاكرين يا بنات ٠٠ ؟ يوم ماوقعت نظارته..وانكسرت عندنا فى الفصل..؟

ـ كانت الدمعة حتفر من عينه عشان مش شايف يكمل الحصة ٠٠٠

وقالت تلميذة أخرى سمينة :

– ٠٠٠ بس عيبه حاجة واحدة ٠٠ دايما يتعبنا بالحصص الاضافى ٠٠

ولكن مما لا شـك فيه أن الاستاذ عاشور – مدرس اللغة العربية – كان محبوبا من جميع تلميذاته ، لاخلاصه وتفانيه فى عمـلـه ٠ ومع هـذا كان – لطيبته المتناهية – هدفا سهلا لشقاوة بعض التلميذات ٠ غـير أنه كان يعمل دائما حساب هذه الشقاوة ٠٠

ويحبط المؤامرة فى الوقت المناسب ٠٠ وكانت تساعده حلته القديمة التى تعود أن يرتديها فى الأيام العادية ٠٠ كان جيبها الأيمن الخارجى منتفخا دائما كأنما أصابه ورم مزمن ٠٠ وكان هذا الانتفاخ فى بادىء الأمر موضع تساؤل البنات لكنهن أدركن – فيما بعد – أن سبب الورم فى جيب الاستاذ عاشور ، منديل أحمر كبير فى حجم فوطة السفرة يستعمله فى مسح التخته كلما اختفت المسحة فى حصته حتى لا يضيع وقت الحصة فى البحث عنها ، كما ترغب فى ذلك ، بعض البنات الشقيات ٠٠٠

وعندما دق الجرس الكبير فى فنـاء المدرسة بدأ الحفل الذى ارتدى من أجله عاشور أفندى حلته الجديدة ٠٠٠

ووقفت التلميذات فى صفوف طويلة بالفناء الواسع ٠٠ طوابير تشكل مربعا كبيرا وقفت فى وسطه حضرة الناظرة وبجوارهـا **(الست منيرة الظابطة)** تحمل الجوائز الثلاث التى قررت حضرة النـاظرة منحهـا لأحسـن مدرسى المدرسة ٠٠٠

وطقطق مكبر الصـوت الموضوع وسط الفناء ٠٠ وبعـد لحظات انطلق منه ، السـلام الجمهـورى ثم تقدمت **(الست الناظرة)** وأمسكته من عنقه بيدها الغليظة برهة ، ايذانا بأنها ستبدأ كلماتها بينما راحت عيناهـا تطوفان بأرجـاء الفنـاء بين رعيتها الصغيرة ٠٠٠ كل الرعيـة رأت عليهـا صمتا مطبقا ٠٠ وسـكونا يشـوبه الترقب واللهفة لمعرفة الفائزين بجوائز التقدير ٠٠ الجوائز المقدمة باسم طالبات المدرسة لأحسن مدرسيها ٠٠٠

عاشـور أفندى واقف بالقرب من طابور فصـله ، فى أقصى الفناء تحت الجرس تماما ٠٠ مسح زجاج نظارته ثم وضعها على عينيه وبنظرات فيها شىء كالطمأنينة أو الدعة أخذ يقيس المسافة ما بين مكان وقوفه والمكان الذى تقف فيه حضرة الناظرة لتسليم الجوائز ٠٠

وسرحت عيناه ٠٠٠

عندما تعلن حضرة الناظرة اسمه ، سيتقدم فى وقـار بحلته الجديدة من خلف طابور سنة ثانية ٠٠٠ هكذا ٠٠٠ ثم الى وسط الفناء ٠٠٠

لا ٠٠٠ يحسن أن يكون عبوره من الناحيـة الأخرى ، عنـد طابور سنة ثالثة ٠٠ فعـلا ٠٠٠ هذه المسـافة أقرب ٠٠٠

واكتشف عاشـور فجأة ، أنه كان يعبث بحذائه فى كومة صغيرة من الرمال الصفراء المفروشة على أرض الفناء ٠٠٠ أخذت عيناه تنظران فى قلق الى حذائه المترب ٠٠٠ ساءه أن ينطفىء لمعان الحذاء ٠٠٠ لن يلمع كما يجب لو خبطه على الارض لينفضه ٠٠٠ عيون البنات كانت كلهـا مسـتقرة على الجوائز الموضوعة وسط الفناء على منضدة مفروشة بالجوخ

الأخضر ... انتهز عاشور الفرصة ومسح الحذاء فى جوربه ... فعادت الطمأنينة الى عينيه ...

وتنحنحت (الست الناظرة) وهى تبعد فمها عن (الميكروفون) لكنه ضخم بالرغم منها ، نحنحتها ، فبدت كخوار ثور كبير .. ثم أعلنت أسماء الثلاثة الذين تقرر منحهم الجوائز .. ولم يكن من بينهم الاستاذ عاشور ... !!

وسكت الجميع ...

طوابير البنات المرصوصة فى الفناء الكبير ، كأنما ، انعدمت فيها الحياة !..

الا من حركات للعيون تتناقل استفهاما غريبا .. !!

أشارت (الست منيرة الظابطة) الى البنات ليصفقن . لكن الوجوم كان مايزال مطبقا فى انحاء الفناء الكبير .. اضطرت أن تصيح فى مكبر الصوت :

ــ صفقوا يابنات ...

فصفقت البنات بضع لحظات .... تصفيق مكتوم كالضحكة المغتصبة المخنوقة ثم ....انبعثت من أقصى الفناء عند طابور سنة ثالثة ، همهمات ظلت تمضغ فيها بين الشفاه،اسم الاستاذ **عاشور** . وتسرى ... تسرى حتى وصلت الى طوابير سنة ثانية و .... أولى . وأصبح كل الفناء بعد حين، خلية نحل كبيرة ...

وقالت بنت كبيرة سمراء اللون هامسة لاحدى زميلاتها،ان حضرة الناظرة ظلمت الاستاذ عاشور وحابت من يتملقونها من المدرسين والمدرسات...

فى صباح اليوم التالى فوجئت (الست الناظرة) وهيئة التدريس ، ببنت طويلة من فريق كرة السلة ، تخرج من بين الطوابير وتقف فى وسط الفناء الكبير ...

تماما كما وقفت حضرة الناظرة بالأمس ... وتعلن أن طالبات المدرسة قررن تقديم هدية للأستاذ عاشور ... ثم توجهت اليه ، والبنات يصفقن جميعا ، حيث وقف تحت الجرس فى أقصى الفناء بحلته القديمة فسلمت اليه الهدية موضوعة فى علبة فاخرة من المخمل ..

وانطلقت ضحكة من طابور سنة ثالثة ... وبينما بدأت الطوابير تزحف رويدا رويدا الى داخل الفصول ، كان عاشور مايزال واقفا عند الجدار ، تحت جرس المدرسة ساهما كمن يحاول أن يعى تماما ما حدث ... وهو يتحسس بيديه قطيفة العلبة وقد تغبش زجاج نظارته السميك بطبقة رقيقة من الدموع ، حجبت عنه الطوابير الزاحفة نحو الفصول ...

وخاطر حائر يهمس فى أغوار أعماقه الطيبة ...

ــ يعنى حتعمل ايه ، حضرة الناظرة ، للبنت الطويلة بتاعت الكرة ... ؟

دول البنات كلهم .. يد واحدة .. جابوا الهدية ...

فى هذه اللحظة تماما كان زميله ، مدرس التربية الوطنية يتقدم طابور فصله الى حجرة الدرس ويرمق الجموع الصغيرة الباسمة كأنهن طيور نزقة وهو يقول لنفسه :

ــ صحيح يابنات.. !! ارادة المجموع لا يمكن أن تزيف ....

كمال مرسى

الآخرون

متولى

« يكفى أن أكون مقتنعا بمسلكى ، وبأن ما أفعله هو الحق ، أما الآخرون .. فليس من الضرورى أن نلتفت اليهم ، أو نعبأ بظنونهم .. الشراع لا يدفع المركب الا اذا خضع لتيار واحد ... عجب !! لماذا لا يخضعون للنظام ؟ بقى أن يساوموا الكمسارى على أجرة الركوب فيعيدوا الى الأذهان ذكرى موقف الحمير أمام الوكالة » .

هذا ما كان يقوله الأستاذ دياب عاتم فى نفسه ، وهو يأخذ مكانه فى الدرجة الأولى ، بعد أن صعد الى الأتوبيس .

ولقد كان متقززا من تزاحم الناس على الباب . ولحظ بتعجب أنهم جميعا كانوا يتدافعون بالمناكب مع أن بعضهم لا تسعفه ظروفه على منافسة الشبان والفتيان المراهقين ... هذه السيدة اللحيمة العظيمة كأنها هودج ، كانت تسد الباب سدا ، وتمسك بالحاجز الحديدى ، وتجذب جسمها نحوه ، والناس يلهثون من حمى المطاردة ، كأنها شبكة هائلة تزوف السمك زوفا !! وهذه الحامل كانت تخاطر بسلامة شخصين ، وكان كرشها يتقدمها .. ليجيز لها العبور ؟! أو مباهاة ؟! وهذا الذى حمل أكياسا تفوح من بعضها رائحة اليوسفى ومن بعض آخر رائحة سمك ، فأثار بين الركاب سيلا من النكت والتعليقات رصعت جبينه بالعرق !!

وتلفت حوله يبحث عن مكان يودعه بصقة ، فلم يجد موضعا لنسمة هواء ، كانت الأجساد قد تلاحمت وتلاصقت فى نظام محير ، كأنما أودعوا داخل السيارة من مسقط رأس !! فوضع يده فى جيبه يبحث عن المنديل ، فالتقت عينه بعينين تقفان أمامه ، فاستوقفه ما فيها من امتزاج لونى رائع .. بين الخضرة والزرقة ولون الشهد المصفى ، ألقى عليها نظرة سريعة سحبت يده من جيبه ، فالمنديل من القذارة بحيث يؤذى مرآه هاتين الفيروزتين النادرتين .. واختلجت ساقه يريد أن يرفع قدمه ويبصق تحتها خلسة ، لكن الجميلة الواقفة نظرت الى أسفل حيث تتعلق حقيبة يدها **تلامس ساقها** . فتحير الأستاذ قليلا ، ثم استغنى عن البصقة وشهق ، ثم نظر الى الحسناء يخفف بجمالها حسرته وضيقه ، فوجد شابين يتدافعان من حولها ، أحدهما قد أخرج رباط عنقه الأحمر من فتحة سترته ، أو فى الأقل ، تركه يخرج ـ كلسان الكلب العطشان ـ محتميا بالزحام ،



قصة : محمد حسن عبد الله

لتبدو النقوش الذهبية على الحاشية من أسفل والآخر ما يزال يضغط جرحا سطحيا فى ذقنه من أثر الحلاقة ، كأنما يلفت النظر الى نعومتها ، أو الى أزرار القميص الزرقاء الغامقة !!

وعاد يقول فى نفسه : « **افتعال .. مظاهر كذابة .. طمع فى السراب .. حقائق الحياة أن هذين الشابين أعزبان، وأنهما لا يخرجان عن أحد وضعين : اما أنهما فى حاجة الى تزجية الفراغ ، وليس مكانه السيارة . أو أنهما يبحثان عن حب وزواج . ولم نسمع بأحد أحب وتزوج فى الأتوبيس .. ولو أنهما صارحا نفسيهما لنزلا فى المحطة القادمة .** »

وأحس بحركة خفيفة ، حاول خلالها كلا الشابين أن يحافظ على موقعه من الحسناء ان لم يحصل على موقع أكثر ميزات . وفجأة وقف الكمسارى بينها وبين الكرافت الحمراء كأنما نبت من الأرض ،وتطلع اليه قائلا : **ورق يا أستاذ** فامتدت يد الفتى فى جيب سرواله وأخرج قرشا دسه فى يد الكمسارى دون كلام ، كأنما يوحى اليه بالسكينة والصمت ، ولكن الكمسارى لم يلتفت الى المغزى ، أو لم يكترث له ، وقال : عسكرية ؟ فابتسم الفتى فى اشفاق ، وهز رأسه بحركة لا تكاد تلمح ، وهو لا يجسر على انتحال تلك الصفة .. وكان يوده أن يمر الموقف بلا تعليق ، ولكن الكمسارى طويل اللسان طرق بكعب القلم سقف السيارة ، وهو يقول باهمال : الى الداخل من فضلك .. تذاكر يا آنسة .. **تذاكر يا أستاذ ..** وغض ذياب نظرته الشامتة ، ويده تكاد تمتد الى ساق الكرافت بضربة موجعة ، يودعها كل ضيقه منه ، لمزاحمته الفتاة ومطاردته اياها..ولأنه كان من أصحاب الصولة والجولة على أبواب الدرجة الأولى وها هو يقف بلا وجه حق فى مكان مخصص لمن يدفع قرشين . . فيا للصفاقة!!. وتخيل الكرافت تسحب نفسها فى شحوب ذليل وتوسع لنفسها طريقا الى الدرجة الثانية بين احتجاج الركاب وتأففهم على بريق أحذيتهم . وتطلع الى أعلى ليشهد الكرافت

لحظة الهزيمة ، لكنه وجد الفتى كأن لم يسمع ، ولمح قرشا واحدا ينساب من بين أصابع الحسناء الى راحة الكمسارى ، فأسقطه فى جيبه دون كلام ، وأودع الورقة راحتها ،وجرى بعينيه على صدرها ، وقد وضح تعاطف النهدين من طوق ثوبها المتحدى برد الشتاء • وتجاوزها الى الأزرار الغامقة، فأخرج قرشين لهما رنين وناولهما الرجل وهو يرمق الحسناء •

وصعد الدم الى دماغ ابن غانم ، وفقد وعيه لومضة زمنية ، لكن خفقات الأمان سرعان ما عادت •• لقد كانت اصبعاه تجوسان خلال جيب سرواله تبحثان عن الورقة ذات الخمسة قروش الوحيدة فى جيبه ، ولقد انطوت على نفسها فى مذلة ولصقت بقاع الجيب ، ولقد ظنها ضاعت ، ولكنها بعد أن سخرت منه ظهرت من جديد ، متهرئة ضامرة ، كأنما تعلن أنها فتات مائدة غير عامرة أمام قوم استأسد عليهم الجوع •

وأراد الأستاذ دياب أن يكون شلنه سيد الموقف ، وهو موقف هزيل ،لكنها فرصة ، ولم لا ؟ واحد يقف فى مكانه بلا حق ، والآخر أخرج قرشين ، وهذا اليوم هو السابع والعشرون فى الشهر الجارى •• أما الحسناء فلتخرج من مجال التنافس ، فهى ليست طرفا فى النزاع ، بل هى جائزة الفائز •• نظرة اعجاب منها تكفى • وتحشرجت خواطره وغصت •• أمن الممكن أن تنظر الحسناء اليه باعجاب ؟؟ وضغط عنقه مثل ديك يتأهب للعراك ، ووضع ساقا فوق ساق ، فبرز نتوء الركبةالعجفاء تحت السروال، ولمس بوز حذائه ثوب الحسناء ، وأحست

باللمسة ، فنظرت الى أسفل ، فابتسم لها فى تودد من يعرفها ، وكأنه يقول « وحياتى تسامحينى !! » وانزلقت نظرة الحسناء من حذائه الى كافة مظهره ــ يبدو أن منظر الحذاء كان يغرى باكمال الرحلة ــ ووضح الاشمئزاز على قسمات الحسناء ، فانطلقت عيون الكرافت وعيون الأزرار الغامقة مثل كلاب الصيد تبحث عن المواطن التى ضايقت السيد المطاع لتشاركه شعوره النبيل !! • • والتقت النظرات على ابن غانم ، وأجمعت على أنه دخيل ، وفى غير موضعه •• الا أن الأزرار الغامقة وسوست لنفسها « **لو أن سوق الكانتو** تملكته نوبة تظاهر بأنه جنتلمان فستكون داهية سوداء •• سيبتسم وكأنه اكتشفوجود الحسناء فجأة ، ثم يقف فى تأدب مفتعل لتجلس مكانه وليقف امامها يتحسس بسيقانه العجفاء سيقانها المليئة البضة ! ويسرق كنوز الصدر الأعظم بعيونه الباهتة » • وخفقت الكرافت الحمراء فى ترحاب « ليتها تجلس لأكون أكثر تمكنا وقدرة على الحركة » ونظر دياب اليهم متحديا •• « **انت يا بو قرش •• هذا اختلاس •• وتزوير •• سرقة لأموال الدولة ، وخروج على النظام •• أما أنت أيتها الذقن الناعمة ، فليسفيك من الرجولة ما يسمح بقيام تنافس بيننا •• التنافس بين متكافئين ، والا تحول من منافسة الى انتحار •• ياشيخ •• انتحر احسن لك •• كيف ربتك أمك على أنك رجل ؟؟ نحن فى عصر المغالطة •• كل انسان يغالط نفسه ويغالط من حوله • أما أنت يا حسنائى فلن تجلسى •• لن تذهب جهودى سدى •• ماذا يظن لو ركب ووجدنى واقفا ؟! سيظن لا محالة أننى هنا بقرش**

ويظفر بالانتصار » • وتنبه فجأة الى أن الورقة المتآكلة ـ أداته فى التحدى ـ ليست بين أصابعه ، ولمح كتف الكمسارى من خلف يتنهد ويزوم وهو يعبر بين الدرجتين ، فأدرك أنه لا بد أن يكون أخذها ، وتطلع الى يده فوجد التذكرة بين أصابعه مكان الشلن ، لم يدر متى وكيف استقرت فى مأمنها ، وأين الباقى ؟ معه طبعا ، سيمر وسأطالبه به •• بصوت مرتفع •• الباقى يا كمسارى •• نازل المحطة القادمة •• طار القرشان ولم يصعد ابن ••• ، ينحدر الذهب من خزانته وهو الذى يعمل محاسبا ، لضبط أموال الناس ، ويستكثر على ـ أنا مساعده ـ أن آخذ منه بدل المواصلات على أساس الدرجة الأولى !! ليركب ابن المركوب الآن ، ليرانى فى موقف العزة •• وتطامن الأستاذ فى مكانه حين ذكر كيف جرى الحديث بينه وبين المحاسب:

ـ تسعة مشاوير بربع جنيه ليه يا بو الديابة ؟

ـ أمال عاوزهم بكام ؟

ـ بكام :! هو احنا بنفاصل ، ولا بنركب عربية كارو ؟!

ـ أنا محتفظ لسيادتك بالتذاكر •

ـ لسيادتى ؟! بلهم واشرب ميتهم



•• طب ما احنا بنحتفظ للضرايب بدفاتر تحمل عربية •

ـ أصل أنا بركب درجة أولى ياسعادة البيه •

وحاول أن يتظرف : ما هو برضه كتير اننى أكون باشتغل عند الأستاذ يحيى الحيانى على سن ورمح ، واركب درجة تانية •

ـ اركب على حسابك •• اتفخفخ من جيبك •

ـ لكن دى دفاترك •• وفيها حسابات بالألوفات •• يمكن دفتر يضيع ، ولا يخطفه واحد من بتوع القفف والمقاطف

ـ يعنى انت اللى الصلا على النبى ؟!

ـ مش مستاهلة يا بيه •• أما يكون الدفتر فيه حساب بألف •• بس بألف •• ونحسب عليه قرشين بدل مواصلات مش كتير •• النسبة مش كتير •

ـ انت مالك يا بنى آدم ومال اللى فيه ، ان كان ألف ولا آكتر ؟! هو انت المحاسب ولا أنا ؟! مش مكسوف شكلك ؟ هو انت خلقه درجة أولى انت؟ وانت تطفش الركاب •• بذمتى ان عملتها حتلاقى الزحام فى درجة ثانية وسابوها لك •

وكان لا بد من وضع حد للمناقشة ما دام البك لا يرغب فى احتساب المشاوير على أساس الدرجة الأولى •

ـ طيب يا بيه •• أمرى الى الله ••

أنا بركب درجة أولى عشان خاطر دفاترك برضه •• أدفع أنا الفرق ، برضه الصغير عليه الاستحمال •

وأكمل فى سره : « الدنيا ما تهونش الا على الفقير » •

ولقد كان دياب أو الاستاذ دياب ، كما دلله بذلك يوما فراش المكتب ، فتشبث بها ، يركب فى الدرجة الأولى حقا ، « كلنا •• أولاد تسعة ، وهؤلاء الركاب ليسوا خيرا منى ، وحديث كثير عن ارتفاع مستوى المعيشة ، ونجاح خطة التنمية ، والبك المحاسب يركب درجة أولى أحيانا ، وتاكسى غالبا ،وحجز نصر ألف وخمسمية، هى الدنيا ماتجيش الا على الفقير اللى زيى : واستمر يركب فى الدرجةالأولى متحديا على أمل أن يركب المحاسب فيراه ويرق له • والتوت أمعاؤه ، حين توقفت السيارة أمام محل سندوتشات ، وهبت موجة منزيت الطعمية على الركاب ، فأعادت اليه وعيه وذكرته بجوعه ، وذكره جوعه بالقروش الثلاثة الأخيرة له ، فى جيب الكمسارى وتلفت فرأى الدرجة الأولى أصبحت تطاق ؟ أصبح الزحام محتملا ، فقد نزل أكثر الواقفين ، ودهش اذ وجد الثلاثة الكبار ما زالوا واقفين ، كأنهم دخلوا فى دور عناد !! وهبت موجة من البرد • تتمايل ، تكاد تستند على الأزرار الغامقة لوقوفها فى فراغ ، فاستدارت برقة وهى فنظرت الحسناء خلفها ، فأدركت أن الباب والفراغ الى جانب الحاجز الزجاجى صار خاليا ، وأدركها شىء من الحرج التى دفعت القرشين ، وعادت حتى استندتعلى حاجز الزجاج••وهنا صارت وراء الأزرار الغامقة، أما الكرافت الحمراء

فقد صار على بعد يخرجه من مجال المطالبة بحق الاستفادة ، ولذلك ظهر القلق في عينيه ، وتعلق بيده في العمود الممتد بسقف السيارة ،ثم بدل يدا مكان يد ، وكسر رجله في وقفته ، ونظر الى قميصه المنسدل ، ونقوش الكرافت واضحة ، أما الأزرار فقد تنبه الى أن حلاقته حديثة ، وأنه لا بأس من أن ترى قفاه ، بل هذا أجود ، فتقليب البضاعة باب الى الاقتناع بها ·

ونزل بن غانم بنظراته الى الأرض ، حين تذكر أنه لم يحلق شعره منذ شهر تقريبا ، وأنه صحا متأخرا هذا الصباح ، فاكتفى بغسل وجهه ، ولم يحلق ذقنه منذ يومين ، وتخيل ذقنه طال شعرها حتى غطى بشرته ، ومن أسفل الذقن يمتد خط أغبر متقيح هو ياقة قميصه الذى لم يغسله منذ أسبوع، وحين نزل بنظراته الى الأرض كان لا يزال واضعا ساقا فوق ساق ، فتسنى له أن يرى الخطوط التى تنقش قماش السروال وقد اختفت فوق الركبة ،وتحل مكانها وبرة الخيط المتآكل ، كأنها قطعة أرض بائرة فى مساحة ممرعة ، أو فروة قرعاء !! فنزلت نظراته أكثر ، فاستحى من جوربه ،فأنزل ساقه وأخفى حذاءه تحت المقعد ، حين ثنى ساقيه وهو يهمس لنفسه « الزحام يوارى الكثير » وعادت أمعاؤه تتلوى ، وقد انصرف عن الحسناء يائسا ، فتذكر جوعه ، والتفت نحو الكمسارى ، فوجده يشق صفى المقاعد الى المقدمة ، ويده فى جيبه تداعب القروش ، فيتصاعد رنين مكتوم يشى بالغزارة ، وحاول أن يخمن كم فى هذا الجيب الاسطورى من قطع الفضة وهو يحس بنعومتها وبرودتها وبريقها

يملأ راحته · ولكن قرصة من أمعائه التى لم تتذوق الطعام فى يومها نبهته الى أن ما يخصه هو ثلاثة قروش فحسب ، وتطلع الى وجوه الركاب يبحث عن المعجزة ، ربما ركب المحاسب حين سرقته خواطره من جو السيارة ·· وتمنى لو يجده ، ولكنه تحير ·· حقا ·· لو وجده هل يكتفى بتحيته من بعيد باشارة من يده ؟ أو يقف ويحييه كما يفعل المرءوس مع رئيسه عادة ؟ وتمنى لو يجده واقفا فيتخلى له عن مكانه ·· يا لها من ضربة محكمة ·· انسانية لا يعرفها كرشه الوغد ·· من المبالغة أن أجاهره بأن « الباقى » مع الكمسارى ، وأن ثمن التذكرة قد وصل ! مبالغة قد لا يحمدها لى ، فلأكتفى بأن أحييه باختصار ،وأقف ليجلس · لماذا لا يحسبنى وهو المحاسب بين ركاب الدرجة الأولى ، وأنا فى ماضى القديم أو شكت أن أحصل على الابتدائية؟ ولى أشواق ، وكل الناس يتكلمون عن دفع المستوى !!؟ ووجد الكمسارى أمامه، جيبه مثقل بالفضة والنحاس ، كدرة جاموسة حديثة الولادة ·· « يا معدتى » وبطانة سترته بنفسجية باهتة تبدو من مزق النسيج الأصفر ؟ وعلى صدغه حمامة ، ويده متقشفة كأنها لم تمسك بالفلوس من ألف سنة ·

ــ الباقى من فضلك ·

ــ أى باقى ؟!

ــ باقى الشلن ·

ــ أخذته ·

لماذا يتكلم هذا الحقير بلهجة وقحة ؟!

أليس حقى ؟ ألست راكبا فى الدرجة الأولى ، دفع قرشين مثل أتخن تخين ؟ أم أن نقودهم من ذهب ونقـــودى من خشب ؟!

ـ لا .. لم آخذ الباقى .

ـ تذكريا .. حضرة .

آه .. « حضرة » هنــــا للتـوبيخ والوعيد .. ســـن الحربة اســتعدادا للنضال .

ـ أنا متذكر .

ـ احسب ما فى جيبك فقد تجده .

« آه يا كلب .. ما أدراك أن جيبى ليس فيه شىء ؟ والا ما سر هذه السخرية المستكنة فى أعمـــاق عينيك المتلاعبتين كشوارب صرصور ملحاح ؟! » .

ـ كلا .. أنا أعرف ما فى جيبى .

وظهر شبح ابتسامة على وجه الأزرار الغامقة ، وتبعتها الكرافت الحمراء « حتى أنت أيها اللص .. ألم تسرق حق الدولة وتركب هنا بقرش ؟ ألا تعتبر نفسك نصابا ؟ »

ـ طب شوف .

وتطلعت الحســـناء من عليائها وفى نظرتها شك ورثاء .

« التراجع معناه الادعاء والسرقة» .

ـ هات القروش الثـلاثة ، أحسن الحكاية دى اتكررت معايا أكثر من مرة .



ـ يعنى ايه ؟ ٠

ـ يعنى هات الباقى ٠

ـ ما قلتاش حاجة ٠٠ هو السؤال حرام ٠٠ يمكن تكون ناسى ٠٠

ـ لأ مش ناسى ٠٠

ـ خلاص ٠٠ بألف هنا وشفا ٠٠ ما تزعلش ٠

وأمسك بالقروش الثلاثة وقذف بها فى جيب سترته الخارجى ، فاكتشف فى قاعه سيجارة تكاد تنكسر ، فتملكته شهوة عارمة الى التدخين ، فأخرجها بشىء من العصبية ، وتصاعد دخانها يوارى وجهه عن الحسناء ، كستار ضبابى ، فاستراح قليلا ٠٠ ولكن قلقه ما لبث أن تيقظ حين رأى عيون الواقفين تنصب عليه ، وتقيسه وتزنه ، وتفتش فى ثنايا بدلته الباهتة عن ثلاثة قروش مختلسة وتمنى لو يقوم فيدفع بالقروش فى وجه الكمسارى ، ويقول له : انها لى ، ولكنى أردها مترفعا عن أن أكون محل الظنون ولكن أليس ديدنه ألا يعبأ بالظنون ، وألا يهتم بالآخرين ما دام مؤمنا بما يعمل ؟ وعبرت خاطره ذكرى مؤلمة ، زلزلت يقينه فى حقه فى القروش الثلاثة ٠٠ كان أبوه الأمباشى غانم قد أرسله بورقة متهرئة مثل التى أخذها الكمسارى ليأتيه بخمسة سمسمون معدن حقيقى ، ويرجع بالباقى ، وكان دكان البقال مزدحما ، وأصوات الصبية تتصاعد ومناكبهم تتزاحم ، وفى اشتباك الأيدى والأصوات أعطاه البائع ما طلب من سجاير وأربعة قروش دون أن يأخذ الورقة المالية ٠ ولقد استمتع بها دياب أيما استمتاع ، ولذ له أن يكرر اللعبة، بين يوم وآخر ، ترسله أمه ليشترى شيئا ، فيتحين لحظة الزحام ، ويحصل على ما يشاء ، وتبقى له النقود !! ألا يمكن أن يكون هذا من ذاك !

وامتدت يده بلا وعى تتحسس جيوبه ٠٠ وضبطته عيون الحسناء ، ويده تتلصص الى جيبه ٠٠ « آه » **يا داهية سوداء ٠٠ لقد تأكد لها أننى لص ٠٠٠ لص »** ٠

وبحث عن متنفس للهواء ، فرأى جاره يتزحزح قليلا ليبتعد عنه ، وهو يرمقه بنظرة متشككة ، وابتسمت الكرافت الحمراء مرة أخرى، على حين كانت الأزرار الغامقة مشغولة بمواصلة الغزل ، ومن عجب كان يتراجع بظهره ويتمايل مع اهتزاز السيارة ، ويحاول أن يحتك بالحسناء ولو كان الاحتكاك معكوسا ٠

« الدنيا انقلب حالها ، وأنا فى نظر الناس سارق ، لم أفطر ولم يركب المحاسب ، موجة أخرى من نسيم الطعمية الكرافت يحاول أن يحسن وضعه بالتقدم نحو الحسناء على مهل ، انتهت حكاية البقال بأن لاحظ صبيان الحارة أن ابن الأمباشى يلعب بالقروش دون سابق مغرمة بينهما ، من خيبته أفشى السر لهم ، فشاركوه الغنيمة ٠٠ وشاركوه وهددوه ، ثم أفشوا السر للبقال » ٠

وتحسس فخذه الهزيل لأن العلقة كانت مميته من كرباج أبيه ، وضبطته الكرافت مرة أخرى وهو يتحسس فخذه « **وايه يعنى ٠٠ طظ فى أهلك ٠٠**

الحقيقة هى الحقيقة ٠٠ وأنا برىء ٠٠ كنت أختلس من البقال حقا ٠٠ لكن ٠٠ ما العـلاقة ؟ أنا الآن برىء ٠٠ أمس سارق واليوم برىء ، أمس صبى واليوم رجل ، أمس ضائع واليوم موظف عنـد المحاسب ، أمس ممطر واليوم صحو ٠٠ لكن الأرض ما تزال مبتلة !! المحاسب لم يركب الله يخرب بيته ، بطنى خاوية والقروش تكفى لرغيفين وطبق فول ، والشاى على الحسـاب يا واد يا فراش المكتب وتفرج ، بقى يومـان ونقبض القروشات » ٠

ما تزال تلح ذكريات الصبا بطريقة خفيةوالا من أين جاءتهذه «القروشات»؟ وارتفعت يده تحك قفاه فى استمتاع بالعذاب والقهر ، فلفتت الحركة نظـر الحسناء ، فنظرت اليه مرتابه ، فتوقفت يده وكانت وقفتها فوق جيبه ، وتحولت الريبة من عينيها الى ايمان عميق بأن هذا الصنف لا يركب الدرجة الأولى الا ليسرق الركاب ، فـان عجـز فليسرق الباقى من الكمســـارى ٠ وتحسست حقيبة يدها دون وعى ، فارتجفت أعصاب ابن غانم ، وابتسمت الأزرار الغامقـة تحسبها اشارة الاســـتعداد للنزول ، ولا حظت الكرافت التراسل المزيف ، فظهر عليها حزن مباغت ، ووقفتنظرتها الجامدة على دياب ٠٠ وأقبل الكمسارى يدق الزجاج بكعب القلم ، وتطلع دياب الى الشـــــارع فوجد محطة نزوله قد اقتربت ، ووجد القروش باردة فى يده، فوقف يريـــد النزول ، ومد يـده الى الكمسارى قائلا :

ـ خد يا أخ ٠٠ حسبت لقيتها لك ٠٠ أنا آسف ٠

فرمقه الكمسارى بنظرة فيهـا اعجاب بنفسه ، وفيها سخرية من الأكتـــاف الضامرة الهزيلة التى تهبط السـيارة على عجل ، وألقى بالقروش فى جيبه باهمال ، وهو يقول : **مش قلت لك ٠٠ يا أخ ؟!!**

« محمد حسن عبد الله »



أصابع الشعر

قصة : محمد حافظ رجب



استقلت (هنا) فوق وسادة المخمل البنفسجي .. داخل علبة التواليت ووضعت الغطاء فوقها .. تركت وراءها الباب مواربا عن قصد ليجذب الرجل .. وتثاءبت ليس من أجل النوم .. انها تطرده .. بعد لحظات تسلل وراءها (الشعر) .. مدت (هنا) أصابعها .. عانقته .. لفها الشعر .. غطاها .. صارت سجينة ...

... نامت الأصابع فى العلبة متعانقة .. لم يحفل الاثنان **بأصبع** الروج وعلبة البودرة وزجاجة العطر والمرآة الصغيرة : مخلوقات علبة التواليت مع انها اشتركت فى اعداد (هنا) للحدث ...

منذ لحظات قبل أن تستلقى هنا فى العلبة تناولت أصبح الروج : مرفوق شفتين مشققتين .. مزج الرقة بالجفاف .. وامتدت يدها الى صندوق البودرة .. نثرت ذراته فوق التربة البدائية .. تحولت الى جليد ناعم .. تزحلقت عليه أصابع الشعر.. تأهبت (هنا) للقاء المنتظر.. واستلقت العلبة بعدها تعبة فوق (الشفنيرة) تجاه المرآة .. ترى نفسها فيها اثنتين : واحدة فى منطقة الظل ليست موجودة .. والأخرى فى المنطقة الحارة موجودة : منطقة وجود (هنا) الساقط فى وجود الرجل صاحب الشعر

... **أسفل** علبة التواليت والشفنيرة .. فى ركن أبكم لا يفشى السر.. مع أنه ممتلىء الى حد الغثيان بالذهول .. يوجد صندوق حديدى رهيب : خاضع الى حد الذل لسيطرة صاحبه .. فى الصندوق ادوات دقيقة ونار مطفأة ووابور لحام يمتلكه سيد العلبة : سيد (هنا) .. وأصابع قصدير لا عمر لها .. يفتك بها وابور اللحام .. الوابور فوق الصندوق يحرسه لسيده المسيطر على جسد (هنا) .. أصابع القصدير الرقيقة.. تستخدمها أصابع الرجل .. تلحم بها ثقوب المواسير .. ومواقد الجاز .. وثقوب نساء متقدمات فى العمر مهترئة من طول المسافات والزمن : (هنا) جسد مثقوب من قسوة الزمن .. بجوار الصندوق الرهيب راس صغير غارقة فى أحلام العذاب .. الرأس فى الصندوق تنتفض .. يبعد عنها تيار الهواء الأعمى المندفع من فراغ الباب .. هو يعرف معنى العذاب .. جربه : خاضع خضوعا كاملا للرجل : وسيلة حقيرة يحتفظ فيها بأدوات التجوال فى حوارى البلد .. الرأس : ولد .. انسان لم يكتمل .. ومع ذلك اكتمل سن العذاب فى داخله : أصفر أولاد (هنا) .. قطعة لحم ملفوظة.. القت بها من النافذة .. الحجرة الآن .. ينقصها رأسان .. تاها فى أرض غريبة لا تراها العين .. اختفيا منذ اليوم الذى دخل فيه الشعر الغريب .. وجود (هنا) .. واستلقى فوق المخمل الناعم .. داخل علبة التواليت .. جاء ومعه العلبة فخلعت ملابسها .. واستلقت عارية .. تقبل أظافر الشعر وتمسح جلدها فيه .. ورآها الأولاد .. فذعر ولدان .. فرائثان .. ونام ولد .. نام الأصفر : لعجزه عن الذعر الواضح .. بقى ..

خرج الرأسان الى بلاد تلقمها ثديها .. وبلاد تضعهما بين أنيابها .. ولم

يعد من الراسين .. اصبع ولا عين
تطمئن الناس عليهما .. نسيهم الناس

... فى داخل جمجمة الليل ...
بجوار الصمت المستمر أبدا .. وعلبة تواليت فى داخلها **اللذة مرتعشة** ممتزجة بتأوهات (هنا) المضنية تعلن عن استسلامها الرهيب للقهر .. بجوار الصندوق المنتفخ بقطع القصدير قصيرة العمر .. والرأس الصغيرة العاجزة عن اللحاق بالرأسين التائهين منسوج من جلد حية ميتة .. تسجن فيه أصابع الشعر العابثة بما تحت روبها .. وفوق الشفتين المشققتين خطوطا متوحشة .. حفرها بأظافره اصبع الروج الثقيل .. وتمد (هنا) يديها فى الشعر .. تدفن فيه جسدها وقلبها .. كل عمرها لتنسى فداحة الثمن ...

... فى داخل جمجمة الليل المثقوبة يتصاعد من بئر السلم العميق (و « هنا » تعانق الشعر) صوت .. سرقه لصوص عميان فى وضح النهار ..

... يصعد الآن درجات السلم أعرج .. مقطوع الساق : « يا هنا .. يا هنا أنا قاعد فى بير السلم هنا .. أحرسك من الترماى ليطلع يخطفك.. احميك من السواق ليطلع يدبحك .. خايف يعلقوك فى سنجة الترماى وتتعرى يا هنا »

.. لحظتها تنكمش .. تنكمش بين أظافر تخدش جلدها : العقاب الرهيب قادم من مكان سحيق:صدى الماضى.. واللحم المبعثر .. والشبح الغائب صاحب كل البصمات والذكريات القديمة .. وتنهض فزعة تبطش بذكرياتها غاضبة . . تخلع الماضى وتلقيه . . يتدحرج فوق السلم . . وتجرى عارية .. تقتحم الشعر .. لتبعثر صدى الصوت وتنفخ فى بقايا هشيم الولدين وتدوس وجه الذكريات ..

... فى بئر السلم رجل بلا مخ .. سارت عجلات ترام (الرمل) فوق وجهه .. ففيرت ملامحه .. ونفخ كومسارى ضرير فى البوق فهوى السور فوق راس صبى ..

... قبل أن يعرى رجال الاتوبيس والترام مخ الرجل ويأكلوه .. كان يلبس جاكتة بيضاء ويحمل صينية وزجاجات .. يوزعها على نظارات واربطة عنق .. وتمتد أيادى النظارات واربطةالعنق.. تتناول منه الزجاجات والأكواب وتفر الى داخل أدراج المكاتب .. فى الظلمة الحالكة هناك ترشف المشاريب .. تتابع سطور الأهرام .. تقضم بين كل لحظة واخرى قضمة دقيقة من سندوتش فول محشو ..

... فى الثانية عندما يخرجون من أدراج المكاتب .. يغادر « محروس » الديوان .. يرمى خطافا فى حبل .. معلق فى زجاجة كازوزة .. وضعه فيها صاحب البوفيه وغطاه .. ويتسلق الحبل ويصعد . . يطرق غطاء الزجاجة . . فينزع الغطاء صاحب البوفيه .. لحظتها يكون آخر موظف مختبىء فى درج مكتبه قد انصرف .. ويخرج موكب الزحام مهرولا .. هو فى نهايته يتبعه . . . ويغيب فى الأرض .. يظهر فى أول

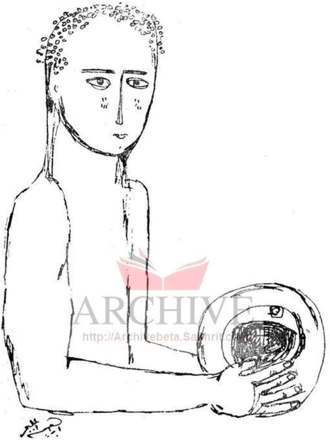
المســـاء .. والقمـــر جوال فوق « المحمـــودية » وأكواخ (غربال) الصفيح تسبح .. تضـيئها كلوبات وتحملها رياح وبساط ســحرى .. ومارد وسحاب أبيض يركبه محروس وقدماه متدليتان فوق « غربال »

... ابتاع الشىء المعتاد « بيوميته » وضعه فوق حجر الجوزة .. دفنه فى المعسل اللزج .. وشد أنفاســـا .. فقامت الأحلام متثائبة .. وشـــدت كتفيهـا المسترخيتين المقوستين : شـد محروس كتفيه .. لكنهما اســترخيا على الفور .. لم يعد لهكتفان يرفعهما فى وجه الاصرار الذى يعــرقله .. ويندفع الى مائدة فوقها كباب وحمام وبرقوق وعنب الشام .. ويقهقه من القلب .. : القلب مات .. وما زال يقهقــه .. من النظارات وأربطة العنق .. وضحكاته تتحدر من ثقوب لا تراها العين : محروس رجل مثقوب .. ثقوبه يخـرج منها الدخان .. لا يتــرك اثرا فيه .. فتتــوقف الضحكات .. تفر منه .. ويسحب القدمين ببط لثقلهما .. وفوق رأسه صـينية البوفيــه .. فوقهـا متمدد صاحب البوفيه فى اسـترخاء يصدر أوامره اليه : الهث .. الهث من أجل اربطة العنق .. وعيون النظارات .. وأرجل المكاتب : **در على كل درج .. انحن له اسأله ماذا يشرب .. اندفع .. لب كل الرغبـــات .. لب كـل النداءات .. »** .. ويندفع محروس صارخا وهو يلقى بالصينية وصاحب البوفيه على الارض : « النجدة ياهنا .. صاحب البوفيه يطاردنى لألبى كل الرغبات »

.. وتوقفه (هنا) .. تحتويه .. تخلع له قدميه .. تضعهما فى ماء وملح ..وتشرب قدماه الراحة فتستريحان

.... فى منتصف الليـــل يتحول محروس الى ساحر : يشعل النار فى المدفأة .. يحـرق البخـور الجـاوة والمستكة .. ويستحضر مخلوقات من الجن .. يأمرها أن تفجر له براكين تجرى فيها قنوات من لهيب .. ويندفع الى زجاجة الكازوزة ينزع غطاءها .. يخرج نفسه من العنق .. ويمســك الزجاجة ويهشـمها فى الســقف .. ويلقى بالغطاء فى وجه العالم .. ووجه صاحب البوفيه .. ثم يجـرى الى مكتب قريب من الوفيه يجد فيه موظفا يحلم بعلاوة وترقية قريبة .. فيقترب منه .. ويخطف نظارته .. يلقيها تحت الحذاء .. يدوسها .. لا تبقى منها غير ذرات .. ينثرها فى عيون الموظفين: « عيونكم زجاجية .. يأربطة العنق .. هشمت عيونكم .. دست فوقها .. فتاتها أنثره فى وجـوهكم .. فى الصباح تقوم (هنا) منتعشة .. مسح فى جلدها محروس كله ذله .. تنفض عن لحمها رذاذ ماء الحمـام وذل الزوج طول النهار : عادت فى التومن رحلات الليــل الطويلة فى أرض العجائب مع ساحر الليل .. جرسون النهار .. ابو الاولاد .. حارس بوفيه الديوان

فى الســابعة صبــاحا عندما تنوح صفارة شركة الغزل بالبر الثانى تغـادر الحجرة ثلاث رءوس .. تحركهـا ســتة أقدام : هنا ومحروس .. و (حربى) ... وتبقى فيها ثلاث رءوس .. تبقى فى لحظة الانتظار المستمر حتى تعـود الرءوس الاولى ..



.. **(هنا)** تمد أصابعها المائة .. تفسل ملابس العالم فى طشت غسيل .. وتمنحها مخلوقاته قطعا من فائض ملابسها : سوتيان حريرى ثقبه صرصار .. قميص بكم واحد .. وبقايا أطعمة .. يمنحها لها رجال منفردون بأنفسهم فى حجرات موحشة فوق السطح .. وتحمل عطايا العالم فى جوال تفرغه عندما تعود فى أربع أفواه

... فى **الصباح** والاقدام تشتد فى السير .. والقوارب تغطيها حلل زرقاء تعبر بها ترعة المحمودية .. تخرج هنا ومحروس وابنهما حربى .. .. حربى عمره مائة سنة .. يرتدى (بيريه) سرقته أمه من غسيل خواجه عجوز لاطفها ذات مرة بأصابعه وكف : كف الرجل منذ زمن عن الارتواء .. اكتفى بلمسات اليد ..

حربى خادم عند خواجه وخوجاية .. يحفر بأسنانه فى بلاط الشـــقة لترضى القبعة فتمنحه الجـزاء آخر النهار : نصف علبة لحم محفوظ تثير عيون اخوته ٠٠ فى المساءليعودوا لبيريه سلته .. فى السلة اصبع موز وبرتقاله وشريحة لحم مدهشـــة .. وعيـون النساء تتابعه : شاطر مثل أمه وأبيه .. كلهم يجلبون النقود .. محروس وهنا وابنهم ٠٠ كلهم ٠٠ يابختهم » .. عيون الحى ثقبت السلة .. تتمنى لحربى أن تقطع يداه .. وتموت الأم فى المشرحة ٠٠ ويصاب الأب بالهلع والحيـــاة تســــير يتعلق برقبتهـــا المخلوقات الستة .. تحمل فى الصباح ثلاثة .. ويبقى ثلاثة : حياة لا تحتمل .. ومع ذلك تحتمل .. القســـوة : طنينها فى الأذن أصبح مدعاة للضحك ٠٠ كل مســـاء يقابلونها بالقهقهة ٠٠ بالتهتهة ٠٠ وتعودالأم من كهوف فيها رجال واجمون يلبســـون أقنعة .. يطاردها بوابون حتى سراديب الغسيل .. تتنفلت من بين أصابعهم هاربة .. فيتلقفها بين أحضانهم غرباء .. توقف اندفاع نزواتهم .. لكن الخطورة تكمن فى رجال موظفيـن صـــامتين .. فى صمتهم الخطر .. يريدون بها مواجهة ثقل صمت الوحدة ٠٠ لكنها تهرب ٠٠ تهرب ٠٠ حتى الآن تهرب ...

ويعـــود الأب وفـــوق الرأس عمامة .. ويحمل هنا .. يريها أرضا لم تطأها أقـــدام بشر ٠٠ يحميها من رجال السـطح المترقبين عودتهم اليهم بصبر ذليل ... ولا يعودان الا والفجر ديك واقف فوق السطح .. يصيح بلا مئذنة ..

قال الخواجه صاحب القبعة يوما لحربى ابن هنا : خربى .. خربى .. روخ هات لى واخـد ازازه بيره » : زجاجات النشوة تحدد مصير الصبى

السيدة من داخل البانيـو أطلت من عيون الدش ٠٠ من ثقبين : « خربى ٠٠ هات لى معاك ٠٠ أنا كمان واخد بيره » : زجاجات الماء الصفراء ٠٠ بداخلها ماء الألم ٠

أصبحتا زجاجتين : الخواجة رغب ٠٠ السيدة رغبت٠٠ من قال للاثنين اطلبا ؟ لماذا طلبا ؟ ٠

نزل حربى جاريا ليأتى بالزجاجتين : كيف نزل ؟ لماذا نزل ؟ ٠٠

تناول زجاجتى البيرة ٠٠ توقف ٠٠ وجدهما حمراوين ٠٠ النذير بداخلهما ٠٠ الزجاجتان فى داخل كل منهما عنق مقطوع يقطر دما : لماذا اذن لم يدركه الفزع ؟ ٠٠ لماذا بقى ؟ ٠٠ لماذا حملهـــما ومشى ٠

دهش البائع عندمـــا رأى الدمـــاء تتساقط قطرات ٠٠ قطرة ٠٠ قطرة ٠٠ لكنه لكى يبيع زجاجاته أخفى الدهشة ٠٠ أعطى الزجاجتين لحربى وصـــمت : اتفق البائع مع النذير الخفى ٠٠ زجاجة من أجل القبعة ؟ ليت القبعة ماتت فى داخلها الرغبة منذ زمن ٠٠ زجاجة من أجل عيون الدش ولحم البانيو الأملس ؟ ليت الحمام تهدم على من فيه ٠
عشرون أصـــبعا فى الطريق قادمة : الفزع قادم فى الطريق من يمنعه ؟

عشر أصابع من العشرين ترقصفوق أربع عجلات : ليت العجلات توقفهـــا ارادة الســـائرين بلا عجـــل ٠٠ باقى

العجلات ترقص فوق العشرة الأخرى .. وترام بطابقين يسير . فى الطابق الأعلى ينام الركاب .. ينتظرون الصرخة لتوقظهم فيقومون فزعين ويلقون بأنفسهم من النوافذ .

نظر حربى لزجاجتى البيرة .. وجدهما حمراوتين تماما : **اهرب الآن .. اهرب** هذا هو النذير .. ذهل .. احتوته الدهشة .. كمم فمه الاستغراب .. فى داخل كل زجاجة رأس والعنق مقطوع يقطر دما .. تجمد .. وقف : لماذا توقف ؟

لماذا ذهل ؟ هم دائما يذهلون فى لحظة الهزيمة .. لماذا هزم ؟

صرخ الناس .. استيقظ الركاب فى الطابق الأعلى .. فركوا عيونهم .. زعقوا .. ألقوا بأنفسهم من النوافذ والترام يسير .. لكن كل شئ انتهى .. كل شيء : سقط الرأسان من عنق الزجاجة .. فى القاع ..

سقطت الزجاجتان فوق القضبان .. تهشمتا .. تناثر زجاجهما : حربى انشطر الى شطرين .. شطر تناوله الأتوبيس وخبأه لنفسه . وشطر التهمته عجلات الترام .. خدعة : كان هنا .. لم يعد .. هل كان .. هل رآه انسان ؟ .

هل توقفت عجلات الترام ؟ .. هل توقفت عجلات الاتوبيس والبشر وعجلات السحاب فوقهم ؟ هل تجمد الماء فى الحمام ؟ . كف عن السقوط من الدهشة .. لم ينزل من فتحات الدش؟ .. كل العجلات .. تحركت .. تحركت .

صرخت السيدة من داخل البانيو : « **خربى .. خربى ..انت فين يا خربى؟ فين ازازة البيرة بتاعى ؟** » .

صاح الخواجة : « **فين البيرة بتاعى يا خربى .. انت ولد عفريت** » .

لبى حربى نداء الصيحة .. دخل فجأة عليهما حاملا الزجاجتين .. والدماء تلوث يديه .. ابتسم وهو يضع الزجاجتين فوق المائدة .. هم الخواجه أن يسأله عن الدماء .. لكنه تراجع من الهلع .. تناثر لحم حربى .. تبعثر فى الحجرة جرى الخواجه الى امرأته فى البانيو ليخبرها بما حدث .. عادا معا . فلم يجدا شيئا : دخل الهواء من الشرفة المفتوحة .. حمل اللحم المتناثر .. نثره فوق الناس .

رجعت هنا ولم يرجع حربى .. رجع محروس .. ولم يرجع حربى .. فى الليل عاد وبساط الريح .. وخبى برفقته .. همست هنا : « لم يعد حربى .. بعد » .

خلع حزامه .. طرد الجنى .. ألقى ألقى ببساط الريح من النافذة : « لن أعود الا وفى يدى حربى » .

ترك السرير ونام فوق الأرض .

ذهبت هنا للخواجة .. قال لها : « لم يعد خربى بزجاجة البيرة .. أنا أحب البيرة يا مدام .. والمدام فى الحمام تنتظر البيرة .. خربى ولد عفريت » .

لم تركب هنا طشت الغسيل وتطير به فوق حبال الأسطح .. لم تنشر الغسيل فى السحاب .. نزلت هى ومحروس يدوران على الأقسام : جارة لهما قالت : « تروحى التلاجة يا شابة .. دورى عليه هناك .. تخلص من العذاب ده .. علشان ضميرك يرتاح » .

رفعوا لهما غطاء الجثة الأولى : صمت محروس وهنا .

رفعوا لهما غطاء الجثة الثانية : هل فى امكان يده الثابتة حاملة مئات

الطلبات فوق صينية الأحزان قادرة على الثبات الآن ؟ تظل الى جانبه تعلن الاستسلام أمام الجثةالراقدة أمامه تتطلع اليه ؟ .

عندما هموا برفع غطاء الثالثة سقطت هنا على وجهها : رأت ما يكفيهـا .. .. صرف رجال الثلاجة المرأة والرجل .. لكن هناك شيئا خفيا شد قلبهما : لمحت (هنا) قطرات من دمها تتدحرج فوق الأرض .. تلفت أنظارها اليها .. صرخت : « دمى .. رأيت منه قطرات على الأرض » .

محروس رأى هو الآخر قطعة لحم من لحمة .. تلتصق بسـاقه .. تختبىء فيها .. عرفها على الفور : « قطعة لحم منى .. سرقوها .. كيف ؟ » .

عادا الى الرجال .. وقف الرجـال أمامهما .. خرج رئيسهم من الزحام .. اهتز قلب الرجل : « يريدان رؤيـة الموت .. يتزاحمان عليه » .

ـ وروالهم التلاجـة يا رجالة : كفاية يشـوفوا راس الولد .. وانت يا مره اتلمى .. ولا كلمة تقوليها .. ولا صرخه تطلع من بقك .

.. **خاط الرجال** شـفاههما .. سـحبوهما بخيط رفيع منهما . . ورفعوا غطاء الجثة : حربى ..

العين مفقوءة .. الكبد مشروخ .. ذبحوه بزجاجة بيرة .. داست فوق العظام عجلات ترام..زمر فوق اللحم كمسارى .. لا كلمة .. لا صرخة .. لا دمعة والا سـحب الرجال طرف الخيط : الصرخة المحبوسـة ثقبت الجلد .. وما تحت الجلد .. نزلت الى القلب .. أسـفل القلب .. الى النهاية .. آخر النهاية ..

.. **فى بئر السـلم الآن** .. رجل صمت : واجهته الأشـياء المروعة فصمت صـوته يتعثر فوق درجات السلم مجروحا ينزف دما .. لايعرف كيف يصعد الدرجات لينادى (هنـا) وهى عارية تستحم فى مياه تنبع من غابة شعر سوداء .. الشعر مفروس فى لحمها .. أظافره تخـدش بطن الثدى تمزقه تترك عليه علامات أنياب دامية ..

... **ابن** (**هنا**) مات مذبوحا .. فارتدت السواد .. أصبحت تتقلب فوق الجمر لتخفى السر : محـروس لم يعد يقوم برحلات فى أرض العجائب .. (هنا) اعتادت على رحلات الليل : يطرق بابهـا .. فى يده أذن الفيل : « **احملى متاعك معك .. فى الرحلة حتى الصباح** » وتحمل متاعها .. وتجرى ملهوفة اليه ... لكنه يعود اليها الآن .. راسه شاهد قبر .. يكوم عظامه فوق الحصير .. يتوسدها .. وينام الليل بعيون مفتـوحة .. يفكر فى المصير .. غرابة النهاية .. عجز الأب عن انقـاذ الابن .. كيف يعود الى الدخان يتسلق حباله ؟ . الابن تعس .. والأب تعس .. هذا يخدم .. هذا يطيع .. يخطف العالم ابنه .. عجلات لا يحـكمها العقل .. يلغى وجود الانسان بحركة واحدة .. (هنا) تتعـلق بالدخان .. ترقص فوق سلمه .. منطقها .. هل يعود الابن ؟ .. مستحيل أن يعود .. لو خـلا العالم من القسـوة يحتمل أن يعود اليها ... وتقـترب منه .. فيجفل منها .. يتملكه الذعـر .. ينهض أمامها .. يخرج من جواله جمجمة : « هل ترين هذه يا زوجتى العزيزة ؟ راسى وراسك هنا .. راسى وراسك

مثلها : « **أنا وأنت جمجمة .. عثرت على رأس حربى فى داخل الجمجمة .. العالم فى داخلها .. ما أغرب ذلك يا زوجتى العزيزة .. العالم جمجمة »** .. ويحمل كوم العظم فوق كتفيه ويغادر الحجرة ..

... **منذ زمن** والليل أمان كان الشيء يتنقل من لسان (هنا) للسان محروس .. يستحلبانه والليل حنان .. ومحروس يمشى تحت عجلات الترام يبحث عن أياد .. مقطوعة .. ملقاة هنا أو هناك .. أو أصبع تائه أو قدم أخفاهما الأجل .. مشغول باللحم المهروس يجمعه .. يضعه فى جوال خيش .. ويحمله فوق كتفيه ويذهب به الى مقابر « العامود » يدفنه فى ترابه ويكسب فيه ثواب ربنا .. وتصرخ فيه (هنا) ليلقى الجوال ويضعها فوق الكتفين .. ويشدان أنفاس الجوزة .. والسجادة محشوة بقناطير الأوراق الهندية المعطرة ويبعدها عن السطح وحبال الغسيل واغراء الطلبة ومطاردة البوابين .. محروس لا يسمع .. صمت

.. **فى** « فسحة » الطابق الثانى فى بيت أبو البدر .. جلست (هنا) فى طشت غسيل تعصر ملابسها وملابس أولادها : ملابس محروس ليست فى الطشت : « انظرن للملابسه يا نساء .. كما هى .. كما هى لم ألمسها .. حرام أن ألمسها .. مقرحة من جوال العظام والمشى بين مقابر العامود طول النهار .. لم يعد الرجل يلمسنى .. لم يعد يستحم .. يخشانى .. المنكود يخشانى .. يخشى عيون الدش .. تجمد الرجل يانساء .. تجمد .. لن أغسل له ملابسه .. خسارة فيه» والقت بها من النافذة ..

.. **طارت كلمات** (هنا) فوق ثرثرة النساء لرجالهن فى الليل .. تحولت الى ضحكات وعناق وقبل .. وتمددت حكاية محروس المذعور .. تمددت .. جرتها امرأة فى الخمسين .. مخطوفة من زوجها وأولادها .. نقلتها لخاطفها (زوجها الآن) فى عب الظلمة والأنفاس تحترق .. زوجها صاحب صندوق الأسرار .. يصلح مواقد الجاز .. ويمر حول المدينة وينفق بسخاء على لحم نسائه: امرأة لها رجل.. يسرقها من الرجل .. ويصهر بموقد اللحام المشتعل بصمات الرجل القديم من فوقها .. هذه لذته ... الحمقاء المخطوفة .. ذات الخمسين سنة .. نقلت اليه هزيمة محروس بكل تفاصيلها لتتوج رأسه بها : محروس هزم .. وهو ما زال البطل ...

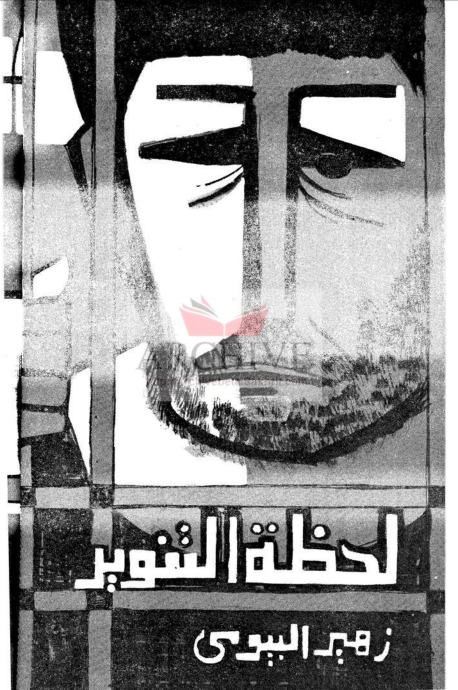
.. **بعد يومين** دخل الرجل على (هنا) ومحروس يبحث عن جوال جديد يضع فيه العظم المبعثر فوق قضبان ترام البلد ...

وقعت عينا (هنا) على الشعر .. تجمدت : « فى هذا المكان .. سأقضى أيام عمرى .. وما بقى »

ربت فوق كتفها .. مالت عليه .. وأجهشت فى البكاء ..

عاد اليها فى اليوم التالى بعلبة تواليت غالية الثمن.. فى داخلها نامت هنا فوق المخمل البنفسجى .

محمد حافظ رجب


لحظة التنوير
زهير البيومى



ماعاد يذكر متى كان عهده بالسجن أول مرة ولا متى ألهبت الذكرى وجدانه بهذه الأمور التى لم يألفها منــــذ وقت بعيد ٠٠ هاهو ذا فى السجن مرة أخرى، وسيخرج منه ليكون على أعتابه من جديد ٠٠٠ وهـذا الصول الذى استقبله فى آخر مرة دخل فيها السجن كان أول مرة رآه فيها لا يحمل الا شريطا واحدا ٠ ولابد أنه قد أمضى وقتا طويلا حتى حصل على بقية الأشرطة ، وما بال ذلك القاضى الذى حكم فى آخر قضية له قد تغيرت سحنته هو الآخر ، كان أول مرة رآه فيها شابا حديث التخرج يشـغل وظيفة وكيل النائب العام ، فـلابد أنه

أيضا قد مضى وقتا طويلا حتى وصل الى هـذه المكانة ٠٠ ولابد أنه قـد جـاب البلاد طولا وعرضا من الوجه القبلى الى الوجه البحـرى وبالعكس ، وانتهى به المقام ــ قاضيا تراكمت الهموم فى زحفها مع السنين على وجهه ، ويتمتم من خلف الظلمات :

ــ لا بأس ٠٠٠ لا بأس كلهم حصلوا على ترقيات وأنا الآخر قد تدرجت فى المناصب على مر السنين ٠٠ لص فرئيس عصابة ، ثم شيخ منصر ، وسأخرج من السـجن لأصبح مدير مناصر القاهرة كلها ٠

الدنيا كلها تدور من حوله بينما هو يتردى فى ظلمات السـجون حتى خبر معظمها اذ لا يوشك أن يخرج من السجن حتى يشده الحنين الى عتمته بعـد أن يتعذر عليه العيش النظيف ، فما من مرة خرج من السجن الا وكانت الدنيا أشد اظلاما منها بداخله ٠٠ ولكن ها هو ذا الآن يشع النور من جوانيته فى أول مرة يدخل فيها مكتبة السجن التى شيدت فى العهـد الجديد ٠٠ كتب مسلية ، رائحتها تفتح فى النفس أبوابا تراكم عليها التراب ، وعلا الصدأ مزلاجهـا الذى أغلق منذ طرق باب السجن أول مرة وهجر الجامعة ، هجرها بسـبب فتاة ٠٠ يا له من أحمق ، ولكنها قصة يجدر كتابتها على أية حال ٠

ويسـحب كتابا لا يدرى ان كانت الحاجة قد أتت به أم الصدفة ٠٠ «لعلها الذكرى ٠٠ كنت تلميذا نجيبا ذات يوم لذلك الرجل الذى ظل يتاجر فى البداية والنهاية منذ ربع قرن أو يزيد » ٠

ويقرأ بلسان يقطر مرارة على العمر الذى ضاع « القصة لابد لها من بداية ٠٠ وقد كانت منذ وقت بعيد ، معركة فى وسط الجامعة ٠٠ بسبب فتاة ٠٠ كان عدد الفتيات حينذاك لا يزيد على أصابع اليد ٠٠٠ ولعل ذلك كان سبب المعركة وليس جمال هذه الفتاة ، كانت جميلة فى أعيننا برغم دمامتها التى لم نكتشفها الا حين انعكست صورتها على صفحة الدماء السائلة ، وبرأها التحقيق من الذنب ٠٠ لم تحثنا على التقـاتل ، ولم تكن تدرى بالواقعـة ، بل لم تكن تعرف منا الا وجوهنا التى تعودت أن تحوم حولها ، فقد كان من غير المألوف أن تحدث الطالبات المعدودات زملاءهن ، وانتهى الأمر بدخولى السجن مع الجناة ٠٠ ربما حصلت على الليسانس منذ زمن ولم تعد تذكر من أمرنا شيئا ، وربما كانت تبيت الليلة فى أحضان زوجهـا وترنو اليه بعينى قطة تلتمس الدفء فى شهر أمشير « أحبك ٠٠ أعبدك » كلمات كان من الممكن أن تقولها لأحـد الذين دخلوا السجن أو ماتوا بسببها لو أن أحدا منهم عكف على الدراسة حتى أتمها وتقدم لخطبتها ، وربما صرف النظر عنها الى أخرى ، فلابد أن هناك كثيرات يفقنها جمالا ٠٠ ولكنه النصيب ٠

ويقرأ مرة أخرى : « القصة لابد لها من بداية ٠٠ والبداية لا يصعب كتابتها ٠٠ ولابد أن تبدأ من موقف ٠٠ وها أنا ذا قد عشت الموقف ألف مرة ، ولابد أن يتوسطها الصراع والعقدة ٠٠ وهاهى نفسى بها من الصراع والعقـد ما يكفى ألف قصة ٠٠٠ ولابد أن تنتهى القصة بلحظة التنوير لتكمل الحبكة القصصية ٠٠ لا هذا الناقد يحبكها أكثر من اللازم

.. سأكتب حتى أصل الى لحظة التنوير وعندها يحلها الكريم .

دخلت السجن فى عهد لم يكن يفرق بين مجرم جاهل وآخر مثقف .. لا لم أكن مجرما .. لأحذف هذه الكلمة ، ولكن لابأس فلأتركها مادمت قدأصبحت هكذا فيما بعد .. أدخلونى فى زنزانة واحدة مع اللصوص والقتلة والمحنكين الذين تعهدوني بالتعليم والصقل حتى أصبحت مثلهم .. نعم جعلونى مجرما .. لأحذف هذه العبارة الأخيرة أيضا فانها اسم لفيلم ، وربما رفع صاحب الفيلم قضية ضدى لأنى اقتبست الاسم، ولكن لا بأس .. فلأترك هذم العبارة كما هى فان ذلك يثير ضجة حول قصتى

وضحك بغتة وهو يقول لنفسه : « ومن قال ان قصتى هذه سترى النور»

وعاد يكتب مرة أخرى وكأنما قد عقد العزم على أن ترى قصته النور .

فى السجن يستوى المثقف والجاهل، وكم تمنيت حينذاك أن يستوى الرجل والمرأة حتى نسبق بذلك العالم الخارجى .. أو لعلنى تمنيت ذلك لغرض فى نفس يعقــوب . هكذا يجب أن أكون صريحا فى قصتى الى أقصى حــدود الصراحة .. كان عدد السجينات قليلا جدا كعدد فتيات الجامعــة حين التحقت بها .. سألنى بعض المساجين عن سبب دخولى الى السجن ، وضحكوا كثيرا حين علموا بالقصــة ، وتوالت التعليقــات الطريفة واللاذعة :

ـ بسبب تلميذة ؟!

ـ حضرته دون جوان ..

ـ الولد حلو ، وشعره مسبسب .

ـ يا خسارة ، والله ينفعنا فى سرقة الكاديلاك .

ـ حسبناك سرويسا محترما .

وسأل عن معنى كلمة « سرويس » فصاح أحدهم :

ـ قل له يا كوتو .

ـ سرويس .. كلمة أفرنجية معناها لص .. هات ثمن المعلومات القيمة .. سيجارة .

وما أن أخرج العلبة من جيبه حتى عادت خالية ، ولم يعرف قيمتها الا حين أراد شراء أخرى ، ثمنها ثلاثة أضعاف ثمنها الحقيقى ، ولكنه اندمج معهم .. فهكذا كانت تقضى ظـروف الحياة فى هذا المكان . وعرف قصــة كل منهم ، وتاريخه فى الاجرام ، وكل يحـاول أن ينسب الى نفسه ما ظنه أمجادا ليست له ، ويستمر هو فى كتابة قصته :

« كان مقدرا أن أمضى عشر سنوات فى السجن ، ولكن شاء القدر أن يغير العهد بعهد جديد فخرجت بعد نصف المدة فى الاعفاءات الثورية ، وكان حسن سيرى وسلوكى شفيعين لى فى ذلك ، ولكننى خرجت والقيود لازالت تكبلنى .. صحيفة السوابق ، يا لهامن كابوس لازال يؤرقنى حتى الآن ، خرجت لأجد كل أبواب الحياة قد أغلقت دونى تماما، العمل ... لا عمل .

لا أريد أن أطيل عليكم ، قابلنى أحد الزملاء الذين كانوا معى فى الســجن صدفة ، وذكرنى بأنى حلو ، وشعرى مسبســـب ، وبأنى خليــق بركــوب الكاديلاك ، وما هى الا أسابيع قليلة

حتى أصبحت اخصائيا تعطلت لديه كل الغرائز ، الا غريزة الفك والتركيب ، أركب الكاديلاك لأدخل الى السجن ، ثم أخرج منه سائرا على قدمى فأركب أخرى وأعود اليه ٠٠ والآن اما أن أتعود السير على أقدامى أو أعود الى السجن مرة أخرى فور خروجى منه ٠

هذه هى القصة حتى الآن ٠٠ ولابد أن أعثر على النهاية ٠٠ لحظة التنوير ، الخروج من السجن لا يمكن أن يكون هو النهاية ، فكم من مرة خرجت من السجن دون أن أرى النور بسبب الورقة المشئومة ، صحيفة السوابق ٠



ويعصر ذهنه محاولا أن يختم القصة، دون جدوى ، فيقرر تركها كما هى ، ويقول لنفســـه : « هكذا تنتهى بعض القصص دون نهاية محدودة ٠٠ والمعنى فى بطن الشاعر ٠٠ أنا كاتب طليعى »

هكذا قرر أن يقــول لزميله الذى أصبح محررا بمجلة « الصباح » ، والذى عقد العزم على مقابلته فور خروجه من السجن ٠٠ لديه البدلة الأنيقـة لزوم ركوب الكاديلاك ، قرر أن يرتديها فى هذه الزيارة ، ويمتطى صهوة خياله الذى قفز أســـوار السجن ليذهب به الى صديقه :

ــ الاستاذ سيد البلطى ٠٠ ان كان موجودا ، قل له صديق قديم ٠

وضغط على أنيابه خشية أن تذهب رهبة المكان بوقاره الذى ينم عنه مظهره ولا يدرى لماذا خطر له أن الســـاعى سيعود ليخبره بأن السيد البلطى غير موجود ، أو أن الساعى سيعود ليسأله عن اسمه ثم يذهب ليعود مرة أخـرى

فيخبره بأن سيد البلطى غير موجود . ويقطع عليه خواطره عودة الساعى قائلا له :

– تفضل .. الاستاذ فى اجتماع مع رئيس التحرير ، ولكن بوسعك انتظاره فى مكتبه لبضع دقائق .

وفى مكتب صديقه وجد هناك صحفيا آخر ، حياه برأسه ، ثم جلس صامتا وقد وضع ساقا على أخرى محاولا أن يبدو بمظهر الواثق من نفسه ، وما هى الا لحظات حتى وصل المقصود بالزيارة ، فهب واقفا ليرحب به وكأنه هو المضيف :

– أهلا سيد .

– عباس ! .. أهلا .. متى خرجت؟

– اليوم فقط .. خرجت فى الصباح .. وقصدتك فى المساء .

ونظر سيد البلطى الى زميله الصحفى ثم قال :

– ألا زلت على نفس مبادئك ياعباس؟

– أى مبادىء ؟

قالها ثم لم يلبث أن فطن الى أن سيد يريد أن يوهم زميله الصحفى بأنه دخل السجن لاسباب سياسية وليس لأسباب اجرامية ، فبلع ريقه فى غيظ ثم قال فى نبرة كلها ثقة رغم ما بدا عليه من ضيق ألحقه به خجل سيد منه :

– آه .. لا .. قررت أن أبدأ حياتى الجديدة بعيدا عن السياسة ، ولهـذا قصدتك أول ما خرجت .

– أنا فى خدمتك .

– لدى قصة أريد أن أنشرها ..

– اذن فقد أصبحت مؤلفا ؟

– ولم لا ؟

– لا ... لا شىء ، ولكن كم قصة كتبت حتى الآن ؟

– قصة واحدة .. عصارة التجربة .

– واحدة فقط ؟

– نعم .. وأول الغيث قطرة .

– أرنى اياها ..

وناوله القصـة ، وراح يحملق فى الفضاء ريثما ينتهى سيد من قراءتها ، وجاد عليه الصحفى الجالس فى الطرف الآخر ببسـمة تقول له : « اذن فأنت مناضل » ، وكز هو على أنيابه وكأنما يجيبه قائلا : « مناضل .. نعم ، ولكن ليس كما تفهم ، أنا مناضل فى سبيل لقمة العيش » .

واستيقظ على صوت صديقه سيد وهو يضحك ضحكة بلهاء محاولا أن يخفف من وقع كلامه .

– القصة لطيفة ، وصادقة ، ولكن أين النهاية ؟ .. لحظة التنوير ؟

– هذه ليست قصة تقليدية .. ألم تقرأ القصص الاجنبية التى تنتهى دون نهاية ؟

ظل سيد البلطى يجاريه حتى نهاية الجلسة ثم هم واقفا وقال له :

– اترك لى القصة ، وسأتولى أمرها بنفسى .

سر عباس بذلك ، وترك القصة له ، وعاد الى نفسه فى مكتبة السن بعد أن خيل اليه أن صديقه سيد قد أسقط شيئا ما فى جيبه حينما كان معه ... لعلها بعض النقود ، ولكنه وضع يده فى جيبه ليجده خاليا ، فعبس قليلا لأنه لم يجن شيئا من زيارته لسيد ، ومع ذلك لم يندم على ترك القصة له فكور الأوراق التى أمامه وألقى بها فى ركن الزنزانة .

القصة القصيرة بين الواقعية والرمز.



نقد: د. عبد القادر القط

يد واحدة لكمال مرسى

تهدف القصة الى بيان معنى انسانى كبير عبرت عنه بصراحة فى النهاية من خلال حديث المدرس لنفسه : **صحيح يا بنات ٠٠ ارادة الجموع لا يمكن أن تزيف ٠** وقد تحقق هذا المعنى فى صورة عواطف انسانية نبيلة لا يخدعها الزيف عن القيمة الحقيقية للناس والاشياء عواطف تقوم على المحبة الصادقة لا يخدعها الزيف عن القيمة الحقيقية للناس والأشياء ، عواطف تقوم على المحبة الصـادقة ولا تجـرى وراء المظهر الخلاب والادعاء الفـارغ ٠ ولا شـك أن مثل هذا الموضـوع قد عولج من قبل فى عشرات القصص على اختلاف فى الشخصيات والأحداث ٠ لذلك ينبغى أن نوجه اهتمامنا الأول فى الحكم على القصة الى قيمتها الفنية من حيث اختيار الحدث ورسم الشخصية وعملية السرد وغير ذلك من العناصر الفنية الأخرى ٠ وفى رأيى أن الكاتب لم يوفق توفيقا كبيرا فى ابراز هذا المعنى الانسانى الذى رمى اليه فى صورة فنية ناجحة لأنه لم يقدم لنا جانبى الأصالة والزيف (متمثلين فى مدرس اللغة العربية وناظرة المدرسة) فى أبعادهما الحقيقية الكافية لكى نفهم حقيقة العلاقة بينهما ونتعاطف مع أحدهما وننفر من الآخر ٠ فنحن لا ندرى عن مدرس اللغة العربية الا أنه طيب مخلص فى عمله ،

ولا ندرى عن طبيعة الناظرة شيئا ولا نفهم لماذا لم تختر ذلك المدرس الطيب مع أن كل تلاميذه ــ وهو نفسه ــ كانوا على يقين من أنه سينال الجائزة • ومما أكد « عمومية » الصورة فى القصة ان صح هذا التعبير ، أن الكاتب قد جرى على المألوف ــ *فى القصص* والأفلام والمسرحيات ــ من اختيار مدرس اللغة العربية بالذات ليكون رمزا للطيبة ، واتبع فى رسـمه ــ حتى فى مظهره الخارجى ــ ما درج عليه الكتـاب من تناول هذه الشخصية من قبل • فهو يرتدى « حلته القديمة التى تعود أن يرتديها فى الأيام العادية •• كان جيبها الأيمن الخارجى منتفخا دائما كأنما أصابه ورم مزمن • وكان هذا الانتفاخ فى بادىء الأمر موضع تساؤل البنات لكنهن أدركن فيما بعد أن سبب الورم فى جيب الاستاذ عاشور ، منديل أحمر كبير فى حجم فوطة السفرة يستعمله فى مسح التختة كلما اختفت المسحة فى حصته حتى لا يضيع وقت الحصة فى البحث عنها ، كما ترغب فى ذلك بعض البنات الشقيات • » فهذه الصورة الكاريكاتورية وهذا السلوك الطريف ، وعاشور ــ هذا الاسم ذو الوقع الخاص ، كل ذلك يذكرنا بمدرس اللغة العربية الزرى الهيئة البادى الغفلة المتخلف عن روح العصر ، ولكنه مع ذلك ينطوى على قلب ملىء بالخير والاخلاص والمحبة • والصورة التى رسمها الكاتب « **للست الناظرة** » لا تقل ميلا الى الكاريكاتور عن صورة الأستاذ عاشور ــ فهى الشخصية المستبدة المسيطرة التى تتسم بشىء غير قليل من *الغلظة والخضوع للهوى* الشخصى • فهكذا يصفها المؤلف « وأمسكت بمكبر الصوت من عنقه بيدها الغليظة برهة ! ايذانا بأنها ستبدأ كلماتها ، بينما راحت عيناها تطوفان بأرجاء الفناء بين رعيتها الصغيرة ••• وتنحنحت « **الست الناظرة** » وهى تبعد فمها عن الميكروفون لكنه ضخم ، **بالرغم منها ــ نحنحتها فبدت كخوار ثور كبير •••** » فهل حتم أن تكون دائما يد « الست الناظرة » غليظة وصوتها أجش كخوار ثور ــ ، وثور كبير ! •

لهذا لم نستطع ــ كما قلت ــ أن نتعاطف تماما مع الأستاذ عاشور وطالباته المتحمسات • ومع أن النقاد طالما نبهوا الى مبدأ يعد من أوليات الفن بوجه عام هو وجوب الابتعاد عن التلقين والنزعة التعليمية الصريحة ، فان الكاتب قد وقع فى الخطأ المألوف حين أصر على أن ينبئنا بما حدث به مدرس التربية الوطنية نفسه : صحيح **يا بنات •• ارادة المجموع لا يمكن أن تزيف** • مع أن معنى القصة واضح لا يحتاج الى نص أو تفسير • وكانت تكفى النهاية التى تصور مزيدا من طيبة الاستاذ عاشور وهو قلق على مصير الفتاة التى قدمت اليه الهدية باسم زميلاتها مطمئنا نفسه بقوله : **يعنى حتعمل ايه ، حضرة النـاظرة • للبنت الطويلة بتاعة الكرة ؟ دول البنـات كلهم يد واحدة جابوا الهدية** •

الآخرون •• لمحمد حسن عبد الله

تتعقد الحياة فى المدن الكبرى وتتشابك حياة الفرد ومصالحه فى ظل الحضارة الحديثة ومع حياة الآخرين ومصالحهم ازداد احساس الفرد بوجود « الآخرين » ووطئتهم على عواطفه وأفكاره وسلوكه • لذلك استأثر موضوع « **الآخرين** » **اهتمام كثير من** الكتاب وبخاصة فى الأدب الوجودى • وقصتنا هذه تصور كيف يندفع الفرد أحيانا

الى سلوك غير منطقي يتعارض مع حاجاته وظروفه بدافع من احساسه بالآخرين . فدياب غانم ـ الكاتب الصغير ـ يشق على نفسه ويكلفها فوق ما تطيق فيركب الأتوبيس دائما في الدرجة الاولى على أمل أن يراه يوما المحاسب الثرى الذى يعمل عنده فيعلم أنه ليس هين الشأن كما لو كان يعتقد ذلك المحاسب . وهو تحت وطأة احساسه بالآخرين يدخل في منافسة غير متكافئة مع شابين أنيقين حول فتاة جميلة كانت تقف في زحمة الأتوبيس . ثم هو في النهاية يرد الى محصل الأتوبيس ما في جيبه من قروش قليلة كان في أشد الحاجة اليها ليرد عن نفسه احساسه الأليم بالجوع ، وهو يعلم حق العلم أنها قروشه هو ، ولكنه لم يطق أن يشك « **الآخرون** » في أمره وأنه اختلس هذه القروش من المحصل بغير حق ، وآثر أن يردها بهذه الطريقة المسرحية ليظفر من « **الآخرين** » بشيء من التقدير ، غير أن المحصل لم يزد على أن تناول القروش في اهمال وهو يقول « **مش قلت لك .. يا أخ !** » .

وحين تصبح الشخصية مدارا لفكرة هامة كفكرة « **الآخرين** » فلا يمكن أن نكتفي من ملامحها النفسية بأيسر اليسير بل لابد أن نعلم الكثير عن هذه الملامح أو على الأقل عما يتصل منها بموضوع الآخرين ويزيد فهمنا له وضوحا وعمقا . ولكن يبدو أن الكاتب قد اختار لشخصيته أن تكون شخصية « دعية » أكثر منها « **مأزومة** » لذلك سماها منذ البداية دياب غانم وأشار اليها أحيانا بقوله « **ابن غانم** » ليؤكد علاقة الاسم بالفارس الهلالي المشهور وليدل على تشبث صاحبها بفروسية زائفة قائمة على المظهر أكثر من قيامها على شعور حقيقي وحاجة ملحة . وهكذا لا نرى الخلاف بين الاستاذ دياب والمحاسب الذى يعمل لديه على أجر يكفل له حياة كريمة أو على طبيعة عمل تتيح له بعض الراحة وانما يختلفان حول أجر ركوب الاستاذ دياب ، أيكون بالدرجة الأولى أم بالثانية . وحين يفشل في تسوية الأمر مع المحاسب يلجأ الى طريقة غريبة تتفق مع صورة الادعاء التى رسمها له الكاتب فنراه يركب الأتوبيس دائما بالدرجة الأولى على أمل أن يراه المحاسب يوما ما . ولاشك أن شخصا كهذا في مظهره المتواضع وفقره الشديد لا يمكن أن يفكر في تلك المنافسة الغرامية التى اشترك فيها . ومع ذلك فلو نحينا المنطق جانبا فسنرى **أن اختيار الكاتب لهذا الموضوع العاطفي بما فيه من مراهقة وسطحية** من جميع من اشتركوا فيه لا يجعل الشعور « بالآخرين » نابعا من أزمة حقيقية بل يجعله امتدادا لهذا الشعور الزائف الذى تمثل منذ البداية في الخلاف حول أجرة الأتوبيس بين الأستاذ دياب والمحاسب . وقد زاد من احساسنا بسطحية ذلك الموضوع العاطفي بعض تعبيرات استخدمها الكاتب ، كتعبيره عن أحد الشابين « **بالكرافتة الحمراء** » وعن الآخر « **بالأزرار الفاقعة** » وبقوله : الا أن الأزرار الغامقة وسوست لنفسها « لو أن سوق الكانتو تملكته نوبة تظاهر بأنه جنتلمان فستكون داهية سوداء ، سيبتسم وكأنه اكتشف وجود الحسناء فجأة ، ثم يقف في تأديب مفتعل لتجلس مكانه وليقف أمامها يتحسس بسيقانه العجفاء سيقانها المليئة البضة ، ويسرق كنوز الصدر الأعظم بعيونه الباهتة » .

ثم تأتي المفاجأة الكبرى حين يتخلى الاستاذ دياب عن قروشه للكمسارى بعد أن كان قد أخذها منه ووضعها في جيبه وبعد أن اشتد به الجوع ، لا لشيء الا ليدفع

عن نفسه ظن السوء من « الآخرين » وليس هذا الشعور غريبا فى ذاته ، فالفتى كما يقول الشاعر «يلاقى المنايا» كالحات « ولا يلاقى الهوانا » ولكنه غريبا بالنسبة الى هذه الشخصية الدعية التى لم يصور لنا الكاتب أزمتها النفسية الحقيقية فى مظاهر أكثر صدقا وواقعية • **لهذا ظلت الشخصية حتى النهاية غير قادرة على تحمل المعنى الكبير الذى أراد الكاتب أن يحملها اياه استحالت القصة بوحى من عبارة الكمسارى الأخيرة « مش قلت لك يا أخ •• » الى دعابة كبيرة ! •**

أصابع الشعر   لمحمد حافظ رجب

لا شك أن القارىء يحس بأن فى أسلوب هذه القصة شيئا غير مألوف • فهو لا يجرى على النسق المنطقى المتتابع الواضح كما فى سائر القصص بل يعتمد على شىء غير قليل من الغموض ، يكون موحيا شفافا فى كثير من الأحيان ، ويكون أحيانا أخرى مغلقا يصيب القارىء بكثير من الحيرة • ولعل خير مثال على هذا اللون الثانى من الغموض مطلع القصة نفسها ـ وأكاد أقول القصيدة : ـ « **استلقت « هنا » فوق وسادة المخمل البنفسجى داخل علبة التواليت ووضعت الغطاء فوقها •• تركت وراءها الباب مواربا عن قصد ليجذب الرجل ، وتثاءبت •• تثاءبت ليس من أجل النوم ••** انها تطرده • بعد لحظات تسلل وراءها « الشعر » ، مدت « هنا » أصابعها ، عانقته ، لفها الشعر ، غطاها • صارت سجينة • نامت الأصابع فى العلبة متعانقة ، لم يحفل الاثنان باصبع الروج وعلبة البودرة وزجاجة العطر والمرآة الصغيرة ، **مخلوقات علبة التواليت** ، مع أنها اشتركت فى اعداد « **هنا** » للحدث • **فلا يكاد القارىء يدرى كيف** استلقت هنا داخل علبة التواليت ولا ما تكون أو من تكون هنا هذه ، ولا ما هو أو من هو هذا الشعر الذى يعانقها ويلتف حولها فتصير سجينة • على أن هذا الغموض لا يلبث أن يتضح شيئا فشيئا حين نتقدم فى قراءة القصة • ولكن القصة مع ذلك تتطلب جهدا خاصا من القارىء حتى بعد قراءتها للمرة الأولى وأغلب الظن أنه لابد أن يعيد قراءتها ليدرك مثلا أن فيها بدءا من النهاية ، من حيث سقطت هنا مع «**السماك**» بعد أن انهار زوجها اثر مصرع ولده تحت عجلات الترام ، ثم عودة الى بداية القصة حيث كانت هنا سعيدة مع زوجها رغم قسوة الحياة عليهما معا • **والقصة بهذا الأسلوب تكاد تشبه كما قلت قصيدة من الشعر** يقاس توفيق الكاتب فيها بمقدار نجاحه فى تجسيم المشاعر والأفكار والاوهام فى صور شعرية موحية تكسبها دلالات حية جديدة تخرجها عن طبيعة موضوعها المألوف الى جو من المأساة الانسانية العامة • والحق أن روح المأساة لا تنقص القصة ، فرغم الظروف القاسية التى كان يعيش فيها الزوجان، فان المؤلف لم يلق مسئولية انهيار الزوج على هذه الظروف وانما جاءت الكارثة من قدر مفاجىء لا حيلة فيه جعلت الزوج يذهل فيكاد يتصور العالم كله جمجمة يتمثل فيها معنى الفناء الشامل الحتمى ! « يخرج من جواله جمجمة ! هل ترين هذه يازوجتى العزيزة ؟ رأسى وراسك هنا •• رأسى ورأسك مثلها •• **أنا وأنت جمجمة** • عثرت على رأس حربى فى داخل الجمجمة • العالم فى داخلها • ما أغرب ذلك يا زوجتى العزيزة العالم جمجمة ؟ ويحمل كوم العظم فوق كتفيه ويغادر الحجرة •

والحق أن الكاتب قد وفق الى رسم كثير من الصور الشعرية البارعة وبخاصة فى تصويره للتحول النفسى عند الزوج بعد مصرع ولده ٠

على أن الكاتب فى أمثال هذه القصص قد يتعرض لمزالق فنية خطيرة تفسد عليه عمله ٠ فقد يفشل مثلا فى خلق هذا الجو الشعرى الموحى الذى يعوض القصة عن موضوعها العادى ، وقد ينساق وراء العبارات الشعرية أكثر مما ينبغى فينقطع سياق القصة ويغلب عليها طابع الشعرية أكثر من طابع القصة ٠ وقد يجنى القارىء نفسه على أمثال هذه القصص اذا لم يبذل من الجهد فى قراءتها ما بذل الكاتب من جهد فى كتابتها ٠ وأعتقد أنه رغم بعض التعبيرات التى تصيب القارىء بشىء من القلق فى هذه القصة فان كاتبها قد وفق فيها الى حد كبير ٠ **وهذا اتجاه ـ اذا خلا من المبالغة وفكر كاتبه دائما فى مدى قدرة القارىء على متابعته وادراك تجربته ـ جدير بالتشجيع فقد يخلص القصة القصيرة عندنا مما أصابتها به الواقعية من نثرية مسرفة باعدت بينها وبين الجمال فى التعبير والتصوير ٠**

لحظة التنوير لزهير البيومى

لعل القارىء كان يستطيع أن يتقبل هذه النظرة « المتعالية » من شخصية «المجرم» فى القصة لو أن هذا المجرم كان على قدر واسع من الثقافة أو التجربة الانسانية الرحيبة ، ولعل القارىء أيضا كان يستطيع أن يشغل نفسه « بلحظة التنوير » تلك التى تضع نهاية لقصة هذه الشخصية ، لو أن الشخصية كانت متميزة عن سائر من يدخلون السجون ويخرجون منها ويعودون اليها بوضع اجتماعى أو نفسى خاص يجعل من حياتها مأساة متفردة ٠ ولكنه شاب دخل السجن فى جريمة قتل غريبة من أجل زميلة له فى الجامعة ، ثم انحرف كأى مجرم عادى فمارس سرقة السيارات بعد خروجه ولما يقض نصف المدة ٠ وكان جديرا بثقافته وبالظروف التى خففت عنه خمس سنوات من السجن أن تدفعه الى سلوك مختلف ٠ فاذا كان قد قرر بعد ذلك أن يكتب قصته **فليس من المقبول أن نتعاطف مع موقفه المتعالى من أساتذته فى الجامعة ولا من زميله** السابق الذى يعمل فى الصحافة ولا مع بحثه عن نهاية أو « **لحظة تنوير** » لقصة حياته العادية فى مجال الاجرام والانحراف ٠ **أما نهاية القصة فمفاجىء غير مفهوم ليس فيها** « لحظة تنوير » ! ٠

وبعد فلعلنى ملت فى هذا العرض الى جانب النقد أكثر مما ينبغى ولكن دفعنى ذلك أن هؤلاء الكتاب من الشباب الذين نرجو على يديهم كثيرا من الخير ، وأن واجب الناقد نحوهم أن يواجههم بما يعتقد أنه الحق لعلهم أن ينتفعوا به ٠ **ومع ذلك فقد يختلف الناس فى تقدير الأعمال الأدبية ، وما أدعى أن أحكامى على هذه القصص تمثل كل وجهات النظر التى يمكن أن نتحدث عنها ٠**

د ٠ عبد القادر القط


بلا خوف
قصة : عباس محمد عباس
ى. فايد

مازلت اذكره ..

حينما ملأ فمه بضحكة مخبولة وهو ينزع الطاقية بحركة عنيفة عن رأس الصبى المسكين ماسح الاحذية الذى ابتلع شتائمه حينما ابصر قدم «جمعه» الحافية تستقرعلى صندوقه الصغير.. وازداد الصبى انكماشا فى جلسته وهو يوزع نظراته الخائفة المستغيثة بين القدم المفلطحة العارية ، وبين الجالسين - غير بعيدين منه - على قهوة المعلم حسونه .. ولعل الصمت الذى ساد الموقف اضجر جمعه فصرخ بلهجة متوعده :

- ياواد امسح الكاموش الربانى.. احسن لك

ولم يتحرك الصبى .. بينما عادت نظراته تتسكع بين وجوه الجالسين على المقهى تستجدى الانقاذ ..واخيرا تحرك احدهم .. جابر القهوجى .. قال بصوته المبحوح وهو يشخشخ القروش فى جيب مريلته القذرة :

- اسمع ياريس جمعه .. اديله القرش الاول وهو يوضب لك الجزمة.

وانطلق الصبى فجأة كصفارة الانذار :

- وهى فين الزفت .. الجزمة ؟

وانحنى القهوجى يصفعه على قفاه .. وقال مشيرا الى القدم المستقرة على الصندوق :

- امال دى ايه ياقفل ؟

وابتسم جمعه فى وقار .. وانطلقت من المقهى عدة ضحكات متباينة النغم بينما انفجرت فى وسطنا - نحن الصبية - قنبلة من الضجيج كنا نجيد تفجيرها .. **وهدأت** الاصوات حينما اخرج جمعه القرش **اظهارا لحسن** نواياه ، والقى به فى حجر الصبى وراح فى غطرسة مضحكة يدلى بالمواصفات:

- تلات خطوط بيض على وش الرجل .. والكعب بنى غامق ..

وانهمك الصبى فى عمله بينما كنا نراقب العملية فى نصف دائرة صغيرة قلقة القطر ، وكالعادة.. بدأنا نعاكس جمعه بالشتائم والحصى .. وكعادته أيضا من صد الهجوم بدأ فى ارهابنا بأن يتظاهر بأنه على وشك الامساك بنا فننفر فى كل اتجاه بفزع حقيقى وصراخنا المذعور يضاعف قدرتنا على الهرب ، لاننا كنا جميعا نخشاه . فالواحد منا كان يفضل الف مرة ان يبيت ليلة كاملة وبمفرده بين المقابرعلى ان يقع ولو لدقيقة واحدة فى قبضة جمعه الذى كان يحلو لنا ان نسميه «جمعه السكران» لكثرة ماكنا نراه مترنحا «سكران طينه» لايكاد يفيق من تأثير الكحول الردىء .. وكنا ننتظره كل يوم تقريبا امام نصارالبقال حينما يخرج بقامته المديدة وبشرته السمراء وشعره المفلفل ونظراته الفسفورية ، يضم بين يديه بحرص بالغ «كوزا» من الصفيح امتلأ بالسبرتو الأحمر .. ذلك الصنف الوحيد الذى كان يتعامل معه باستمرار دون عائلة الخمور كلها .. وكانت الزفة تبدأ من هنا .. هو يسب ويلعن ويخوفنا .. ونحن نعاكس ونشتم ونفر .. وتستمر الزفة خلال الازقة حتى نصبح خارج الحى ، وحينما تلوح لنا الخرابة التى يأوى اليها جمعه كنا نبدأ فى التقهقر وملء ادمغتنا هذه الاساطير المرعبة التى

نفنن خيالنا الطفل فى غزلها من مظاهر حياته الشــاذة .. وانتهى الصبى من **((الكاموش الربانى))** ... وبــدأت الزفه المعتــادة بتصفيــق ماجن بداه جابر القهوجى حينما انزل جمعه قدمه من على الصــندوق وكأنه ملك يهبط عن عــرشه ... وتتبعناه بضجيجنا حتى المنطقة الحرام .. ووقف قريبــا من الخرابة مائلا كبرج بيزا يتوعــدنا .. وهنا حدث مالم اكن اتوقعه .. الولد حزين .. اكبر الجوقة سنا واثقلهــا ظلا على نفسى ضرب يمناى القابضــة على الــكرة الشراب ــ التى تعبت فى حشوها طوال امس ــ ففرت من يدى واختــارت مكانهــا بخبث فى منتصف المسافة التى تفصل بيننا وبين جمعه الســكران .. وشـــعرت بالغضــب والحزن ولكننى اعتقلت ثورتى داخــل نفسى فقد كنت اعلم مقدما النتيجة لو اننى اشــتبكت مــع حــزين «خنزير الفرقة» .. وتناثرت حولى الكلمات **((راحــت عليك ياكابتن .. يبقى ابوك جدع لو تقدر تجيبها .. يابنى سيبه ده يخاف من خيــاله))** .. كل هذا لم يثر طبيعتى الحــامية بقــدر ماآلمتنى الفرصة التى اوشكت أن تضيع . فقد كنا سنلعب «فرقه» فى اليوم التــالى وكونى صــاحب الكره يعطينى حق «الفيتو» لارضى به نزعة «الفلس» التى اشتهرت بهــا .. وبالرغم من خــوفى الشــديد قــررت ان اتحــرك .. بل وتحركت بالفعل .. نقلت قدمى خطوة .. فثانية .. فثــالثة .. كل هــذا وجمعــه مازال يقــلد بــرج بيزا .. والشلة توقفت تماما عن الضجيج وحكم المكان صمت نمــوذجى وأنا أتحــرك خطوتى الأخــيره ... وانحنيت على الكرة .. وفجأة .. اندفع جمعه تجاهى بسرعة جمــدت الدم فى عروقى فلم أستطع أن أتحرك مليمترا واحدا .. بينما انطلقت الفرقة بكاملها تجرى فى كل اتجاه وصراخها المذعور يوقظ اهل الكهف كأنها عصــافير تطردهــا عن أعشاشها بندقية صياد .. وفى لحظة رهيبة ، صاعقة الخوف وجدت يدى سجينة فى كف جمعه الســكران .. واعتقدت انه سوف يسلخنى ويجعل من لحمى مزه .. واســـتبعدتنى رعشة عنيفة متصلة ويدى الصــغيرة غارقة فى كفه الكبير اللزج .. ومضت لحظات دوت على اثرها احدى ضحكاته المخبولة التى بدت لى كأنها دمــدمة بركان يوشك أن يلفظ أحشـــاءه .. وغرز أصــابعه فى كتفى بعد أن اعتق يدى وقال فى خشونة هامسة :

ــ جــدع اللى مهربتش زيهم .. أنا احب الجدعان .. جدع والله فى زمن قلت فيه الجدعان ..

وقبل أن اتمكن من هضــم كلماته شدنى من يدى الى الخرابة قائلا :

ــ انت من النهاردة صاحبى وأخويا

وشردت منى نظرة نحو الشلة وهو يجرنى خلفه ، وكانت حصيلة هــذه النظرة اننى قد أصبحت بطلا يمكننى أن أتصدر ــ ولعــدة أيام ــ نــدوة «الدجل» التى كنا نعقدها فى الأمسيات الجميلة على ناصــية الحاره . وطــرد الزهو الرعدة عن جســدى ونجحت فى ان اجمل خوفى مستترا وهو يجلسنى قبالته على حجر كبير بينما افترش هــو الأرض مسندا ظهره الى سور مدفن اليهــود الذى يحتضن الخــرابة من

احدى جهاتها .. واشعل النـار بين قـالبين من الطـوب الاحمـر ووضـع عليهما «كوزا» يضم تشكيلة غريبة من نفـايات الطعـام يستعملها كمزة .. وبفرع شجرة قذر اخذ يقلب مزته ، وحينما بدأت الابخرة الكريهةتتصاعد منها راح يلقى فى جوفه بالسبرتو فى نهم ولذة .. وقال وعلى شفتيه تلعلع ابتسامة شبه مهذبة ٠



ـ قوللى .. انت بتروح المدرسة ؟

ـ ايوه ..

ـ يابختك !

قالها فى نبرة تعصرها الحسرة .. وتضايقت .. فأى شىء فى المدرسة يحسدنى عليه هـذا السكير .. انه لايعـرف تريقـة مدرس الحسـاب واصـفاره .. ولا خيزرانة هنداوى افندى مدرس الالعاب .. واوشكت ان ابوح له بكل قرفى المدرسى ولكننى لم افعل لانه اغمض عينيه واسند راسه على سور المدفن وقال بعد فترةصمت وهو يعبث بالكوز فى يده :

ـ ياسلام ع الدنيا .. خلاص كنت حشتغل فى البنك .. البس البدلة الصفرا والزراير النحاس .. وبعدين يجى ابن الـكلب الخواجـه يقوللى : تعـرف تكتبى اسمك ؟ قلت له : لأ .. قاللى : «انتى مـوش ينفع» ... ابن الـكلب يجى من بلدهم يركب عـربية ويعمل مدير ويقوللى انا .. انتىموش ينفع ٠

وتمـدد بيننـا ـ بعض الوقت ـ صمت مـريب القسمات .. وابصرت انسانى عينيه وهما يتألقان كخـرزتى الفسفور حينما ضغط ذراعى وقال :

— انت بتعرف تكتب وتقرا ؟

وأهانني سؤاله الغبي .. فكيف لااعرف وانا «الفة» ثالثة رابع وبعد عام آخر سوف احصل على شهادة «قد الدنيا» اسمها الابتدائية تنوى أمي ان تعلقها فى اطار الى جوار صورة أبي .. وتجملت بالصبر وانا اجيبه :

استجداء اربكني :

— علمني .. واذا غلطت اضربني

الضرب جمعه السكران ؟! اى جنون هذا ؟! واستطعت بصعوبة ان اجمع على لساني حروف كلمة «موافق» .. وابتسمت كل ملامح وجهه وانتصب واقفا بحيوية غريبة عنه وكأنه لم



— طبعا

قال ونظراته تضاعف لمعانها كأنما أبهرها رؤية كنز من اللآلىء :

— خلاص .. علمني

ولم اجد ماأقوله .. ويبدو ان صمتي اصابه بخيبة امل .. فهمس فى

«يطفح» منذ قليل كل هذا السم .. وبسرعة كسر احد قالبي الطوب الاحمر وقدم لى «شأفة» منه .. وفى جزء مازال بياضه متماسكا من سور المدفن كانت سبورتنا .. وكتبت صفا من الحروف الهجائية وبدأت انطق له

الحـرف فيردده خلفي بحـــذر من يتحـاشى الخطأ .. واعطيتـه القلم الحجري لكي يتعلم رسم الحروف ..

وكان كلما انتهى من حرف تراجع الى الوراء قليلا لكي يرى مدى توفيقـه على بعد منـاسب وكأنه فنان يضـع الرتوش الأخيرة فى لوحته .. والحقيقة ان منظره كان بديعا .. طرف لسـانه مكور بين شفتيه .. وفى نظراته انبهار منفعل .. وفى حركاته فرحة وطيش.

وحينما بدأ يعـالج حـرف الحـاء انفجرت خلفنا ضحكة مباغتـة جعلت جمعه يلوى رأسـه فى حـدة وقلق واستطلاع .. وكان صـاحب هـذه الضحكة عم ابراهيم حارس المدفن الذى وقف بكرشـه الـسكروى ومنظره الكاريكاتيرى يخبط كفا علـى كف ، وحينما أنهكـه الضحك بدأت الكلمات تنهمر من فمـه كأمطـار المنـاطق الاستوائية :

ـ يخرب بيتك ياجمعه .. عـايز تتعلم .. آدى اللى ناقص الحمير اللى زيك كمان تتعلم يا عـالم الحقونى .. انت مجنون .. انت .. انت .. انت.

وبدا ان عم ابراهيم لم يكن يفكر فى السكوت .. وشـعرت بالرعب يدق اعصـابى من جـديد حينمـا ابصرت جمعة يتحول الى وحش حقيقى وهو يهجم على عم ابراهيم .. ويركلـه ويعضه ويبصق عليه بحركات هستيرية .. وعم ابراهيم يصرخ ويصرخ حتى حضرت كلابه التى تشاركه حراسـة المدفن وتدخلت الى جـانبه فى المعركة .. وتحلقت الكلاب جمعة تعقره من كل ناحية .. كان المنظر رهيبـا .. الكلاب تنبح وتعقر .. وجمعة يقاوم ويصرخ ودمه يسيل، وملابسه تتمزق وعلى الطريق الاسفلت الذى يحـد الخرابة من الناحية الاخـرى ، اوقف عربجى حنطور عربته وحضر يجـرى بسـوطه وكلماته الجزعة تسـبقه :

((ياجدعان عيب .. صلواع النبى امال))

.. واسـتطاع ان يقنع عـم ابراهيم بكرشـه وكلابه .. وذهب العـربجى بعربته وسـوطه .. حتى الشـلة لم اجـد لها اثرا .. وبقيت انا وجمعـه والصمت .. وانكمش جمعه الى جوار السـور وقد لطخ الدم جسده فى اكثر من موضع واخذ يخبط رأسـه برتابـة ولين فى سـور المـدفن المتآكل وهـو يتمتم :

ـ ليه ماتعلمش ؟ هو انا مش بنى آدم ؟ يعنى بس لو كنت اعـرف اكتب اسمى ؟ كنت لبست البدلة الصفراء.. والزراير النحاس على الاقل .. مش كده ؟

ورفع وجهه نحـوى .. كانت فى عينيه دموع .. جمعه السكران يبكى! .. من الممكن ان اصـدق اى شىء .. اى شىء الا هذا .. وكما يذوب الجليد تحت أشعة الشمس ذابت الاسـطورة فى داخلى وانا اراقب خرزتى الفسفور وهما تغرقان وسط دموع عادية كتلك التى اراها فى عينى اخى الصـغير .. وفجـأة برزت الشـلة ووسـطها ابى جاءوا به لينقذنى من جمعه السكران .. وذهـبت معهم .. ضربنى ابى فى البيت حتى لااذهب مرة أخرى ناحية الخـرابة .. وجلست امى تحـدثنى مايقرب من الساعة عن العفاريت التى تسكن جسد جمعه .. وبالرغم من اننى لم اجلس مع جمعه فى الخـرابة مرة اخرى الا اننى فى صباح اليوم التـالى .. وكل صباح كنت اتعمد ـ وانا فى طريقى الى المدرسـة ـ ان امـر من الشارع الاسفلت المجاور للخرابة لكى القى اليـه من بعيـد بالتحيـة .. وبلا خوف .

عباس محمد عباس

لقاء



قصة : محمد البساطى

دلف الاثنان الى المحـــل . كان المطر يتساقط خفيفا بالخارج . المحل صغير.. يقع على ناصية الشارع الرئيسى . تبعهما صاحب المحل بعينيه حتى جلســا الى منضـــدة بالركن ، ثم عاد يحملق مرة أخرى فى الشارع .. خلال الزجاج .

تأملت الفتاة أناملها فى ثبات . دار الشـــاب بعينيه القلقتين فى المحل .. الضوء بالداخل هادىء ، وباب المحـــل موارب .. يســـمح بدخـول ضـجيج الشـــارع ، والمرايا المستطيلة تحيط كالحزام بمنتصف الجدران . استقرت نظراته على أناملها .

خرج صبى من خلف حاجز داخلى . جفف يديه فى جلبـــابه . وقف أمامهما صامتا .

قال الشاب : « **ماذا تشربين .. ؟ .. حليب .. ؟**

ــ التفت الى الغلام ــ **كوبين لبن .. وزبادى أيضا ..** » انصرف الغلام متباطئا كالسلحفاة . اختفى خلف الحاجز ..

قال الشاب مبتسما : « **كنا نفعل ذلك .. منـــذ .. كم سنة مرت .. ؟ .. ثلاث .. ؟**

نظرت الفتاة الى أصابعها فى صمت . أسند الشاب كوعيه الى **المنضدة :**

ــ لم أصدق .. حين رأيتك لم أصدق عينى .. ولكن .. ان ملامحك كما هى .. لم يتغير شىء .. »

ابتسمت إبتســـامة صـغيرة . رفعت عينيهـــا . فوجئت بعينيه قريبتين .. تكاد أن تلمســـا وجههـــا . خفضت بصرها ..

ــ « **نفس الشعر الأسود ..والحاجبين الكثيفين ..** »

ابتسمت مرة أخرى . همست : ــ

ــ « **كنت تريد .. لقد قلت .. أنك تريد أن تقول شيئا ..** »

انفرجت أساريره مرة واحدة : ــ

ــ « كنت أعبر الشارع .. أتعرفين ؟ .. فكرت ..كنت تقفين أمام السينما.. رأيتك .. كان شيئا غريبا أن أراك .. فى هذا الوقت بالذات ..

ــ لم .. ؟

بدا أنها سيطرت على نفسها فجأة . رفعت وجههـــا اليه . **التقطت عيناه** عينيها . كانت هناك رعشة خفيفة على زاوية فمه ، ووجهه شاحب .. شحوبا عميقا ..

ــ « لا أعرف .. الحقيقة .. شعرت بشىء غريب .. **كنت أفكر فيك لحظتها .. كنت أقول .. أقول لنفسى .. لو أراك أمام هذه السـينما .. ثم .. ثم رأيتك ..** »

تألقت عيناه فجأة .

أضواء السيارات تندفع الى الداخل كالعاصفة ، فتنعكس على المرايا فى بريق خاطف .. مجنون .. ثم تختفى ..

نهض صـــاحب المحـل فى تثاقل . زحف بجسده السمين الى الباب . نظر فى تجهم الى المطر المتساقط ، والميـــاه المتجمعـة تنزلق فى هـــدوء ــ دون أن يشعر بهـــا أحد ــ الى البالوعات . هز رأسه فى ضيق ، عاد الى مقعده خلف البنك الصغير .

رفع الشاب عينيه الى السقف . انتقل



نظره بسرعة الى المرايا .. وحبات المطر الملتصقة فى عناد بالزجاج الخارجى . حملق لحظة فى أرض الشارع :

— « **مازالت تمطر .. أتستعملين نفس الطلاء لأظافرك .. ؟**

أومأت برأسها .

— « **كنت تنتظرين زوجك .. ؟** »

— « **قلت .. أن هناك شيئا ..** »

هز رأسه هزات قصيرة عصبية :

— « **نعم .. كنت أريد أن أقول ..** »

صمت فجأة . نظر الى عينيها نظرات عميقة فاحصة . أمسك بأناملها . بدا عليها شيء من التردد . لكن أناملها ظلت فى يده ..

ـ « كنت تغضبين .. حين أقول .. أن تك يدى رجل .. أصابع طويلة .. كانت هنا زائدة صغيرة بخنصرك .. ؟

ـ أزلتها ..

هز رأسه موافقا : ـ « كانت تعجبنى .. »

ـ الوقت تأخر .. يجب أن أذهب ..»

ـ مازالت تمطر .. اننا لم نشرب اللبن بعد .. » .

ساد الصمت بينهما . أرخى ظهره للوراء . عقد ذراعيه على صدره . حملق ساهما الى أرجل المنضدة . انبعثت حشرجة من الراديو . مد صاحب المحل ذراعه . جذبه اليه متمتما فى غضب :ـ

ـ « المطر .. لا أكره شيئا مثل المطر .. »

كان الراديو قديما ضخما . عبث لحظة بأزراره . استمرت الحشرجة كأنما ستمزقه . دفعه بعيدا عنه . التفت الى الشاب لحظة ، ثم عاد يحملق فى الشارع .

قالت الفتاة : « وأنت .. ماذا تفعل الآن .. ؟

ـ لا شىء .. مدرس .. مجرد مدرس موسيقى ..

ـ والبيانو .. ؟ .. هل تركته ..؟

رفع عينيه . كان يسودهما هدوء غريب . واختفت الرعشة من فوق شفتيه ..

ـ نعم تركته .. منذ مدة .. لا أدرى .. مدرس وكفى ..

ـ أذكر .. أقصد.. أنك كنت تعزف بمهارة ..

قال فى حدة : ـ « بمهارة .. ؟ »

ابتسمت عيناها : ـ « بمهارة .. انتظرت وقتا أن ..

ـ ماذا .. »

خطت باصبعها متعرجا على سطح المنضدة : ـ

ـ « انتظرت أن أسمع عنك..أقصد .. تصبح عازفا مشهورا .

ضاقت عيناه قليلا . التفت فجأة خلفه :

ـ « هكذا .. لقد تأخر الولد .. ماذا يفعل .. ؟

رد صاحب المحل : « سيأتى حالا .. محمود » ..

ظلت رأسه منكسة على البنك ، وعيناه فى الشارع . قال الشاب :

ـ هل أنت راضية .. ؟ .. أقصد .. حياتك الجديدة .

تأملته فى رقة : « لى طفل ..

ـ طفل .. ؟

ابتسم ـ ما اسمه .. ؟

ـ أحمد ..

ـ حدثينى عنه ..

ـ ولد شقى جدا .. لا يكف عن الصراخ ..

ـ كلا .. أقصد .. زوجك .. »

صمتت . نظرت اليه نظرة حذرة . كف المذياع عن الحشرجة ، واستقام صوته . رفع صاحب المحل رأسه : « ها .. أخيرا .. عشرون عاما وهو



على ما يرام .. ثم يحدث ذلك » .. جذب المذياع اليه .. كأنما يستحضنه . هز رأسه فى رضى .. وهو ينصت الى الصوت الرخيم .. مرت لحظة . انفجرت الحشرجة مرة أخرى ..

نهض مزمجرا : « **لا فائدة .. الراديو سليم .. سليم .. ولكن .. لا أحد يعرف** » ..

نظر الشاب اليه صامتا ..

استدار صاحب المحل . وقف بالباب ويداه فى خصره . بصق فى غضب ، وعاد الى مقعده .

قال الشاب : ــ **لقد تركت البيـانو .. تركته تماما ..**

ــ متى حدث ذلك .. ؟

ــ لو أننى اخترت طريقا آخر .. ربما ..

ــ متى حدث ذلك .. ؟

ــ لا أدرى..كل شىء كان على مايرام .. ثم .. فى مثل هذه الأمور .. لا يعرف أحد .. متى بدأت النهاية » .

ــ ولكن .. يمكنك أن تبدأ من جديد

ضحك : « **لقد ذهب بريق الخطـوة الأولى .. الأمر ليس تدريبا .. ليس تدريبا .. مجرد » ..**

ــ لا أفهم .. لقد كنت ..

ــ نعم كنت .. هنا النقطة .. لقد كنت .. والآن .. ؟ مجرد أن أفكر .. أن أقترب من البيانو .. مجرد أن يمر هذا الخاطر فى رأسى » .

صمت فجـأة . وعيناه ثابتتان على بقعة داكنة على سطح المنضدة .

ــ « **أحيـانا .. أقرر أن أبكى .. هكذا .. فجأة .. الأمر مضحك .. أقــرر أن أبكى .. أقفل الحجرة ..**

وأتمدد .. أسـترخى تماما .. ثم أبدأ البكاء .. الأمر مضحك .. »

ابتسـمت الفتـاة : ــ « **ألم تجـد صعوبة مرة .. ؟ »**

ــ أحيانا .. ثم أفكر فى شىء حزين .. وأبكى .. » .

وضع الغلام كوبين من اللبن أمامهما ، وانصرف .

ـ وعملك الجديد .. ؟ .. يمكنك أن تجد فيه ..

ـ متعة .. ؟ .. كلا .. مجرد .. أشياء مرصوصة بجوار بعضها .. اليوم هو الغد .. هو الغد ..

هكذا .. لا أحلام اطلاقا ..

ـ أقصد .. لو أن .. شيئا من الحماس ...

ـ حماس .. ؟ من أين .. ؟ .. هل ستدخلان السينما الليلة .. ؟ .. أنت وزوجك .. ؟

أومأت برأسها : ـ « سيخرج من عمله مباشرة الى السينما .. فى الثامنة .. »

ـ مازال هناك وقت .. هل هو قريبك .. المهندس .. ؟

نظرت اليه فى صمت . قال مبتسما :

ـ « لا أدرى .. لقد فكرت كثيرا .. الأمر يبدو غامضا .. مضطربا .. مرة ألوم نفسى .. ومرة .. أفكر أنه .. كان يجب أن يحدث ذلك .. »

ـ « لقد أخبرتنى .. أنت تذكر .. قبل رحيلك .. قلت أنك .. أنك لا تريد الزواج .. »

ـ « نعم حدث ذلك .. حدث .. أذكر جيدا .. كان هناك البيانو ..

ـ كلا .. ليس البيانو ..

ـ لقد فكرت .. كنت أفكر .. أن حياتنا معا .. ستكون مضطربة .. »

ـ كلا .. ليس هذا سبب رحيلك..

ـ الحقيقة .. لا أدرى .. كان يجب أن أرحل .. وقتها .. كنت أفكر .. أنه يجب أن أرحل .. كانت المدينة صغيرة .. صغيرة جدا .. مقفلة .. بائسة تماما .. وأنت تجلسين فى هدوء جانب أمك.. تنظمين كل شىء .. تضعينه فى مكانه المناسب .. وتحلمين ببيت هادىء .. وأولاد .. تصنعين لهم بلوفرات .. يستحمون كل يوم .. يجلسون حولك فى أناقة .. أنت ترين .. أنا لم أخطىء .. ثم هناك القطار .. كان لا يكف عن الضجيج تحت النافذة .. فى الصباح .. فى الليل .. كل ساعة .. كان ضجيجه يوقظنى من النوم .. وحين أطل من البلكونة .. كنت أراه .. يتلوى على الشريط كالثعبان .. وهو ينفث الدخان.. كانما يغيظنى.. وأحيانا .. كان السائق .. يقف تحت النافذة.. ويظل طول الوقت يصفر .. يصفر ..»

ـ « كانت هناك .. امرأة أخرى..»

ـ غيرك .. ؟ .. كلا .. أنت تعرفين .. لم تكن هذه الأمور تثيرنى.. الضوضاء كانت هنا .. فى رأسى .. المدينة .. والنادى .. والناس .. وقلت لك يومها ..

ـ ظننت .. أنك لا تريدنى ...

ـ كلا .. قلت لك تعالى معى .. قلت لك ذلك .. وكان يجب أن أرحل بسرعة .. كان النادى لا يطاق .. نفس الناس .. نفس النظرات .. والاهتمامات الصغيرة .. السخيفة .. كل يوم .. كل يوم .. كنت أحس أن موهبتى تموت .. وأننى فى حاجة الى .. الى ..

ـ لم تكن تريدنى معك ..
ـ قلت لك تعالى معى ..
ـ نعم قلت .. لكنك .. لم تكن تريد ذلك ..

ـ لا أدرى .. كل شئ كان مضطربا أمامى .. كنت أريد أن أجرى .. أجرى .. » .

دلف رجلان الى المحل . أحدهما يحمل معطفا على ذراعه . الآخر قصير ممتلئ .. يضج بالضحك .. قال مشيرا الى صاحب المحل : ـ « هو .. هو .. لا يتغير .. بعد مائة عام .. ستجده فى نفس المكان .. »

ضحك رفيقه ، وجلس .

قال القصير : ـ « تذوق طعم الزبادى هنا .. وستأتى من نفسك بعد ذلك .. رائع .. رائع .. »

قال رفيقه : ـ « سنرى .. »

ـ من سنتين .. وأنا أتناول عشائى هنا .. كل ليـلة .. زبادى وبعض السكر .. أحب أن أتناوله مع السكر .. اسأله ـ أشـار الى صاحب المحل ـ اسأله .. »

ابتسم رفيقه ، ودعك أنفه ..

قال القصير : ـ « اسأله .. هيا .. اسأله .. وسيقول لك .. سنتان وأنا أفعـل ذلك .. تذوق طعـم الزبادى بالسكر ..جرب ذلك.. مرة واحدة .. وسترى ..

ـ أرى ماذا .. ؟

ـ « كل شئ سـيكون رائعـا .. معدتك تدور فى هدوء واتزان .. دون دربكة .. »

قهقهه ضاحكا .وخبط المنضدة بيده. التفت اليه صاحب المحل . قال القصير :



ـ « ياحاج.. زبادى .. أما نائم .. واما يحملق فى الشـارع .. هيه .. انهض .. زبادى .. هووه .. »

اختفت الحشرجة فجأة . مرت لحظة صمت قصيرة . وصـاحب المحل .. يرمق الراديو فى ترقب .. تعثر الصوت مرة أخرى ، وطن أزيز رفيع صاخب . دمدم صاحب المحل ساخطا : ـ

ـ « ثم ماذا .. لقد ركبته العفاريت .. ليس به أى عطب .. كل هذا بسبب المطر .

قال القصير ضاحكا : ـ « اقفله .. ماذا تريد أن تسمع منه .. ؟ »

ـ لا شئ .. صوته .. مجرد صوته بدون هذه الخرفشة .. »

ـ صـوته فقط .. ؟ .. وأخبار الكرة .. ألا تريد .. ؟

ـ آه .. الكرة ...

ـ والحرب .. أخبـار الحرب فى اليمن .. ؟

ـ حرب .. ؟ .. لا مانع .. قليل من الأخبار ..



التفت القصير الى رفيقه : ـ « حرب صغيرة .. هادئة .. » . وهز رأسه فى ثقة ..

ضحك رفيقه : ـ « هادئة .. ؟ .. حرب هادئة .. ؟ .. الحرب حرب .. »

ـ انها تخلق الأبطال ..

ـ الحرب لا تصنع أبطالا ..

ـ ولكنها واجبة .. أحيانا .. ؟

قالت الفتاة : ـ « يجب أن أنهض .. سيأتى زوجى الى السينما فى الثامنة .. »

ـ مازال هناك وقت .. رأيته مرة عندكم .. قلت لى مـرة .. أنه يريد الزواج منك .. ظننت الأمر يومها .. مجرد دعابة ..

ابتسمت الفتاة فى صمت .

ـ « كانت القاهرة تجذبنى دائما .. سنة كاملة تفرغت فيها للموسيقى .. ثم .. لا أدرى كيف .. احساس .. كما لو أننى تنبهـت فجأة .. أسئلة كثـيرة كانت تتزاحـم فى رأسى .. واستسلمت لها تماما .. كانت تنتابنى نوبات .. لا أطيق أن أرى فيها أحدا .. سؤال واحد كان يلح فى جنون .. ماذا تفعل الموسيقى .. ؟ .. ماذا تفعل .. ؟ .. هل تستطيع أن تغير شيئا .. ؟ .. أقصد .. »

ـ « أنا .. لا أفهم .. كيف ؟ هذه الأسئلة .. »

ـ « كما ترين .. لم أستطع أن أقنع نفسى .. اننا لا نصل الى مانريده أبدا .. هناك دائما شىء ناقص .. وحـين عدت .. لم أجدك .. قالت أمك .. أنك تزوجت ورحلت الى القـاهرة .. كنت فى أشد الحرج .. لم أصدق أن هذا يمكن أن يحدث .. وأمك تبتسم فى وجهى فى سـعادة كاملة .. دون مراعاة لشعورى .. كانت تكرهنى ..

ـ لم تكن تكرهك .. كانت تظنـك مغرورا ..

ـ ثم عملت مدرسا بالصعيد ..جئت

فى أجازة أسبوع .. وسأرحل غدا ..

ـ والبيانو .. ؟

ـ انهم .. هنا .. فى القاهرة .. يجرون بسرعة .. كنت أظن أنه يمكن العودة .. ولكن ...

ـ أنت أيضا كنت تعزف بمهارة .. مجرد أن تتحمس .. وتبدأ ..

أحست فجأة بابتسامته، ونظراته الفاحصة . صمتت . نظرت حولها فى قلق ..

ـ « كان يعجبنى حديثك دائما .. تتحمسين لكل شئ ..

ـ الساعة الآن الثامنة ..

ـ كانت أياما قاسية .. فى الصعيد .. الحقيقة .. كنت أفكر فيك كثيرا .. حين أقفل الحجرة .. وأستعد للنوم .. كان الأمر قاسيا .. أحيانا أتذكرك .. فجأة .. فى الفصل .. أو .. أى مكان .. مجرد أن أتخيل .. أنى تركتك .. هكذا ..

ـ يجب أن أذهب ..

ـ كنت أشعر .. طول هذا الوقت .. أشعر .. أننى .. مسئول عنك .. ظل هذا الشعور .. حتى بعد أن عرفت بزواجك .. لا أدرى .. الأمر يبدو ..

ـ « يجب أن أذهب .. »

وقفت ..

ـ « هل تذهبين الآن .. ؟ » . ظل جالسا يرقبها وهى تدفع أصابعها الطويلة داخل القفاز ..

ـ « بهـذه السرعة .. ؟ .. ابقى قليلا .. خمس دقائق أخرى .. »

ـ « لابد أنه ينتظر الآن .. أمـام السينما .. » .

ـ « آه .. زوجك .. هل سـأراك غدا .. قبل سفرى ..

ـ لا أستطيع .. أنت تفهم ..

مدت يدها اليه . ظل جالسا يحملق نحوها فى صمت . بدت الرعشة بوضوح على شفتيه .

ابتسم قائلا : ـ « اذن .. أسير معك قليلا .. »

ـ كلا .. أنت تعرف .. أقصد .. هز رأسه مبتسما . نهض . قالت فى تردد : ـ

ـ « كنت تريد .. قلت .. أن هناك شيئا تريد قوله ..

ـ « كلا .. لا شئ .. أبدا .. كنت أريد فقط أن أتحدث مع أحد .. »

نظر الى صورته المنعكسة فى المرآة . كان ضوء النيون هادئا .. والمطر توقف فى الخارج . سارا معا حتى باب المحل . ظل واقفا يرقبها وهى تعبر الشارع .. فى خطوات سريعة ، ثم تسير على الرصيف المقابل .. كانت الحفر الصغيرة الممتلئة بمياه المطر .. تشهق تحت ثقل عجلات السيارات المارة .. ويتناثر منها رذاذ دقيق من الوحل . نظر برهة .. الى طابور السيارات الطويل . سمع صوتا يتمتم بجواره : ـ

ـ « لابد أنها ستمطر مرة أخرى .. »

التفت خلفه . كان صاحب المحل ينظر متجهما الى المياه المنزلقة نحو البالوعة .. هز كتفيه .. ومضى ..

محمد البساطى


التذكرة
Ne soyez pas mechant ;
Méchant ?
moquez pas d'elle.



قصة : عبد العال الحمامصى

يدى تقرع الباب ومفاصلى سائبة · لا أحد يرد · لا يجيبنى من الداخل غير الصمت . القلق يسود أعصابى .. ودقات يدى تتوالى ملتاثة · ولا شىء غير الصمت ! هواجس مكروبة تراودنى وان كنت لم أفقد الأمل تماما فى وجوده .. اليوم الجمعة · أجازة · ربما يكون ثقيل النوم · ! وتزايدت دقات يدى عنفا .. لم أكف الا عندما خرجت المرأة البدينة من الغرفة المجاورة تحمل فوق صدرها رضيعا يمتص ثديها من فتحة جانبية فى ثوبها · نظراتها تقذف شواظ الغضب وهى تخاطبنى بلهجة حانقة ·

— « لك ساعة تقرع الباب يا أستاذ .. لو كان بالداخل أموات لقاموا .. محمود جاءته برقية من الصعيد · وخرج مبكرا · مات عمه »

غامت الدنيا أمامى .. مات عمه ! رددتها مذهولا .. كيف أيتها البومة · ابعدى نظراتك عنى .. ابعديها · سأخرج · واتجهت نحو الباب وأنا أشعر بنظراتها تخرق ظهرى .. دوامة من المشاعر اللاهثة تمور فى داخلى · تفكيرى عاجز عن الامساك بأى خيط يوصلنى لمعالجة المشكلة .. البلادة ترين فوق ذهنى · لا شىء غير الاحساس بالضياع .. منك لله يا أبى · منك لله · كيف طاوعك ضميرك على أن تتزوج فى شيخوختك لتنجب للعالم كتاكيت .. يقعدك عجز الشيخوخة قبل أن تصنع لها أجنحة !

ماذا أفعل الآن ؟ الاعياء يسرى فى كيانى · لا أستطيع المسير · لا أستطيع نضبت كل حيوية فى جسدى . خطواتى المجهدة أدفعها بعذاب · وبين كل خطوة والأخرى يوشك قلبى أن يصمت نبضه عندما وصلت « **ميدان الجيزة** » كنت قد استهلكت كل قواى .. لا قدرة لى على دفع خطواتى .. لا بد أن أركب عربة .. لا بد · ولكن من أين لى ثمن التذكرة ؟! لماذا اليوم بالذات يموت عمك يا محمود ؟!

وصاحب اللوكاندة .. كيف سأواجه صفاقة تهديده .. الحمد لله . وجدت فكرة . تذكرت اليوم الجمعة «الصعايدة» يصلونها غالبا فى مسجد الحسين .. لن أعدم هناك بعض أبناء بلدتى . قطعا ستدفعهم نخوتهم لاقراضى نقودا أسدد بها حساب اللوكاندة . وابتاع تذكرة أعود بها الى مدينتى .. لن أمكث هنا أبدا .. خدعت فى القاهرة .. خاب أملى .. انها مدينة مات قلبها .. قد تكون بلدتى الصغيرة كئيبة بأحزانها وتعاستها . ولكن قلوب الناس فيها تنبض بعواطف المحبة تملك أن تعطى حرارة المشاركة لا يشعر الانسان فيها بصقيع الوحدة . هنا أشعر بأنى مجرد حشرة .. سأعود الى مدينتى .. المهم أن أركب الآن.. وخطرت لى من خلال الاعياء فكرة .. سأنتقى عربة مزدحمة بالركاب حتى أتمكن من « الزوغان » بينهم .. لا بد أن أصل قبل خروج الصلاة !

لا بد أن أصل قبل خروج الصلاة !

عديد العربات العامة مرت أمامى . وأنا أقاوم ترددى . وأحاول اسكات عواء ضميرى . ستكون فضيحة . لو اكتشف الكمسارى فعلتى .. وتحاملت على نفسى أحاول المسير ولكنى توقفت من جديد أسند قلبى .. لا جدوى . دست على كل الاعتبارات ثم دلفت داخل احدى العربات من باب الدرجة الاولى .. لم أكن « فقريا وابن حظ » ! الكمسارى يقف بقرب باب الدرجة الثانية . يقطع تذاكر ركاب المؤخرة .. وتواريت خلف أكتاف الركاب وأنا أنقل خطواتى الى الدرجة الثانية .. ليس فى هيئتى ما يجعلنى أجسر على الوقوف بالدرجة الأولى .. ربما يرتاب الكمسارى فى أمرى .. انحشرت بين الواقفين الذين يكتظ بهم ممر « الدرجة الثانية » . بعد أن تأكدت من وجود التذاكر بين أصابع الذين وقفت بجوارهم !

وأخذ الكمسارى ينقل خطواته بين الأجساد المتلاصقة الى أن وصل عندى وهو « ينقر » بقلمه فوق خشبة التذاكر ويردد كلماته الروتينية « **تذاكر ...** يا حضرات .. تذاكر » واتخذت وضع من لا تعنيه الكلمات . ودقات قلبى تتعالى مهبولة بالخوف . ومن خلف ظهرى جاءتنى كلماته بعد أن نقر بالقلم فوق الخشبة « **السيد .. خلاص .. هنا ؟** أحسست بنقرته فوق قلبى ! لا أدرى كيف سيطرت على أعصابى . وان كنت لم أستطع التفوه بالاجابة مباشرة .. مكتفيا بايماءة من رأسى تعنى الموافقة . ثم استدرت عنه سريعا حتى لا يقرأ الكذب فى نظراتى !

وزحف الى الدرجة الأولى .. الحمد لله .. ها قد انتهيت من الكمسارى . قرأت الفاتحة للحسين .. والسيدة زينب . وكذلك الشيخ القرنى ولى الله فى بلدتنا ! بقيت مسألة المفتش .. بسيطة يمكن التغلب عليها .. المفتش يدخل غالبا من باب الدرجة الأولى .. عندما أراه سأبادر بالهبوط .. وظلت نظراتى من بين أكتاف الركاب عالقة بمدخل الدرجة الأولى أترصد دخول سيادته عند كل محطة تقف العربة بها !!

لا زال ضميرى يعوى . لا يريد أن يخرس . لمجرد خطيئة صغيرة .. للضرورة أحكامها !

ولبثت أحاول أن أتخلص من عوائه . ومن كل المشاعر المتشابكة التى تجرفنى بشأن أزمتى حتى أركز كل حواسى فى

الانتباه لحركة الدخول فى الدرجة الأولى .. رغم هذا كنت أتوه بلا وعى لأجد دوامة الأزمة قد جرفتنى !

بالأمس كانت نقودى قد نفذت تماما وخرجت الى الشارع بدون كوب الشاى بالحليب الذى تعودت أن أغير به ريقى كل صباح .. بعد أن هددنى صاحب « **لوكاندة المنتزة الحسينى** » بأن يقذف بى الى الشارع اذا لم أبادر بدفع حسابه طرفى .. أقسم بمقام الحسين أن يسلمنى للبوليس اذا لم تف ملابسى بحسابه .. فليست لوكاندته مأوى لكل صعلوك متشرد يقذف به الى المدينة قرف الصعيد . خرجت والدنيا أمامى يكتنفها الضباب .. أعرف أن الرجل لن يتردد فى تنفيذ وعيده .. ليس هناك ما يمنعه من أن يفعل .. بعد الأسابيع التى قضيتها فى هذه المدينة لن أستغرب أى تصرف يحدث فيها .. رأيت بعينى رجلا رفض أن يتخلى عن صحيفته لتغطى بها عورة جثة !!

وفى ميدان الأزهر قابلت محمود عبد الحق . الطالب بكلية الحقوق جارنا وزميلى فى مدرسة أخميم الابتدائية .. كنت وقتها الغريق . وكان هو القشة ! ..

ما أن تصافحنا وتعانقنا . وسألنى عن سبب مجيئى من الصعيد حتى انطلقت أحكى له القصة بحذافيرها . جئت لأبحث عن عمل هنا . استغنت « دائرة شبرين » عن خدمات أبى بعد ماتدهورت صحته نهائيا . وهذا ما جعلنى انقطع عن مواصلة تعليمى لأعطى الفرصة لبقية اخوتى .. لم أجد فى الصعيد عملا . فأعطانى عضو مجلس الشيوخ عن مدينتنا خطاب توصية لقريب له صاحب نفوذ هنا ليجد لى عملا فى واحدة من الشركات التى يهيمن عليها .. ومضت ستة أسابيع وأنا أتردد على مكتب صاحب النفوذ .. فى كل مرة أقف أمامه متخاذلا مستكينا الى أن ينتهى من مكالماته « **التليفونية** » المتواصلة .. وعندما يتنبه الى وجودى أمامه يبتدرنى بالعبارات التى تعودت سماعها فى كل مرة .. « **هأنت ذا ترى فرط انشغالى .. لكنى مازلت مهتما بموضوعك .. حاول أن تمر على بعد أسبوع !** » **حتى تبخر تماما** كل ما استدانته لى أمى من أبناء وبنات الحلال .. وليس لى أقرباء هنا ! وأبدى محمود تأثره لكل هذا .. ثم أعرب عن أسفه لكونه لا يستطيع الآن معاونتى . لأنه لا يحمل نقودا تزيد كثيرا عن نفقات المواصلات .. وأدخل يده فى جيبه وأخرجها ببضعة قروش احتجز منها أجرة العودة وأعطانى الأربعة قروش المتبقية . وعنوانه فى « الجيزة » لأذهب اليه صباحا عساه يستطيع أن يدبر لى نقودا الى أن تصلنى المعونة التى طلبتها بخطاب من أمى .. ثم صافحنى بحرارة وركب الترام !

وتعشيت بقرشين . وشربت كوبا من الشاى بقرش واستبقيت قرشا لأركب به الترام صباحا من العتبة «الى الجيزة» . وها قد مات عمه .. ! منك لله يا أبى .. لماذا أنجبتنى للعالم .. أية ضرورة دعتك لأن تفعل ! والرجل صاحب النفوذ .. آخر مرة . تمنيت بعذاب غيظى أن أفقأ « كرشه » الممتد لعدة أمتار أمامه ! . مشغول . وأنا .. هل قيل له أننى حجزت جناحا لسيادتى فى « شبرد » ؟ ما شأن صاحب لوكاندة المنتزة الحسينى بانشغالك .. ومحمود عبد الحق .. أكان من الحتم أن يموت

عمه • اليوم بالذات • ماذا أفعل لو فشلت فى العثور على ناس من بلدى بعد صلاة الجمعة ؟!

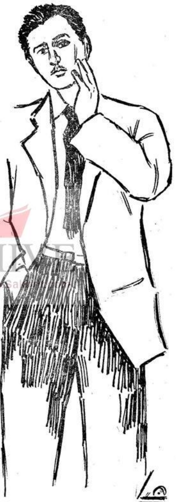
كان هذا السؤال مختلطا بدوامة الأزمة قد سيطر على كل وجودى . حتى أننى نسيت مدخل الدرجة الاولى. بل نسيت أننى فى عربة تماما • الى أن فوجئت بالمفتش أمامى وجها لوجه !

عندما مد لى يده ليفحص التذكرة تمنيت لو أن تنشق الأرض وتبتلعنى. ولم تنشق الأرض . بينما يد المفتش مازالت ممتدة نحوى !

كنت رئيسا لفريق التمثيل فى المدرسة الثانوية • فاستنجدت بخبرتى •• بسرعة اندفعت يدى تقلب جيوبى بحثا عن التذكرة الوهمية •• وأناا تصنع الدهشة • ونظراتى تخترق الأرض بحثا عنها. ونظرات المفتش التى نفذ صبرها مسلطة على • ناطقة بالريبة • وتوشك أن تلفظ الاتهام !

قلت ويدى تعبث بكل جيوبى وأنا أتحاشى نظراته •

« يبدو أن التذكرة •• ضاعت ! ومن جديد اندفعت نظراتى تتجول بين أقدام الركاب •• هـا قد وقع المحظور •• انطلق ضميرى يعوى •• وقع المحظور • حاولت أن أعود ماشيا •• لم أستطع• كنت سألفظ روحى قبل أن أصل • وربما تدهمنى عربة • وتتركنى أتخبط فى دمائى على قارعة الطريق • أموت قتيلا فى مدينة لن يهتم ناسها حتى بأن يضعوا جثتى تحت جدار •• سيلقى كل عابر نظرة • ثم يواصل مسيره •. رأيت هذا المنظر عدة مرات • منذ أيام رفض أحد الماره أن يعطى الصحيفة





التى بيده لامرأة طلبتها منه لتغطى بها جثة بائع الحلوى العجوز الذى صرعته عربة الترام فى ميدان الأزهر .. لو عدت ماشيا ما كنت سألحق خروج صلاة الجمعة .. !

ابعد نظراتك يا سيدى المفتش .. انها تعرينى من ثيابى .. تعذب آدميتى ابعدها !

ـ « **أهى « ابرة » يا أستاذ .. كفى** تمثيلا ! « ثم أردف يخاطب الكمسارى »

ـ « **شوف المحترم يا على .. اعط له تذكرة** . « قالها مفعمة بالاحتقار ومتضمنة تأنيبا للكمسارى فى نفس الوقت . ثم انتقل الى غيرى وهو يغمغم بكلمات عاقتنى الدوامة عن سماعها .

وتفصد العرق من جبينى « كبرميل » زيت تخترقه الثقوب فى هجير الشمس والخجل يسحقنى وكل النظرات كأنها فوهات بنادق مصوبة نحوى . لم ارتكب جريمة أيها الناس . « **دائرة شبرين** » فصلت أبى .. مريض أنا ولا نقود معى .. لا بد أن أصل الحسين قبل خروج الصلاة لماذا كل هذا الاحتقار فى عيونكم لى ؟!

وجاء الكمسارى يقيسنى طولاوعرضا بنظراته الشامتة وهو يثقب بكلماته مشاعرى :

ـ « **يا ناس .. حرام عليكم . لحسن ورانا عيالنا .. ألا يكفينا غلبنا طول اليوم .. هات . يا أستاذ . هات ! »** .

وراءك عيال .. أعرف ولكن لماذا كل

هـذه الضـفينة فى نظراتك . كأنمـا أمسكت بقاتل أبيك • أخرس الارتباك لسانى • ورأسى منكس الى الأرض حتى لا أواجه نظراته وعيـون الركاب التى تنتظر النتيجة فى شراهة الفضول ! •• من جديد امتدت يدى تفتش كل جيوبى ثم أخرجتها خاوية • ترتعش ••الكلمات تبكى فى حلقى •

ــ « **بشرفى قطعت تذكرة •• لكن أين راحت •• لا أدرى • سقطت منى• ربما بين الزحام** » •

وعادت نظراتى تتلفت تحت المقاعد وبين أقدام الركاب • بدون أن أجـد حتى تذكرة قديمة ! •

الرجل مازال واقفا أمامى يحـدق فى بنظرات متحدية .. أخيرا نفـد صبره •• » « **خلصـنا يا حضرة** » • عيون الناس كلهـا متجهة نحوى •• وفتاة صغيرة تهمس فى أذن السـيدة الجالسة بجوارها نظرات الرثاء فى عينيها تمزق كبـدى •• وجدت الكلمـات بصعوبة •

ــ « **يبدو أننى نسيت حافظتى فى البيت •• انزلنى لو سمحت » ما أن قلتها حتى تلقفتها قهقهة الكمسـارى صاحبة عربيدة ترج قلبى** •

ــ « **أهلا •• وسلا • نسيت الحافظة فى البيت • وبها « دفتر الشيكات » طبعا هـدىء يا أسطى ابراهيم لينزل الأستاذ بسلامته •• عربته الخاصـة وصلت ! « أفندية » آخر زمن • جاكم القرف •• الى البـاب يا أسـتاذ قدامى !! ••**

وجذبنى من ياقة القميص يسـوقنى تجاه الباب •• وتناهى الى صوت أحد ركـاب الدرجـة الاولى ورائى •• « نشال ركب يخرب بيوت الناس ! » . لم أسمع بقية التعليقات . فقد دفعنى الكمسارى الى الخارج متكفئا على وجهى قبـل أن تتوقف العربة تمـاما .. ونهضت أنفض التراب عن ثيابى والاعياء يشدنى نحو الأرض من جديد •• الدنيا تسود أمامى •• قلبى • قوة ما تستله • تهرسه •• الدنيا تدور •• دماغى تدور أمى •• أبى •• الصعيد • صـاحب اللوكانـدة •• محمـود عبد الحق •• التذكرة •• دائرة شـيرين باشا •• المرئيات تختلط أمامى •• تتداخل فى بعضها •• وأنا أزحف بخور واعيـاء نحو الجدار القريب لأسـتند عليه •• ريثما أسترد أنفاسى !! •

عبد العال الحمامصى

نقد: د. محمد غنيمي هلال

مع شباب القصة القصيرة

كم راق لي ان أصحب بعض الوقت ثلاثا من شباب قصصنا القصيرة في نتاجهم ، كي أحييهم ، وأقدم قصة لكل منهم ، وأستميح بعد ذلك ـ تقويم قصصهم الثلاثة المختارة ، بما يضعها في مكانها من النتاج الأدبي ، في نموه نحو السمو الفني الذي تبشر هذه القصص به ، على تفاوتهم بعد ذلك في طريقهم اليه ، على حسب ما يبدو لي من قصة كل منهم هذه ، وربما كان لكل منهم سوى هذه القصة ما يفضلها ، مما لاينبغي أن يجعل من هذا التقويم الفني للقصة قياسا للطاقة الخالقة الفنية لهؤلاء الاخوان في ذاتها ٠

والقصة القصيرة موقف حيوي محدود الاطار ، يفقد جوهره الفني اذا امتد في الزمن ، وتتجاوز دلالته مجرد عرض أحداث أو وقائع ، الى ما وراءها من حالة نفسية لها بالضرورة بعدها الاجتماعي ٠ وتقوم القصة القصيرة على أن مظاهر الحياة العادية الجارية يمكن أن تكشف بنسيجها الفني عن أدق الدلالات النفسية أو الاجتماعية ، بالنفوذ من خلال هذه المظاهر التي قد تبدو مبتذلة الى ما يربطها ببواطن السرائر ايحاء لا تصريحا ، وتلميحا بالقرائن لا سردا ، وتبريرا بالموقف لا بالشرح ولهذا كانت في القصة القصيرة مشابه من الشعر من حيث اللمحة الخاطفة ، والموقف النفسي المركز، والقطاع الحيوي المحدد ، وان افترقت عن الشعر بعد ذلك في أمور كثيرة لاتخفى ، أهمها فيما نحن بسبيله أن بعدها الاجتماعي أدل وأبين بمقتضى جنسها الادبي نفسه ، وهذا الفرق الاخير يقرب ما بينها وبين القصة الطويلة ، ويظل الموقف في القصة الطويلة تحليليا فسيح المجال ، لا تركيبيا كما هي حال القصة القصيرة ٠

ومفتاح الجودة في القصة القصيرة جودة الاختيار للموقف ٠ فكيف يرى الكاتب وكيف يلحظ ؟ وكيف ينفذ برؤيته وملحوظاته الى ما وراء المظهر الذي يبدو كثيفا لدى الأبصار السطحية العابرة ٠ فاذا تحددت الرؤية ووضحت معالم أعماقها ، فقد ذلل الطريق لتصويرها ٠ ولهذا ينبغي أن يطيل المرء النظر ، ولا يضن بطوله ، حتى يهتدي الى الموقف الحيوي الذي يتضمن ما يستحق بذل الجهد في تصويره والايحاء بمكنونه ٠ فكاتب القصة القصيرة بخاصة ذو بصيرة نفاذة قبل أن يكون ذا بصر أو مقدرة لغوية ٠ وحاسته الانسانية بأبعاد الواقع المحدود في جزئياته هي التي تقود حاسته الفنية ومقدرته اللغوية معا الى تصوير ما يجتذبه من موقف ٠

وفى القصص الثلاث التى نعرضها تتفاوت المواقف تفاوتا له دلالته على مقدرة كتابها ، وله أثره فى جودة التصوير بها :

القصة الأولى : « **بلا خوف** » للكاتب **عباس محمد عباس** ، يتركز الموقف فيها حول شخصية طريد مشرد هزأة ، ممن يتابعهم الصبية فى سخرية ، وينبذهم الكبار فى قسوة ، يدفن وعيه المرير فى نوع من الخمر يتخذه من الكحول الردىء ، كما يتوارى بعيشه دون أبواب المقابر • ويبدو هذا الشريد الضائع فى أول القصة مخبولا ، فى هيئة ذرية ، يتوعد ــ فى هوس ــ ماسح الاحذية فى المقهى أن يطلى له رجله الحافية الغليظة بدلا من الحذاء ، حيث أعوز الحذاء • ويزيد ذلك من ضجيج الصبية وسخريتهم التى اعتادوا أن يصحبوه بها فى نزال يظل بينهم وبينه حتى مأواه فى المقابر بين الموتى • وعلى مقربة من مقامه الموحش الرهيب يطيح فتى « شقى » بكرة جورب من يد الطفل الذى يحكى المؤلف القصة على لسانه • وتحين فرصة ابتلاء شجاعة هذا الطفل ، اذ يتقدم لالتقاط كرته على مقربة من « جمعة » ذلك الشريد الوحش الهزأة • فيقبض على الطفل الذى يحس بيديه اللزجتين الغليظتين وصورته الجهمة المتوعدة ويقود الطفل الى مأواه المقزز الموحش ، واذا « جمعة » هذا انسان ، واذا هو ضحية ، واذا هو مثار شفقة ولا ينبغى أن يكون مثار سخرية ظالمة من الكبار والصغار • وذلك ما يشير اليه الكاتب ولا يصرح به • فمأساة « جمعة » هذا كما يحكيها فى سذاجة للطفل حين انفرد به فى مأواه أنه أوشك آنفا ان يكون فى وظيفة « ساع » عند أحد الاجانب ، لولا أنه كان لايعرف القراءة والكتابة ، فسلب وسيلته الى العيش بوضعه انسانا ينشد العيش فى أدنى درجاته • وها هو ذا يعرض على الطفل أن يعلمه القراءة والكتابة ، ويتخذ واجهة المقبرة سبورة ، وقطع الآجر طباشير • ويطيح الصبى فى شعور بين السذاجة والسخرية ، ولا يكاد يفقه مغزى لما يفعل • ويثير المنظر حارس المقابر الذى ينطلق بالشتائم الجارحة لجمعة الاحمق الذى يستدرك ما فات أوانه • وتثير تلك السخرية الغضب الوحش لدى « جمعة » فينقض على حارس المقبرة ولا يكاد ينجيه من قبضته أعوانه من الكلاب حرس المقابر • ويسقط جمعة عقب عراكه الوحش مصابا ملطخا بدمائه ، طريحا فى عزلته • أما الطفل فقد خف والده مع الصبية لانقاذه من « جمعة » الذى هو فى الواقع ضحية الواقع الاجتماعى الظالم وضحية سوء الظن من الناس فى تقدير ملابساته ، ولكن الطفل يظل يتعمد المرور بقرب مأوى جمعة المهجور ليلقى اليه بالتحية من بعيد •

ولا يغنى هذا الايجاز عن قراءة القصة ، ولكنه يتيح لنا التعليق عليها • وفى رأينا أن الكاتب أجاد فى اختيار الموقف ، برغم ندرته و تفرده • وعرف كيف يكشف عن معناه النفسى وبعده الاجتماعى الدقيق ، حين أبان لنا « جمعة » الهائم على وجهه الضحكة لدى الكبار والصغار ــ مستلبا ، ضائعا ، وثمرة آثمة لقسوة المجتمع ، وضحية بين شقى رحاه العمياء • فأثار عطفنا عليه ، وكشف عن معناه الاجتماعى •

ولا نرى جحيم المجتمع الا من خلال صورة البؤس النفسى الخبىء • وهنا يبرع

المؤلف فى سوق المفارقات التصويرية الدالة على الصورة : فمظهر « **جمعة** » الخشن ، الغليظ ، القاسى القلب ، المقزز ، يفترق عن باطنه انسانا يشعر بالوحشة ، ويعانى العزلة المعنوية ، ويتعلق بالطفل لأن ينقذه كما يتعلق الغريق بقشة ، حين يرجوه فى تذلل أن يعلمه ، وحين يعرب له أنه أحس بألفة تربط مابينه وبينه ، ثم انه يستعد أن يتقبل ضرب الطفل له اذا أخطأ فيما يعلمه اياه • ويحاول أن يجيد فى تصوير الحروف وأن يمعن فى الاجادة ، كأنه مصور فنان ، مما يوحى لنا بعمق شعوره بالضياع ، عمقا يحمله على تحقيق حلمه الفائت ولو عن طريق الوهم ، حتى اذا ما أثار حارس المقبرة لاشعوره المكبوت ، انطلق انطلاقة اليائس فى ضراوة ، ولكن هذه الضراوة لاتقلل من عطفنا عليه ، وتجاوبنا معه • وقد ترك برغمها أثرا طيبا فى نفس الطفل ، حتى حرص كل يوم أن يلقى اليه حين يمر به بنظرات العطف دون خوف •

و « **جمعة** » نفسه يستر عن نفسه باطنه السوار الهادر ، بما يبدو عليه من مرح ظاهر • وهى مفارقة أخرى نستبين دلالتها فى ختام القصة • وهى المظهر الاول لاستبداد أحلامه الضائعة به • وسيبلغ استبدادها أقصاه حين يتعلق بوهم تعلمه الكتابة بعد افلات الفرصة ، ليكون انهيار وهمه ذاك بمثابة الانفجار الذى تهيأت أسبابه • وبين مرخه الظاهر فى حمله الصبى ماسح الاحذية أن يطلى رجله بدلا من الحذاء ، وانفجاره أخيرا باثارة أمله المكبوت ، نرى تدرجا فى تصويره بعده النفسى يسيغ الكشف عن باطن أليم •

وما يتعرض له «جمعة» من الرجال فى استهتارهم به وقسوتهم عليه واستهانتهم به يقابله من الطرف الآخر سخرية الاطفال فى شغبهم البرىء الغافل الضاحك • وبينما « جمعة » الضحية يغالب الكبار بالوجوم أو مظهر البهجة أو الاستخفاف ، ثم عراك اليائس الذى طار رشده على حين يطارد الصغار يتقى طيشهم وعبثهم فى قسوة ظاهرة وراءها قلب انسان ، كما تكشف عن موقفه مع الطفل الذى حكى المؤلف القصة على لسانه • وهذه كلها مفارقات تضيف الى تصوير الموقف وتغنيه فنيا •

ومن هذه المفارقات التصويرية كذلك أن الموقف الجاد فى دلالته سوق فى قالب مازح يخفف من حدته ، ويتعمق ايحاءاته ، ويجارى الواقع الحيوى فى وقت معا ، اذ يعرضه من ثنايا رؤية الطفل له ، فى حكاية تتراءى فيها روح الدعابة ، وسذاجة الرؤيا ، ثم البراءة التى تبدو بها الرؤية صادقة •

وتتسق لغة القصة نفسها فى عباراتها وهذه الدعابة المتجلية فى لغة الطفل ، مع مراعاة ما تتطلبه هذه اللغة واقعيا ونفسيا ، مثل تصوير متابعة الطفل لذلك الشيخ بصورة المعركة ، وموالاة العبارات المتضامنة على جلاء المعركة ، مثلا : « **انفجرت بيننا قنبلة من الضجيج كنا نجيد تفجيرها** » • ويتبعه الاطفال حتى « **الارض الحرام** » دون مأواه • وكذلك يطارده الشيخ كأنها زفة تتوالى صورها• وروح الدعابة كذلك واضحة فى تشخيص الاشياء : مثل تصوير أسرة الخمور التى يتعامل (جمعة) معها •••

وهذه القصة ـ فيما نرى ـ خير القصص الثلاث التى نقدمها • ومما يضفى عليها جدة وعمقا مالها من بعد « **تعبيرى** » لاشعورى • وذلك فى الايحاء بأثر الشعور المكبوت لدى « جمعة » بحكم التقاليد القاسية وعوز الرعاية الاجتماعية ، مما خلق من « جمعة » أسطورة ، مرعبة ، ولكن وجه رعبها فى الحقيقة شيء آخر غير ما يبدو أنه قد افتن فى توهمه الكبار وأرادوا به ايهام الصغار ، لانها فى الحقيقة مرعبة من حيث دلالتها على الضياع والاستلاب الاجتماعى الذى استثار عطفنا فى عاقبة الامر على « **جمعة** » ، كما اكتشفه الطفل بحدسه • فلم يكن قرب الطفل من جمعة حين جالســـه فى مأواه قربا حسيا ، بل قربا نفسيا ، جعلنا نشرف معه على الهاوية التى تردت فيها تلك النفس المحطمة • وزاد من جد الموقف أن الطفل أكد فيه ذات نفسه بوضعه انسانا حين لم يرهب ذلك المخلوق ، وحين أكد به معان انسانية صحح بها فكرتنا عنه •

وبهذا كله جادت صورة الموقف ، برغم ندرة النموذج الانسانى الذى تحرك فى اطار الموقف فى مجتمعنا • ذلك أن الموقف أصبح انســانيا ، غنيا بمعـانيه ، على مستوياته المختلفة ، على حسب ما اقتضته الصورة •

هذا ، وكان ينبغى حذف بعض تصريحات نص عليها الكاتب ، كى يقف عليهـا القارىء بفكره موضوعيا من الموقف ذاته ، مثل النص على أن غطرسة «**جمعة**» مضحكة ، بل أضاف المؤلف تعليلا كان ينبغى السكوت عنه ، لأنا يمكن أن نستنتج أعمق منه من الموقف وذلك حين قال : « **أخرج جمعة القرش اظهارا لحسن نواياه** » نياته لأنه فى الواقع انما أخرج القرش لمعنى آخر أعمق من مجرد حسن النية •

وبعض الحوار عامى ، ولن نناقش الكاتب فى ذلك ، فله وجهة نظره ، فالحوار بعامة جيد الدلالة ، ولكن اصراره على ايراد كلام الأجنبى على ذلك النحو لايضيف كثيرا الى صورة الواقع ، مع تسليمنا بدلالته النفسية من وجهة نظر المؤلف •

وغموض الحادثة التى عقدت نفســـية « جمعة » ، تجعل الموقف تعلة لتعليق الخواطر • وكان المؤلف يريد أن يجعل ايراد الحادثة بمثابة مثل من أمثلة سوء الاستغلال بسبب سلطان المال أو سوء الرعاية الاجتماعية من أجنبى أو غيره ، وربما أراد المؤلف أن يجعل الحادثة نفسها تغوص فى أبعاد الماضى مترجحة فى ذاكرة «**جمعة**» بين الوضوح والغموض ، على حين بقى أثرها واضحا عميق الدلالات متشعب الاثر • وهذا يتسق مع « **التعبيرية** » واثارة الأحلام الضائعة ومحاولة توكيد الذات بتحقيقها ، تعلقا بالوهم ، على صورة تثير الاشفاق على الضحية وبأمثالها ممن قسا المجتمع عليهم ولا يزال يقسو • وبرغم ذلك كله ينبغى أن يلقى على الحادثة بعض أضواء تجلوها بأكثر مما فعل المؤلف ، اذ هى مثار تبرير الموقف كله •

* * *

وقد عرف القاص الشاب **محمد البساطى** فى « **لقاء** » كيف يتعمق رؤية عابرة ، باختياره نوعها ودلالاتها من بين رؤى الحياة الأليفة الدقيقة الدلالة معا • وهى أقرب

الى أن تكون صورة نفسية منها الى قصة قصـــيرة ذات موقف • ومن أجل ذلك تبدو شعرية الطابع ، قوية الايحاء بهذا الطابع الشعرى • وقد قلنا فى صدر هذا المقال ان طبيعة الموقف المحدد ، فى القصة القصيرة ، تقرب ما بين هذه القصة والطاقة الشعرية ، ونضيف هنا أن السيد القاص **البساطى** ذو طاقة شعرية أقوى منها قصصية ، كما تدل قصته التى بين أيدينا • ففيها يتم لقاء بين سيدة شابة وفتى فى مقهى من مقاهى القاهرة وكانا على ود منذ ثلاث سنوات ، فى مدينة صغيرة ثم مل الفتى المقام بها لرتابة الحياة فيها ، ولأنه ينشد شيئا مجهولا فى البعيد من الزمان والمكان • وبدأ الشاب حياته عازفا للموسيقى على «**البيانو**» ، تحمسه الفتاة ، حتى ظن بنفسه موهبة ، وهام بموهبته الموهومة أكثر مما تعلق بمن بعثت فى نفســـه الثقة بها ، فرحل عن المدينة الصغيرة حيث ترك شطر نفسه فى الواقع – دون أن يدرك – الى القاهرة حيث توهم بها سعادته وسرعان ماذهب عنه « بريق الخطوة الأولى » ، واذا بموهبته قد انطفأت • وحيث سار الى ما ليس يدرى التقى بفتاته القديمة من حيث لا يدرى • ويلوح أنها ما زالت تفتقده ، وأنها لم يتم لها ما أرادت بزواجها من قريبها المهندس • ونعلم أن هذا الفتى الآن على علم بذاك الزواج الذى كان فوجىء به فى حينه ، بعد أن عاد من رحلته الى القاهرة يفتقدها فى مدينتها ، بل ان أمها كانت قد حدثته عن توقع هـــذا الزواج ، قبل رحيله الى القاهرة فظن أنها ليست جادة مما جعل الأم تظن به الغرور ، ولكن الفتاة ظنته مشغولا بأخرى • أما هو فظل نهب ترجح لا يدرى ما يقصد ، حتى أسلم الحياة زمامه فى استخفاف مرير • ولم يكن هذا اللقاء الا كشفا عن لواعج ماض تتراءى جذوته لتخمد ، ولينتظم الماضى بعدها فى سلك المستقبل الرتيب ، تستمر الحياة به سواء فى زحمة الناس • ما ان يرتفع الستار عن هذا اللقاء حتى ينسدل بعد أن يتراءى عن أبعاد رهيبة يحاول أن يخفيها كل من الفتى والسيدة الشابة حتى عن أنفسهما • وعلى حين كان قد بدأ كل منهما قريبا من الآخر ويكاد يكتمل به شطرا منه ، كانا فى حقيقة الأمر معـزولين فى الوعى ، قامت بينهما فواصل معنـوية هى جدران لا تقهر • ويتراءى القدر ، وقصور الوعى ، والايغال فى الآمال ، حتى تتبخر أوهاما كلها ، بمثابة متاهات لضلال الانسان عن ذات نفسه • ويبدو المصير فى النهاية معلقا بخيط الاختيار ، هذا الاختيار الذى تعرضت له الفتاة ولم تستطع فى الماضى أن تتحكم فيه اذ حسبت الفتى غير جاد فى التعلق بها ، حتى افترضت أنه رحل جادا فى اثر أخرى ، على حين حرص الفتى أن يستجيب الى ما ظنه محور توكيد ذات نفسه ، آمنا على هواه ، حتى اذا وقف على حقيقة حافزه ومثير الهامه رجع يسأل عنها ، ففجع من حيث كان آمنا ، واذا بآخر دعامة لطموحه تنهـــار فيقاد الى عيش هو ركام من « أشياء مرصوصة بجوار بعضها ، اليوم هو الغد •• هو الغد •• هكذا لا أحـــلام مطلقا •• » ، وقد اختفى « بريق الخطوة الأولى • فوسائل التصوير الفنية بمثابة آلة تصوير تتحرك عموديا لتغوص فى الباطن ، وحركتها محصورة فى سبر هذا الغور • ولا تتطور للشخصيات فى اطار القصة لأنها صورة نفسية لماض تستدبره الشخصيات وقد دام أثره • وهى على الأخص عرض لهذا الأثر النفسى الدائم ويبدو باطن الفتى متبرما ساخطا جياشا فى فراغ الوجود ، فكان يحس أنه بحاجة لأن يتحدث الى أحد ،

فغدت فتاته بمثابة فرد من الناس يلوك الذكرى فى اصطبار يشبه البلادة والاستهتار واليأس بهما ٠

وقد عرضت هذه الصورة الحيوية فى اطار من الطبيعة ، ومن مظاهر المدينة فى القاهرة ٠ ومن الناس ٠ فتتجاوب الطبيعة الماطرة الصاخبة الراعدة مع اثارة هذا الماضى المضطرب ، وتنزلق مع ذلك مياه المطر الجهم فى هـدوء الى البالوعات **(كالحياة فى مسيلها)** لا يكاد يحس بها أحد ٠٠٠ ومن مظاهر المدينة بروق أضواء السيارات المجنونة تنعكس على الحزام الزجاجى ، كأنها لمحات باطن الفتى ، وتلك الضوضاء فى المدينة التى تعلق بها ، بعد أن هجر بلدته اليها ، هى الضوضاء التى عبر عنها : « **كنت أحس بها هنا فى رأسى ٠٠** » ٠ أما الناس فهم يمثلون الاطار العام الجامد لهذه الصورة النفسية الجياشة ، تجاه اضطراب الطبيعة المتوفرة المتسقة مع الصورة النفسية ٠ فصاحب المحل وصبى المحل ، وبعض من يرتادون المحل ، وما يقدم لهم ، يظل كل ذلك هو هو ، حتى لو دامت الحال مائة عام أخرى ٠ حركات معادة مكرورة يزدرد فيها العيش كما تزدرد الوجبات ، وينتظم الهضم ، فى حياة استهلاك ، وتتردد عبارات هى أصداء شاحبة لما تجرى به الحياة من أحداث ٠ ويظل هذا الاطار المستقر للناس ذا ايحاء أيضا ، اذ يدعنا نتساءل عما يمكن أن يخبئه هذا المظهر الرتيب ، وقد اكتشفنا مايدل عليه نظير هذا المنظر فى « **اللقاء** » الذى قد يبدو لمن يستشف ما وراءه رتيبا كذلك ٠ وكأن الناس فى المظهر أصداء الوجود كله ، كما تبدو وفى هذا المذياع الضخم تعروه حشرجة فى صدره ، تثير غرابة ساذجة لدى صاحب المقهى ، وليست فيما يهتدى اليه (بذكائه الخارق) سوى أثر المطر !! ويتحول المنظر الى حالة نفسية لدى الفتى فى شبه وداعه لفتاته الى غير لقاء ، حين تشهق الحفر بمياهها تحت ضغط عجلات السيارات .. وتتوالى فى الاطار العام نفسية الفتى حائرة مستسلمة مشدوهة ، قاصرة ، فى ركام من اعترافاته المتوالية بما لا يدر ، ولا يعرف ، ولايقصد ، كأنها تنصل المخطىء ، أو تيه الخاطىء ، تجر معها شعورا حادا بثقل الوجود وبطئه وسـلطانه فى المخلوقات الضحية لاصطدام آمالها الموغلة فى الوهم بالواقع الرصين المستعصى الجارف ، المخاتل الذى يسرق المرء عن نفسه حين يغلبه على ارادته ٠ سواء سماه المرء حتمية أم قدرا ٠ فهنا سراديب « اللا أدريات » ، فى لهجة الفتى ، وما تومىء اليه من استكانة الحيران ، ولهف النادم أو شبه النادم ، واستسلام المتوجس ٠

ويجارى النسيج اللغوى تلك اللسمات « **الشعرية** » فالجمل سريعة لماحة خاطفة الدلالة ٠ والصور حركية متابعة يواكب بعضها بعضا ٠ ويقوم انقطاعها بعضها عن بعض ، دون روابط ، مقام الاشارة الى البهر النفسى واللهف ، كأن اللغة لاهثة متعبة، تتقطع أوصالها ، وينقطع أحيانا بها المسير ، وقد يتلو هذا الانقطاع تكرار الاسترجاع فى الكلمات والجمل ، والاستدراك الذى لا يبين عن مستدرك ، والانتقالات المفاجئة٠ وهى كلها وسائل فنية لتصوير بواطن النفس واضطرابها ، وسائل شاعرية فى أصلها: « **٠٠ لم أصدق ٠٠ حين رأيتك لم أصدق عينى ٠٠ ولكن ٠٠ ان ملامحك كما هى ..**

لم يتغير شيء .. » ـ وتقول هي « كنت تريد ٠٠ لقد قلت ٠٠ انك كنت تريد أن تقول شيئا ٠٠ » ـ ويضيف هو : « ـ ما زالت السماء تمطر ٠٠ أتستعملين نفس الطلاء لأظافرك ٠٠ » « ٠٠ كنت تنتظرين زوجك ؟ ٠٠ » فتجيبه : « قلت ٠٠ ان هناك شيئا .. » وما الى ذلك من عبارا تتتضح سمات دلالاتها السابقة أكثر من ذلك بقراءتها فى السياق فى نص القصة ٠

وهذه اللفتة تضفى على حال النفس الشاعوية صبغة درامية ٠ وتعمق الواقع النفسى برغم نسيجها فى اللغة الفصيحة لا العامية ٠ وهى مثل على غناء أسلوب الحوار بمقدرة مؤلفه على التعبير عن واقعية الأداء فى المضمون ، دون حاجة الى مجاراة الواقع بألفاظه العامية وحرفية لهجته ٠ ذلك أنه لا مناص فى الأدب من الاختيار ومن تجاوز النقل الآلى للواقع ٠

وعلى ما يروقنا من نواحى النضوج فى عرض هذه الصورة النفسية فيما سقناه، نرى مع ذلك أن الطابع الشعرى قد طغى من بعض جوانبه على التبرير الموضوعى للصورة ، مما هو من صميم الأدب القصصى ، فى القصة القصيرة ، مهما كان لونها ٠ فأية مدينة صغيرة تلك التى هجرها الفتى ؟ ولماذا ؟ فمجرد ولوعه بالهرب من الرتابة لا يهيىء ملابسات الهجرة ، وبخاصة فى الصورة التى قدمها لنا ٠ وكان قد عرض على الفتاة من قبل أن ترحل معه ٠ وبرغم أن هذا العرض كان غير جدى من حيث دلالته على تعلقه بالفتاة ، كما لحظت هى ، فنحن نجهل كل الملابسات التى تجعل مثل هذا الاقتراح ممكنا حتى يصدر عن عاقل متزن القوى ، فتى يمكن أن تتعلق به فتاة واقعية المزاج كتلك التى رأيناها فى القصة ، تحلم ببيت هادىء وأولاد ، قانعة بكانها الهادىء فى قريتها المقفلة الهادئة ٠ ويبدو أنها كانت تفضل الزواج منه هو على الزواج الذى تم بينها وبين قريبها المهندس ، وهو الزواج الذى تلمح بأنها ليست سعيدة فيه ، على حين نجهل منه كل ما يجعل مشروع الزواج ممكنا قبل رحيله وبعد أن صار مدرسا ٠ فالصورة النفسية مسوقة من خلال واقع طاف مترجح يكتنفه الغموض ، وقد يكون غموض حال الفتى ، حتى على نفسه ، أمرا صادقا من الوجهة النفسية ، ولكن تعليقه على واقع مبهم هكذا قد يصلح تجربة قصيدة رمزية الايحاء ، فى حين يفقد الجوهر القصصى ، وفى هذا لا نقصد أن ننال فى شىء ما من أسلوب الكاتب ، ولا وسائله الفنية ٠ انما نقصد ذلك النوع من نقص تحديد معالم الموقف الذى تغوص فيه تلك الصورة النفسية البارعة ، التى هى آية على موهبة الكاتب ، ومقدرته الأدبية فى طريقها الى النمو والكمال ٠

وقد أشرنا غير مرة الى الوسائل الفنية ذات الطابع الشعرى فى هذه القصة ، وهن وسائل يغنى بها الموقف النفسى الذى قصد الكاتب اليه ٠ ولا ننسى أن نؤكد أن هذا الطابع الشعرى نجا من الذاتية ٠ فهو موضوعى درامى فى سماته النفسية الخالصة ، وفى هذا نوع من التبرير للصورة الكلية ٠ يؤازره الاطار العام للناس والطبيعة والمكان ٠ وتقوم الحركة ، والاشارة الدالة ، واللفظة الخاطفة ، والمفارقة

التصويرية ، بدور الايحاء بزلزلة نفسية واضطراب خبيء ، وشعور عارم مكبوت ، فى قصد ، وبلا اندفاع ، ولا توكيدات خطابية صاخبة ٠

وهذه السمة الأخيرة مما يفرق ــ فنيا ــ بين القصة السابقة والقصة التى نقدمها أخيرا هنا ، وهى قصة : **«التذكرة»** لصاحبها القاص : عبد العال الحمامصى ٠ ويعرضها المؤلف على لسان بطلها بصيغة المتكلم ٠ وهى طريقة من طرق العرض القصصى ، من ميزاتها أنها تعقد ألفة بين القارىء وبطل القصة ، وتضفى عليها طابع الواقع بالرواية ، وتمنحها صبغة نفسية ، وتبرز توكيدات الذات لدى شخصية القصة الأولى ٠ وهذه الطريقة القصصية ــ برغم ذلك ــ مزلقة اذا لم يتحرز مما تهدده به من خطر فنى : أن يسترسل فى يسر مع خواطر ذاتية ، أو ينساق الى تجريديات فكرية ، أو يقع فى التصريح المباشر ٠

***

ومؤلف القصة « **التذكرة** » يبدو على علم بطبيعة القصة القصيرة ، اذ يختار لها موقفا جزئيا ، فى فترة محصورة ، لسير زمنى متقطع محدود ٠ ومؤلفنا كذلك متمكن من لغته ، وعنده حاسة القصصى الفنى فى مواطن كثيرة من أسلوب قصته ٠

والموقف فى هذه القصة يتمثل فى طالب للوظيفة ، قد اضطر الى الكف عن مواصلة دراسته لتقاعد والده ، وعجز هذا الوالد عن تعليم أولاده جميعا ٠ فآثر كبيرهم اخوته على نفسه ، وأرسله أهله الى القاهرة بتوصية من أحد أعضاء مجلس الشيوخ الى قريب من أقربائه ، ليتوسط له فى توفير عمل بشركة من الشركات ٠ واستدانت له أمه ما يفى باقامته فى القاهرة ، فى فندق ، قريبا من ذلك الوسيط ٠ ودامت اقامته كذلك ستة أسابيع حتى نفد ما كان حمله من بلدته من نقود ٠ وأصبح مهددا فى اقامته بالفندق ومهددا بالجوع ٠٠ وتشاء الصدفة أن يلتقى بزميل قديم له فى الدراسة هو طالب الآن بكلية الحقوق ، يشكو اليه حاله فيمنحه بضعة قروش هى كل ما لديه ، ويعده أن يدبر له نقودا غدا صباحا تسد حاجته فى انتظار المعونة التى طلبها من أمه ٠ وتبدأ القصة بهذا الطالب للوظيفة يدق باب محمود صبيحة الغد الموعود ٠ واذا محمود قد سافر ، لأنه قد وصلته برقية بمـوت عمـه ٠ ويكون مبلغ تدبيره أنه يحاول أن يصل قبل صلاة الجمعة الى مسجد الحسين ــ لأن الصدفة شاءت أن يكون ذلك اليوم يوم جمعة ولأنه لا بد أن يجد فى ذلك المسجد من أهل بلدته فى الصعيد بعض من يمدون اليه يد المساعدة ، وتستولى عليه فكرة العون الأكيد من هؤلاء الذين سيصادفهم فى صلاة الجمعة ، وقد اقترب موعد الصلاة بحيث لا يتسع الوقت له اذا حاول السير على قدميه من الجيزة حيث يسكن صديقه الذى سافر لموت عمه ــ الى مسجد الحسين ، فلا يجد مخرجا سوى الركوب فى عربة عامة بدون تذكرة ، لأنه أنفق آخر قرش لديه فى شرب كوب شاى بعد تناول فطوره من الحليب !! ويكون

مأزق الوصول الى حى الأزهر – مرفأ النجاة فى خياله – بالركوب فى سيارة عامة ، وعلى سبيل التحايل ، هو محور الموقف القصصى ٠

وفى عرضنا الموجز لموقف القصة يتبين موطن الضعف الجوهرى ٠ فالموقف مفتعل مكره ٠ تتوالى المصادفات غير المحتملة على خلقه ٠ وتقود الأوهام المختلقة على تصور النجاة منه ٠ وتدفع الخواطر الجامحة الى استساغة الدنو النفسى بالتسلل بين الراكبين فى مسلك غير مشروع ، لا يشفع فيه أن يصرح الفتى بأن ضميره يعوى ، وأن يكرر هذا العواء ٠ وزئير العزيمة أقوم من العواء أو النباح ٠ وكيف يستساغ هذا الاستجداء بالتحايل ، وهذا الاستجداء بالشكاية والرجاء ، وهذا الاستهتار بامتهان الكرامة ، من فتى يريد أن يحملنا على الاعتقاد بأنه مرهف الحس ، مشبوب الشعور ، يائس مهضوم ، ذو ضمير يعوى ؟!

ولو سلمنا بفروض الموقف جميعا ، على ما بها من احالة ، فكيف يظل هذا الفتى ستة أسابيع لا يفكر فى لقاء واحد من أهل بلدته الذين يترددون قطعا على جامع الحسين للصلاة من يوم الجمعة ؟ ثم ما الذى يدعوه للبقاء ستة أسابيع لأمر علم أنه لا يمكن توقعه قريبا ؟ واذا كان هو الغريق الذى تعلق بقشة من وعد زميله محمود ، كما يقول هو ، فلا بد أنه كان يذهب للقائه صباح الجمعة الموعود فى وقت مبكر ، فما الذى يكربه ويعجله خوف أن يضيق به الوقت للوصول الى **حى الأزهر** بعد الصلاة وانصراف الناس منها ، اذ يمكنه فى يسر أن يسير على قدميه حتى هناك بحكم الضرورة بدلا من التخاذل والتهالك والتحايل غير المشروع وغير الانسانى ؟!

لهذا كله لا يمكن أن نقتنع به أو نتجاوب معه شخصية انسانية فى موقف حيوى ٠ ولهذا نرى خواطره ذاتية سردية معلقة على موقف لا يقنع بها ٠ ويزيد من نفورنا هذا الهدير الصخاب من التمرد والتجديف واللعنات ضد أبيه الذى تزوج فى شيخوخته ، وضد السيدة التى أقلقها بالحاحه ولجاجته ، حين دق باب صديقه فظهرت تسوق له خبر سفره ، فضاق بها بومة تنعب ، ثم لعناته يصبها على القاهرة كلها ، المدينة التى مات قلبها فى تطرف واقحام خواطر : « **بعد الأسابيع التى قضيتها فى هذه المدينة لن أستغرب أى تصرف يحدث فيها ٠٠ رأيت بعينى رجلا رفض أن يتخلى عن صحيفته لتغطى بها عورة جثة ٠٠** » ، وضد القدر ، لماذا أنجبه أبوه ؟ ولماذا يموت العم الذى رحل من أجله محمود فى هذا اليوم بالذات ؟ ونتساءل عن سر هذه القسوة غير الانسانية فى سخطه على البشر ، من ثنايا حقده على المدينة التى يبدو أنه لم يفقد بعد كل أمله فيها « ٠٠ **ربما تدهمنى عربة ٠ وتتركنى أتخبط فى دمائى على قارعة الطريق ٠ أموت قتيلا فى مدينة لن يهتم ناسها حتى بأن يضعوا جثتى تحت جدار ٠ سيلقى كل عابر نظرة ٠ ثم يواصل مسيره ٠ رأيت هذا المنظر عدة مرات ٠٠** »

وقد يكون وراء هذا الاحتداد شىء من صدق الواقع الاجتماعى فى التفرقة بين المدن الكبرى بعامة وبين الريف أو المدن الصغرى ٠ ذلك أن الروابط الاجتماعية

تبدو فى تضامنها ونخوتها فطرية مباشرة محدودة أظهر فى الريف وما يقرب من الريف منها فى المدن الكبرى حيث يحل النظام المدنى محل صلات الدم والقرابة والمعارف الشخصية وماتبعث عليه هذه الصلات جميعا من تعاطف طبيعى فى القرى . وبرغم ذلك قد يمكن أن تؤلف قصة أو قصائد لتصوير شعور الريفى بالضياع بمقدمه للمدينة ، على أن يشف الموقف عن ذلك الشعور ويدعمه ، دون ذلك التصريح الصخاب الذى نجده فى قصتنا ، والذى يضيق به هذا الوافد فى سذاجة هنا على المدينة حين ينشد كرم الضيافة من صاحب الفندق ، وأريحية الاسراع الى الاستجابة من الوسيط للوظيفة ، ويحاول استغفال المفتش وحامل التذكرات فى العربات العامة. وهذه كلها أمور لا تنال من الرحمة المنظمة ، أو العدل المدنى الذى تكفله المدينة لأهلها عادة . فلا ينبغى ، اذن ، تعليق أفكاره الكبيرة على أسباب صغيرة تتخذ سبيلا لدى ريفى ساذج للحملة على المدينة وناسها وعلى الناس جميعا ، بل وعلى القدر ، فى تمرد وضيق أفق ، نال بهما جزاءه سخرية من راكبى العربة واحتقارا ثم اخفاقا .

ولا شك لدينا أن مبعث كل هذا أن المؤلف لم يحسن اختيار الموقف الذى يبدأ منه ، فالموقف فى القصة القصيرة – كما قلنا – رؤية صادقة محدودة . ومتى أجيدت الرؤية بدأ المؤلف طريقه معبدا ذلولا. والسيد الكاتب لاتنقصه فى قصتنا هذه القدرة فى الصياغة ، ولا الخبرة بطبيعة ما يفصل القصة القصيرة من الطويلة كما يعرض أحيانا للشبان الناشئين . وتبدو سمة موهبته – المبشرة – ببدئه هذه القصة بمنظر الريفى يطرق باب صديقه . وتدخل بذلك فى صميم الموقف منذ البدء . ويبث الوصف والتفاصيل الجزئية الكاشفة فى ثنايا القصة بعد ذلك . فيوفر الحركة لقصته ، ويحتفظ لها بعناصر التشويق ، ويبدو أنه متملك زمام لغته ، وان كانت اللغة لا تكفى لخلق القصة أو العمل الأدبى بعامة .

واذا وازنا – بعد ذلك – بين هذه القصص الثلاث ، رأينا الموقف فى القصة الأولى : « بلا خوف » – على ندرته فى الواقع الاجتماعى – قد أجيد اختياره ، وعمق فى معناه وأبعاده . والموقف فى القصة الثانية : « **لقاء** » مألوف مكرور ، أكثر دورانا فى الواقع الاجتماعى من الموقف السابق . وقد عرف المؤلف كيف يميزه بالصورة النفسية الفريدة . فرأينا وراء هذا الواقع العادى الحوافز الرهيبة بمثابة اللولب فى حركة المصائر فمجرد حرية الاختيار – الذى يبدو أخص خصائص الفرد فى شئون نفسه – له نتائج تتجاوز نطاق الفرد الى مصائر الآخرين ، ثم تتسع الى أبعد مما كان موضوع الاختيار ، الى ما يضفى على الحياة كلها مذاقا خاصا ولونا فريدا ، فعمق الرؤية النفسية هو مدار الجودة الفنية هنا . والموقف فى القصة الأخيرة تعوزه صدق الرؤية وعمقها معا ، برغم ما يتراءى فيه من دلائل طاقة فنية كان يمكن أن تجود لو تهيأ لها الموقف الجيد كى تتفتح فيه .

والقصة الأولى والأخيرة بصيغة المتكلم ، على لسان صاحب الموقف . وقد عرف كيف يفيد مؤلف القصة الأولى من وسيلة التقديم الفنية هذه ، دون أن يقع فى مأزق

التصريح المباشر ، أو الخواطر الذاتية ، والانفعالات الصاخبة ، بل انه راعى فى لغته مجاراة مشاعر الطفولة فى سوق القصة على لسان طفل ، فتركها تشف فى دقة عن صدق الطوية ، وبراءة الشعور ، اذ هدانا هذا الطفل الى حقيقة انسانية السليب الحق الطريد المجتمع ، فى حين ضل فى فهمها من حوله الكبار فى سخرياتهم به ، أو فى خلق أسطورته ٠

وبرغم ايراد القصة الأولى بصيغة المتكلم ، لم يهمل الكاتب **عباس محمد عباس** فيها الحوار ٠ وهذه سمة مقدرة فنية ملحوظة ٠ اذ الحوار يضيف الى قوة التصوير ٠ وهو من وسائل الحركة القصصية التى تسمو بالصياغة الفنية للقصة ، اذ تضفى عليها طابعا دراميا ، على حين خلت القصة الأخيرة من هذا الحوار أو كادت ، فخسرت فنيا ، اذ شغل مؤلفها عن الحوار بتقديمها بصيغة المتكلم على لسان بطلها ٠

والقصة الوسطى : « لقاء » بدت غنية بالحوار ذى الطابع الدرامى والشعرى معا٠ وتجلت الحركة فيما تخلل الحوار من جمل سريعة خاطفة بينا فيما سبق خصائصها وتآزرها فى تصوير الحالة النفسية ٠

ولم تخسر هذه القصة بحوارها حين أداره المؤلف باللغة الفصيحة ، بل انها نفذت بهذا الحوار الفصيح الى أعماق اجتماعية ، بما هيأه المؤلف لهذا الحوار من طابع الايحاء للجمل والعبارات على نحو ما شرحناه من قبل ، مستعينا فى ذلك بدلالات اللغة الفصيحة ، ففاق فى نفوذه الى الواقع الاجتماعى بهذه الوسائل الفنية مؤلف القصة الأولى حين راعى حرفية الواقع فى بعض الجمل العامية للحوار فى قصته ، وانما الواقعية بالأداء النفسى ، لا بمجاراة الواقع ٠ والمقابلة بين القصتين فى الحوار من هذا الجانب للمفاضلة لا للانكار أو التخطىء ٠ وفى القصص بعض هنات لغوية آثرنا ألا نتحدث عنها ٠٠ **وقد أردت بهذا العرض والتقويم أن أحيى هذه الجهود الجادة فى** طريقها الى كمال التفتح والازدهار ، لأتلاقى معها عما قريب وقد جادت بأطيب الثمار.

عندما تشرق الشمس

بقلم : محمد نبيل الغريب
تقديم : محمود تيمور

تصور لنا هذه القصة ، بيتا عتيقا ، غامضا ، هو لغز كبير راقد فى عظمة الأسد، يسد نهاية الدرب ، ناحية الشرق ، مرسوم على بابه كفان حمراوان ، والناس جميعا يخشون لعنته ، ويشعرون نحوه بالخوف والرهبة . وبين هذا البيت والدرب تفصل رقعة واسعة من الوحل المملوء بالزجاج والأشواك ، فما يستطيع الأهلون الوصول اليه الا بعد أن يخوضوا تلك الأوحال المتراكمة ، وأن تمضغ أضراسها الزجاجية الشائكة أرجلهم الحافية . وما يزال البيت محوطا بخفاياه حتى يستقر عزم الجيل الصاعد على أن يقتحموه ، ويعملوا فيه معاول الهدم والتدمير ، لكى يتاح للهواء المتجدد أن ينطلق ، وللنور الفياض أن يعم ، وللبركة الموحلة أن تجف ، فتشيع فى الدرب حياة جديدة خالصة من الأكدار والمخاوف والأوهام .

وصورة البيت تعيد الى الأذهان صور البيوت أو الحصون من تراث عصر المماليك واجزاء القصة جميعا رموز الى معان واشياء ، فظلام الدرب وقماءة بيوته رمز لحياة المجتمع الغابر بما فيه من عسف واضطهاد ، والبيت رمز للأوضاع الجاثمة على المجتمع ، تلك التى كانت تحجب عنه الهواء والنور ، والبركة الموحلة رمز للقيود التى كانت تعترض الشعب وتحول بينه وبين الحرية والانطلاق. وصورة الكفين على الباب رمز للأوهام التى استبدت بالأهلين وهيمنت على مشاعرهم وحملتهم على الاستسلام للأمر الواقع المرير . أما أولئك الأبناء الذين ثاروا على البيت الأجرب فهدموه ، وعلى الكفين فطمسوهما ، فهم رمز اليقظة القومية والوعى الاصلاحى الجديد .

وان محاولة تصوير الانتفاضة الوطنية فى هذا الاطار الرمزى لهى محاولة موفورة الحظ من التوفيق ، اذ استطاع الكاتب الأديب أن ينقل الينا صورة من الحياة فى المجتمع المغلوب على أمره ، ويرينا كيف تولدت فيه عوامل الثورة والانتفاض على الجمود والاستخذاء ، حتى يتسنى لأهله أن يظفروا بحقهم فى بحبوحة النور والهواء .

وكاتب هذه القصة ، لم يسبق له أن نشر شيئا مما أعده من قصص حوتهـا مجموعة له ، تحت « الخرساء » ، وهى مخطوطة تنتظر الفرصة السانحة للظهور .

ولى بعد هذا دعاء ، ورجاء :

دعاء للكاتب الشاب أن يطرد توفيقه ، وأن تنمو تجاربه القصصية الفنية على الأيام ...

ورجاء لباكورته الطيبة هذه ، أن تجد سبيلها ميسورا الى جمهور القراء .

محمود تيمور

عندما تشرق الشمس

ليس عجيبـــا أن يكون ذلك الدرب النحيف الأفعوانى مظلما ، وأن البيوت تتزاحم على جانبيه كالأقزام المتخمة ، المتطلعة الى النور ، تستجدى رئاتهم دفعات من الهواء الطازج الذى يمكنهم من الراحة والاطمئنان ، والاستشراق ، ويبعث فيهم النشاط . ولكن الهـــواء الفاسد يحمل الروائح المتعطنة الكريهة ، مع الظلام الدائم الذى يخيم على الدرب النحيف ليل نهار .. قائما لا يرحل بفضل ذلك المنزل الأجرب الواقع عند نهاية الدرب ناحيـــة الشرق .. ذلك المنزل الذى ينتهى عنده الدرب .

ولم يكن هو نهـاية الدرب فقط ، ولكنه كان كذلك نهاية دنيا الأطفال .. اطفال الدرب من ناحية الشرق . بل ربما هو نهاية حياة كل من بالدرب من ناحية الشرق .. وماذا يكون الشمال والجنوب اذا كانت البيوت تتزاحم فى عنجهية الأقزام ، متطلعة تتطاول مع البيت الأجرب الطويل الذى يسد عين الشمس ناحية الشرق .

وماذا يكون الشمال والجنوب ؟!

انهما حدود الدرب من ناحية الشمال والجنوب . والغرب هو الطريق الموصل الى الحياة من خلف القرية كلها .. وأى قرية هذه المتكاسلة المتبالدة .

لا احد يدرى غير ان الأطفال فى هذا الدرب تعودوا الظـــلام حتى كادوا ان يألفوه واوشكوا على الا يملوه مثـــل أهليهم .. ومع ذلك كانوا يخشونه ليس بالعمق الذى يجعلهم يهلعون كما تهر الكلاب ، ولكنهم كانوا يجدون لذة فى الجوس خلاله عندما تزداد حلكة الليل ، ويزداد السكون الخناس الذى يوسوس فى صدور النـــــاس . تلك اللذة التى تدفعهم بقوة الى اجتلاء سر ذلك البيت الأجرب الذى لا يمكنهم أن يصلوا اليه حتى يجتازوا رقعة واسعة من الوحل المليء بالزجاج والأشـــــواك التى تدمى أرجلهم العارية الصغيرة النضرة . وبعد أن يجتازوا الوحل الذى تلوكه أقدامهم ، ويمضغ بأضراسه الشوكية الزجاجيـــة أرجلهم الفضة الحافية .

تبدأ رحلة الله اعلم بكنهها . لايعرفون عنها الا ما سمعوه من أهلهم . فالبيت أجرب متطاول شاهق يرهق النظر الى اجتلاء نهايته ، والغبار المحترق يطوقه بغير رقة أو جمال ، فيصنع مزيجـــا غير طيب .. ليس من الذكريات ولا من المهابة والوقار التى تضفى على كل قديم روعة وعظمة ، ولكنه مزيج من الخيفة والحذر والرعب وعدم الاطمئنان .. خاصة وأن باب البيت القديم يحيط به كفان قد طبعـــا باتقـــان على جانبى المصراعين .. كفان عملاقان لونهمـــا قاتم غطاهما التراب المحترق فجعلهمـــا أكثر رعبا واشد اثارة .

وكلما حاول الأطفـــال الاقتراب من ذلك البيت المجهول سمعوا صـــوتا مرعبا .. انه مزيج من انين خرير الماء وصليله .. ذلك الماء المحتدم والمصطدم بالجدران الداخليـــة للبيت ، فتزداد نفوسهم ذعرا وهلعا ، وتنقبض صدورهم خوفا وجزعا .. وتكاد تفلت أحداقهم من وجوههم رعبا ، وتلتصق أقدامهـــم المرتجفة بالوحل رهبة ، فما يستطيعون جريا ، ولا يولون الادبار عدوا .. بل ربما يذهب الرعب بقلوبهـــم الصـــغيرة الندية الى الدرجة التى يجعلها تتجمد كما تتجمد بقع الدم على قطعة قماش .

ولكن نفوسهم العنيـــــدة كالذباب ، الدائمة التطلع والتهافت على المعـــرفة تدفع بموكبهم الصـــغير الضـــاج الى اســـتجلاء ذلك الشىء العجيب المريب الذى لا يدركون كنهه ولا يعلمون حقيقة سره ، الا مما يسمعونه ومما تتلقفـــه آذانهم الصغيرة المرهفة عن ذلك اللغـــز الكبير الراقد فى عظمة الأسد محتـــلا نهاية الدرب ناحية الشرق .

وكثيرا ما حذر الآباء ابناءهم، ونهوهم عن الذهاب ناحيـــة ذلك البيت الذى تعيش فيه روح « أبو صوابع » .. تلك الروح الشريرة التى احتلته وجعلتــــه مسكنا خاصا بها .

ولا احد من الأطفال فى مكنته أن يسأل بيت من هذا ، حتى يذيع على زملائه واترابه عند اجتماعهم على المصطبة بعد العشاء سرا من اسرار ذلك اللغز الكبير الجاثم فى عظمة ورهبة فى نهاية الدرب ناحيـــة الشرق .. تلك الأسرار التى حيرت البابهـــم ، وبلبلت أفكارهم ، وضخمت تساؤلاتهم .

ولكن واحدا لا يلتفت الى الأطفال ،



لأنهم يجب أن يستمعوا فقط النصيحة فلا يذهبون الى ناحيـــة **ذلك البيت الملعـــون** .. ذلك لأن لعنـــة روح « أبو صوابع » تدرك من يحـــاول أن يقترب من البيت .

وكان موكب الأطفال العنيد يقترب فى مكر وحذر من الوحل الممتد أمـام البيت ، ثم يصيحون ليسمعوا أنين الماء المتوجع وصليله المحتدم المصطدم بالجدران فى زمجرة وخشية غاضبـة داخل البيت ، فتخفق قلوبهم الصغيرة بقشعريرة خـــوف .. ومـــع ذلك يتماسكون فى جلد لا اجبـار عليهم فيه غير اجبار حب الاستطلاع .

لقد صمموا على أن يســمعوا ذلك الصوت عن كثب .. ذلك الصوت الذى يشبه صوت الطاحونة .. انه بلا شك صوت روح « أبو صوابع » ، وعندما يزداد خفقان قلوبهم ، أو يراهم رجل من أكابر أهل الدرب يضغط على صوته بكلمات مزعجة تجرهم ناحيـــة الفرب سراعى يتدافعون فى خوف .. يملأون الدرب صراخا عنيفا يحمله الهواء الفاسد العطن الى بيوت الدرب المعتمة .

وفى الأمسية التالية يملكون أفئدتهم ، وتكون رغباتهم فى الاستطلاع أقوى من الليلة السابقة ، ويكون تصميمهم أكيدا ثابتا لا يتزحزح ، ويتجه الموكب الصغير ضاربا « الظلـط » واحدة بأخـــرى فينزو من بينهمـــا الشرار فى غضب ،

وهم موقنون أن الشـــياطين والجن لا يجرؤون على مواجهة الشرار أو النار. ويرتفع فانوسهم الصغير ناحية الباب الأجرب الكالح الاحمرار ، فيجـدونه موصدا تمام الايصـــاد ، ويشاهدون الكفين على جانبى مصرعى البـــاب ، فيتدافعون كأنهم يحشرون فى جـــوال واحد ، ويتماثلون للانفتال فرارا .. ولكنهم يتساندون ثم لا يقدمون .

هكذا دائما .. وعلى مر الأجيال فى الدرب .. جيل بعد آخر يحـــاول أن يكشف عمـــق الأسرار .. أسرار ذلك البيت العجيب الرهيب .. ولكنهـــم لا يفلحون بل يفشلون ويورثون للأجيال اللاحقـــة خوفا أشـــد من خوفهـــم ، وغموضا أشد من غمـــوض الأسرار . فلا يتجرأون للذهاب ناحية البيت برغم انهم كبار ، وكذلك لا يتركون الصغار ليكشفوا أسرار ذلك البيت اللعين لأنهم صغار .

ولهذا كان ذلك البيت اســـطورة يتناولها أهل الدرب كل حسبما يرغب ومن الناحية التى تعجبه. فيضفى عليها ثوبا داكنا من اللعنة .. أو حلة غابرة من الأسطورة الطريفة .. أو بصمة من الأهوال والرعب ، أو ألوانا من السخرية المتحفظة التى تخشى من شرور الأرواح والأشباح واللامرئيات النهارية .

كان البيت لأحد الملتزمين فى العهود الغابرة ..

كان رجلا غليظ القوام على نحـــو يتآلف مع ضخامة ما يمتلك من مـــال وأرض وعقار .. وكان يحكم ناحيـــة تلك القرية حكم المتجبر المتسلط المتطفل فى دناءة وقحة . يحرم على عباد الله ما حلله الله .. ويرضى لهم بفتـــات موائده طعاما ، ونفايات شرابه شرابا .

كان يحبس كل من عليه دين له بدون طعام أو شراب حتى يسارع أهل المدينة لنجدته ، ولم يكن يرحم كل من اجترم جرما ، بل ربما علقه من أعقابه فى سقف حجرة خاصة حتى تطفح روحه عن بدنه وتفارقه ، فيطلقه الى بئر عميق مظلم فى أرض الحجرة ، فيذهب الرجـــل كما تذهب الأيام التى لا تعود .

ولم يكن يسمح الرجل لأى رجل قط مهما كان أن يلبس مثلما يلبس الجلباب الأبيض حرام كالكفر فمن لبسه فقـــد كفر فى حق ذلك الملتزم ، و « المركوب الأحمر » من لبسه فقد أخطأ فى البخارى، ومن لبس طربوشا عثمانيا فمثله مثل من رأى الحلال فى الحرام .

وشاء القدر لهذا الرجـــل المتحجر القلب ، المتصلب المشاعر ، الدمـــوى النظر أن يقتلع ابنته من حديقة الحياة، تلك الابنة الوحيدة له فى هذه الحياة .. وتلك التى كانت بمثـــابة ســـميرته ، وخليلته ، وصاحبته ، وأمه ، وأخته ، وابنته . وبدأت أسهم القدر تمر الى قلبه الذى استعصى عليها ســـنينا .. ذلك الذى أمضى زمـــانا طويلا يغزوه فيقهر ، ويجالده فيهـــزم .. حتى بدأ يتفتت ويتحطم ويتهشم بمرور الوقت بعد أن اختطف القدر وحيدته .

وما كان « أبو صوابع » هذا الا خادمه الذى لا يخشى مكره ولا يرى فى طباعـــه

ميلا لاغتياله ، ولا يتوهم فيه طمعا فى أرضه أو ماله أو عقاره . وكان نعم الجلاد الذى ينفذ الأحكام بسرعة قادرة وبقدرة واثقة خارقة .. فكم أدلى برؤوس وأجساد فلاحين وعمال الى الأعماق الرطبة المظلمة المتعفنة لذلك البئر الموجود فى أرض تلك الحجرة الموجودة بذلك البيت .

وبدأ الملتزم ينهار رويدا رويدا .. ولكن انهياره كان بطيئا . وكان أهل الدرب يستردون بعض أنفاسهم اللاهثة فى عمل مستمر دائب على عجلة العمل اليومى فى حقول ذلك الرجل .. تلك الحقول التى كانت حقولهم ذات يوم ، والتى آلت اليه على هيئة ضرائب وديون وما شاكل ذلك .

ومات الرجل !! .. مات ! ومنذ ذلك الحين والبيت لم يفتح له باب .. وكان الناس يزرعون الأرض ، ويعملون بالحقول كما اعتادوا .. ولكنهم كانوا يدخرون المحاصيل، لأنهم كانوا يخشون عودة ذلك الرجل مرة أخرى .. ربما يعود فهو كالقطط بسبعة أرواح .. لقد مات كثيرا ثم عاد الى الحياة كثيرا فى أيامه الأخيرة .. ربما يعود !!

ولكنه ذهب ولم يعد .. ولقد مرت أعوام كثيرة دون أن يعود .. ومع ذلك فهم فى دهشة من أمر جلاده «أبو صوابع» أين ذهب ؟!! ذلك الرجل الذى أدركه الهرم والعمى والصمم .. هل ذهب الى سيده ليرقد بجواره ؟ ! أم أنه ظل سجينا فى هذا البيت ؟! وإذا كان بالبيت فهل هو حى بنفس قوته الطاغية وقدرته الخارقة برغم هرمه وعماه وصممه .. أم أنه قد تطرق اليه الضعف والهزال واهتصره المرض ؟! ذلك ما لا يعلمون عنه شيئا .. برغم أن روح الأساطير فى نفوسهم تؤمن بأن هذا الثعبان العنيد مازال باقيا على قيد الحياة ، يصرخ مهيبا فى أشباح الذين قتلهم بالصمت والسكون والاستسلام لرقدة الأبد .

أما البعض الآخر فيؤمن بأن الرجل قد مات وحيدا فى هذا البيت منذ أن اعتزل الحياة والأحياء على أثر موت سيده ، ولذلك فان روحه هى التى تزمجر بوحشية متعجرفة وقسوة متطرفة داخل الجدران .. جدران البيت العتيق ، بصوت كله أسرار يشبه صوت الطاحونة .

أما كفاه فقد طبعهما على مصراعى الباب كذكرى وعبرة لمن تحدثه نفسه بالثورة أو التمرد على سيده «الملتزم» .. لقد كان الكفان لأبى صوابع . طبعهما باتقان على جانبى اطار الباب ..

كفان مغموسان بأول دم لرجل صرعه ذلك الرجل الشيطانى الجسد والطباع والخلق .

مرت الأيام سراعى ..

وعاد الأطفال شبابا .. عادوا من مدارسهم البعيدة فى القاهرة ..

وفوجىء الحى بهم ، وسمع لهم ضجيجا وثرثرة لم يتعودوا سماعها .. لقد سمعوهم يتناقشون فى أمور عظيمة لم يسمعوها من قبل .. سمعوهم ينكرون الظلمة والعتمة التى ترعرعوا فى أحضانها

ورضعوا من ظلماتها .. وسمعوهم يتقززون من تلك الرياح الفاسدة التى يحملها الهواء الى بيوت الدرب المتساندة فى عنجهية الأقزام .. وأحسوا بأن بين جنوبهم ريحا صرصرا عاتية ، وفى أحداقهم شرارا ونارا ، وفى أصواتهم رنين أجراس لها دوى ملتهب يزمجر فى حقد وغضب جبار .

وفرحوا !! .. فرح الناس .. أهل الحى السذج .. فرحوا فى طيبة ، لأنهم انتصروا .. انتصروا على الجهل .. لقد أصبح الأطفال : أطباء ، ومهندسين ، ومحامين ، ووكلاء نيابة .. الخ .. انهم شباب المستقبل الذين سيفخرون بهم .

فهموا هذا فقط .. ان العلم شباب ثائر ، وربيع دائم متجدد .. وحياة حرة لا تنتهى .. وفيضان لا يفيض ماؤه ، ولا يفنى خصبه . ان العلم يدفع فى قلوبهم آمالا عظيمة ترتفع بهم على أجنحة لا مرئية الى آفاق أحلامهم .

وتركوهم .. تركوهم وذهبوا ليناموا .. نعم ان النوم راود أجفانهم ، وحمل أعصابهم الى أعماقه .

أذن الفجر ..

ولم يعد الشباب من منتداهم بعد.. لاشك أنهم فرحون بلقاء بعضهم البعض.

ولكن الآذان الصاغية تسمع تصدعا يصحبه اهتزاز وتشقق .. ربما تكون أجراس .. اى أجراس هذه ؟!! أجراس ثائرة ، ودقات طبول حارة عابسة .. لعل الأحلام تنتقل بقلوبهم السعيدة الى آفاق بعيدة فى جولة لا نهاية لها .. ربما يتخيلون أنهم على أبواب الجنوب من افريقيا .. أو فى بلاد الفاتيكان ..

اشياء مروعة حقا .. لا يمكن أن تكون هذه أوهام أحلام .. ان أذان الفجر يختلط بصوت الطبول ، مع دقات النواقيس .

انه شىء مريع بلا شك .. ولكن أجسادهم الواهنة فى الفراش تلك الأجساد التى لم يدع النوم جزءا فيها الا احتله تهتز كأنها قد أصيبت بمس كهربائى .. ان أصوات المعاول تمضغ أحجارا فى حقد وغيظ .. فى غير رحمة وبلا هوادة .. وسقوط أحجار قديمة تئن فى بؤس وألم ومرارة وخشوع .

وخرج الحى عن بكرة أبيه .. خرج ليشاهد باب البيت الأجرب الطويل فاقدا مصراعيه .. انه علم مزعج ، وفأل سيىء .. ولكن أيديهم التى يفركون بها أعينهم غير المصدقة ، وأيديهم التى تلدغ أجسادهم تشير الى حقيقة لا خيال ..

لقد ركب الشباب رؤوسهم واندفعوا فى ذلك البيت الأجرب المتطاول الذى يسد عين الشمس ناحية الغرب .

وتملك الناس وهم ، وبدأت قلوبهم الفزعة تشعر بخوف يزدردها مرة وتزدرده مرة .. انه بيت الملتزم الذى عبده « أبو صوابع » .. أما كفى هؤلاء الطائشون .. أنهم تعلموا من ريع تلك الأراضى التى استردوها ،فماذا يصنعون ــ اذن ــ اذا عاد الملتزم ثانية يصحبه ذلك الثعبان اللعين «أبو صوابع»

.. انه سيمثل بهم شر تمثيل .. سيسحلهم .. سيشنقهم .. سيحرقهم ويذريهم فى الهواء .. كم سيلحق الحى من اذى وشرور وآلام وبؤس وشقاء .

وبدأوا يصرخون فى الشباب ليعودوا أدراجهم .

ومع ذلك لم يعد أحد .. لقد ركبوا رؤوسهم وانتهى الأمر .

وتدافع الناس خلال باب البيت كما تتدافع المياه من فوهة خرطوم .

كانت المياه تندفع من عين صدعت جدران البيت ونفذت الى صحن البيت وحجراته .. ووجدوا طريقا ممهدا يشق المياه حتى السلم .. انه طريق عجيب أشبه بطريق موسى عليه السلام .. وكان صحن البيت كئيبا معتما يهجس فى جنباته صمت أخرس بأصوات لا تسمع بآذان ولكنها تنطلق من داخل الانسان ، وتوحى اليه بأشياء غامضة .. ورغم ذلك تدافعوا الى الدور الثانى حيث أن الدور الأول لم يكن به ما يغرى باستطلاعه أو التعرف عليه .

على يمين الداخل قاعة واسعة يقبع فى صدرها كرسى ثقيل مزدان بأحجار كريمة ثمينة لا تقدر بمال .. وكراسى أخرى مرتبة كجناحى طائر متزن فوق شجرة .. عظمة .. كبرياء .. ثراء .. وتخمة .. تخمة فى الغنى .

وطفق الناس يتخطفون تلك الأشياء الباهرة التى لم يروها الا نادرا تلك التى أخذت بروعتها عقولهم ، وافقدتهم رشدهم ، واذهبت البابهم ، وبلبلت أفكارهم .

انها أشياؤهم .. هى ثمار جدهم وتعبهم وسهرهم ومرضهم وشقائهم .. وتركوا تلك الحجرة التى على يمين الداخل الى الردهة العظيمة الواقعة أمام السلم الرخامى للبيت العتيق .

كانت حجرة الأكل الى جوارها .. صحاف فى لون الذهب الوهاج .. صحاف وأطباق وشوك وملاعق متناثرة فى اغراء فى كثرة وازدحام . مناضد عاج .. كراسى وأرائك وثيرة .. انها جزء من كدهم ، وبعض ثمار كفاحهم .. وطفقوا يحملون كل ما تقع عليه أيديهم فى لذة ونهم المحروم .. انهم قد حرموا ذلك زمنا طويلا ..

وكانت الحجرة الأخرى هى حجرة نوم .. أسرة .. انها ليست أسرة .. انها واحة الراحة فى طريق المتعبين من الراحلين عبر الصحراء .. بل انها النبع الحلو بعد الجرى الدائم وراء السراب .. أسرة الراحة .. الراحة الأبدية .. هيا ارفعوا ما قد حرمنا منه زمنا طويلا ..

ولكن هناك صورة معلقة فى ثقة ، واطمئنان وفى تخمة وكبرياء وعنجهية طاغية .. وحملوا الصورة وتدافعوا .. كانت صورة الطاغية الملتزم .

ولم تكن الحجرة التالية الا الحجرة المظلمة ، كم يرقد فى قاعها المظلم العميق من أجساد فلاحين وعمال ظلموا بدون جريرة أو ذنب يمكن مؤاخذتهم به .. كان الطريق اليها يستدعى العبور من خلال سرداب ضيق يؤدى الى صحن أمام باب الحجرة ثم يؤدى هذا الأخير الى الباب ..

وفتح الباب .. كانت معتمة حقا ،
والروائح الكريهة المتعفنة للأجساد المظلومة المتحللة تزكم الأنوف وتتسرب الى الرئات .. وبسرعة البرق تم لهم صنع مشعل .. أوقدوه ، وسلطوا اضواءه على الجدران الداخلية للحجرة..
كان ينهض فى وسطها « مقصلة » بقاعدتها ثقب كبير ينفذ من خلال ارضية الحجرة العليا الى الحجرة السفلى ويتسع لمرور أضخم الأجساد .. أما سقف الحجرة العليا فيتدلى منه حيه.. تحمل هيكلا ناخرا متعفنا ..

وسرت همهمة وهينمة بين الناس..
انه بلا شك جسد السفاح «أبو صوابع» ..
واختلفت الآراء فيه .. وفضل بعضهم اشعال ذلك الجسد الشيطانى جسد الطاغية السفاح .. وفضل البعض اطلاقه الى بئر الضحايا وكفى أنه انتحر.

وكم كانت قلوبهم متسامحة طيبة رحيمة .. فأطلقوه الى القاع .. الى بئر الضحايا .. وسمعوا صوت عظامه المتخبط فى صوت تكسير الانتهاء الى الأرض ينتهى الى اسماعهم .

وهرعوا الى أعلى حيث يعمل الأبناء..
وأخذوا يدفعون الأحجار التى سدت السلم الى أسفل .. ثم أطلقوا صورة « الملتزم » من حالق ليرقد حطامها بين الأحجار .

وكان الصباح مشرقا جميلا .

ولأول مرة تنطلق اشعة الشمس فى حرية وفى غير قيد تنسل بيوت الحى من الظلام الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ..

ولأول مرة تتسلط حرارة تلك الأشعة مركزة على الأوحال والأوشال وبقايا الماء المتعفن الآسن فيتماثل للجفاف بل ويستمر فى التبخر .

ثم يتجدد الهواء .

ويتجدد باستمرار دائم التجدد .

ويخرج الحى متطلعا من جديد الى المنزل الذى كان راقدا كالأسد ناحية الشرق يسد عين الشمس .. فلم يعد نهاية الدرب .. ولم يكن نهاية دنيا الأطفال من ناحية الشرق .

وخرج الأطفال يمرحون فى حرية وانطلاق كأشعة الشمس يجوبون الدرب ويخترقونه ناحية الشرق الى الأحياء الأخرى المتعددة التى تسلم كل منها الى الأخرى .

أما الكبراء فكانوا ينظرون الى الأطفال فى فرح غامر ، وعيونهم وقلوبهم تقول ناضجة بالسرور : « انهم الجيل الجديد .. الجيل الصاعد » .

محمد نبيل الغريب

الرفاق

تقديم

بقلم : فخرى قعوار

محمد عبد الحليم عبد الله

ليس كاتب هذه القصة غريبا عنى . قرأت له فى مجلة « الأديب » مقالات وقصصا . وعندما قرأت مقالاته حسبت أنه تجاوز دور الشباب الغض أو على الأقل أتم دراسته الجامعية .

لكننى حينما التقيت به فى القاهرة تبينت فيه شابا حديث السن لعله فى السابعة عشرة من العمر . واذا كان هناك علاقة بين السن والتفكير فان هناك أيضا تفاوتا بينهما فقد يبدو التفكير بالنسبة لسن معينة أشبه بالرداء الواسع نتيجة الموهبة والدرس وأخذ النفس بالمشقة والجهد والعزوف — الى حد ما — عن اللهو الشهير فى هذه المرحلة من العمر .

وربما عن لى أن أسأل نفسى : هل يستطيع هذا الشاب أن يكتب شعرا ؟!

أنا أعرف أن الشعر فى البلاد العربية باستثناء مصر أسبق الفنون فهو قبل فن القصة وله منشئون ومحبون . واذا كنت قد عرفت فخرى قعوار كاتب نقد وكاتب قصة فانى أرجح أن له بعضا من القصائد على النهج العمودى أو النهج الجديد .. هذا لا يهم . لكن الذى أريد أن أخلص اليه هو أن صاحب هذا القلم يعيش فى احساس وجدانى حى . يطلب التعبير الأدبى ويسعى اليه وينشد الصورة التى تلائم موقفه النفسى .

وهذه المرحلة يمر بها معظم الشبان . وتتراوح جودة أعمالهم فى كل نوع أدبى بين الارتفاع والتوسط والانخفاض . ثم .. قد يسأل أحدهم نفسه أو غيره من الناس عن أجود ماكتب وعما ينبغى أن يتفرغ له .

غير أن الجواب ليس عند الناس بل عند الكاتب نفسه . انه سيهتدى الى وطنه الأدبى بعد أن يحوم حول كل الأوطان . سيهتدى بعد فترة ما من الوقت .. فى يده خريطة « الوجدان الانسانى » وسيفتش جاهدا حتى يحدد

وكاتب هذه القصة – مرة أخرى – لايزال فى هذا الدور . ربما اشتهر فى المستقبل ناقدا وربما اشتهر قصاصا . وعلى هذا الأساس فانى أبين قيمة عمله الذى تقدمه مجلة القصة فى عدد الطلائع فليس هو بمستطيع أن يعتبر قصة « الرفاق » أحسن ماكتب . ولست أنا فى موقف مخالف لموقفه

ففى الأردن تتجسم مأساة العدوان على أرضنا السليبة • على فلسطين • تتجسم المأساه فى المعسكرات القريبة • وفى المدينة التى شطرت شطرين وفى عدة آلاف من عرب فلسطين لا تنسيهم الاقامة ولا العمل ولا كسب العيش مرارة ماحدث .

فكاتب هذه القصة اذن من شهود المأساة . وهو اذ يقدم هذا العمل فهو مثل رجل يحمل وثيقة . رأى السهر والدموع والتشرد والترقب لليوم المنتظر . والامل فى أكواخ الطين وفى أحضان الجبال . والبحث عن الوقود فى الفيافى والاطفال الذين يولدون على الرغم من كل ما حدث ...

وأنا حين هممت بقراءة هذه القصة كان همى أن التقط الغريب فيها. وليس معنى الغريب هنا هو النادر الحدوث . لكن معناه الطابع (البلدى) ذلك اللون الذى يميز قطعة من الوطن العربى عن قطعة أخرى • ذلك الذى يعادل اللهجة فى النطق ولو أن الحروف كلها عربية .

وقد بدا لاول وهلة فى شىء غير (الحادثة) لان الحادثة التى بنى القصاص عليها عمله تكاد تكون مألوفة فى الادب المصرى عندنا • ذلك المقاول الذى يسخر عمال البناء أو التراحيل لاجل مكاسبه . ذو الساعة الذهبية والكرش العظيمة •

لكن أشياء أخرى غير الحادثة واللغة جعلتنى أشم رائحة وطن القصة هى أنها أشبه ما تكون بقصيدة ... تترك فى النفس انطباعا غامضا محوره الهموم . وهؤلاء الرفاق الاربعة الذين لم أر فيهم ولو واحدا متمردا أو ثائرا شحنوا نفسى بالاسى .

وددت بعد أن قرأت القصة أن لو استطعت لهم شيئا . وربما يتبادر الى الذهن فى هذه اللحظة الكلمة المألوفة . كلمة (السلبية) لكننى لا أستطيع أن أطالب بأن يكون جميع الابطال هائجين .

« بعد دقائق كنا نجلس فى ضوء قنديل شحيح واللحن القديم الحزين يخرج من أعماق صديقى فتحى ونحن نستمع اليه فى صمت وخشوع ... حنجرته سكبت بالحزن ... »

وقد بدأ المؤلف قصته بما ختمها به بعد أن أرانا كيف يحول الظلم الطويل الشخص الى هيكل كأن مهمته فى الحياة أن يستمع الى الاحكام فقط ولا يد له فى شىء . وقد تجلى ذلك فى منظر هؤلاء اللاجئين وهم يستمعون الى الاسماء (المرفوضة) من فم المقاول ذى اليد البرصاء ... يد برصاء

وطعامهم فيها ... رمز بديع ... وعندما فرغوا من معرفة قدرهم هاموا عائدين ليروا غيرهم فى طريقهم اليه ...

هذه هى رائحة (البلد) التى فاحت فى قصة فخرى قعوار . وكان ممكنا جدا أن يلعب الكاتب بعواطفنا فى الموقف الذى أشرت اليه لكنه كان يسارع نحو نهاية القصة .

وأعود مرة أخرى الى أبطال هذه القصة الحزانى المسلوبين . هل ساءنى اننى لم اجد فيهم متمردا ؟!

انهم فى هدوئهم المغلوب يعيشون على الامل . وربما أحس الكاتب أن الشخصيات الفذة أو الشخصيات (النمطية) فى أدب النكبة أصبحت أكثر من المطلوب فتلمس سبيلا آخر سبيل التأثير بالنموذج الحى . بالانسان الذى يعيش هناك . فهو يوحى الى القارىء العربى بما يجب أن يعمل كما تهبط فكرة فوارة على الرأس فى جو هادىء . هدوء يوحى بالثورة . وضائعون يضحكون وهم فى طريقهم الى المخيم ويتكلمون عن الطعام والنساء . احاديث كأنها بصقة معلقة تريد أن تنطلق الى وجه الظلم ... كابتسامة المهزوم التى تؤرق الظالم . لغة خفية تعارف عليها الانسان ومن خلال هدوء هذه النماذج تنبعث ثورة الناس .

أود أن أقرأ لكاتب هذه القصة قصصا أخرى تكون فى قوة ما قرأته له من مقالات باذن الله .

محمد عبد الحليم عبد الله

الرفاق

اللحن الحزين ينبعث رقيقا رتيبا من أعماق صديقى فتحى ، يترنم بلحن قديم كئيب ، وهو يغمر جسده بحزام قطن عتيق ، ويجلس على حافة السرير ، صوت صديقى يرتفع ويهبط ،وصديقى الآخر « عطية » يجلس على صفيحة سمن فارغة ، وأنا أجلس الى جانب فتحى ، كنا نستمع بصمت وخشوع تامين . حنجرة صديقى سكنت بالحزن ، وهى تقطر ألما وجمالا . لم أكن أتصور أن فى الحزن حلاوة وفى الألم روعة ، لم أكن اتصور هذا مطلقا . اجل .. ان ساعة حزن واحدة تساوى عشرات الدنانير من يد « البكرى » البرصاء المنتفخة ، كل يوم يعطى الواحد منا عشرين قرشا ، بعد اثنتى عشرة ساعة من العمل فى خلط الاسمنت مع فتات الحجارة ، ورفعه بالصفائح الى سطوح البنايات ، ورفع الحجارة الثقيلة الى جوار « المعلم عايش» المقرفص أبدا على جدران العمارات !! عشرون قرشا ماقيمتها ، ونحن الثلاثة مدمنون على التدخين ، فنشترى كل يوم علبة سجاير « لولو » بأربعة قروش ونصف ، ولسوء حظنا ايضا فنحن من « المدمنين » على تناول الطعام ، فنبتاع فى بعض الأيام شيئا من البندورة والفجل

والخبز ، وفى البعض الآخر منها بصلا أخضر واوقية زيتون وتمرا بقرشين ، وتكون مصادفةغريبة اذا اشترينا نصف كيلو برتقال أو تفاح كل اسبوعين ... شىء يذبحنى ويمزقنى عندما آكل شيئا من العنب ، أو تفاحة صفراء شاحبة ، أو برتقالة شمطاء ذابلة ، اذ أذكر كيف كان والدى يشحنه بسيارة النقل الكبيرة الى ميناء يافا ليصدر ، بعد أن تعاف نفوسنا أكله ، واذكر كيف كنا نلعب كرة القدم – وأنا لم أتجاوز التسعة أعوام – بتفاحة أو برتقالة ، وكلما تتهرأ واحدة نأتى بغيرها .. شىء يفلق ويدعو للجنون و...أف.. ان خواطرى

تشط بى بعيدا .. بعيدا الى ما وراء ستة عشر عاما ، صور قديمة مهزوزة لتلك الأيام ماتزال تعبر خاطرى، فتجعل نفسى تزداد تهرؤا وتقيعا ، وصور حديثة للبكرى تلح على ذهنى ، تجعل عقلى يكفر بكل شىء ، بالحياة وبالقدر وبالناس جميعا .. صدقنى اننى غير ملام عندما أقول هذا، فقد ذهبنا صبيحة هذا اليوم للعمل كالعادة ، واشتغلنا بجلد وضراوة – بحكم العمل – انهكتنا، حتى العاشرة والنصف . واذا بسيارة البكرى السوداء ، الكبيرة تقف الى جوارنا ، وهبط منها بكرشه المندلف واوداجه المنتفخة ، ووقف ازاءنا ونحن نعمل ونرمقه باطراف عيوننا ، فاخرج ساعته المدورة الكبيرة من صدريته ، وألقى عليها نظرة سريعة ثم اعادها الى مكانها ، وعاد فمد يده الى جيب سترته الداخلية ، واخرج حزمة من الأوراق ، واخذ يفتش بينها الى أن اهتدى الى ورقة معينة ، فامسكها بيمناه البرصاء ،واعاد بقية الاوراق الى جيبه ، وقال بصوته الهادىء المنفر :

– اسمعوا .

وقف الجميع عن العمل ، وكفوا عن الحركة ، فصمتت المعاون والرفوش ، وقعدت الصفائح والقفف ، وتنفس «مسطرين»المعلم عايش الصعداء،وتذوبت العيون بين شفتى البكرى والورقة الممسك بها .

قال :

– ستنتهى خدمات بعضكم هذا اليوم ..

أحسسنا بالضباب يتكثف ، ويتكثف أمام أعيننا ، وبقيود صلبة فظيعة تحيط بصدورنا .

وأكمل :

– لا لشىء .. الا لأن مصلحة العمل تقتضى هذا ..

بقى الضباب والقيود تكتم أنفاسنا . أضاف :

– والآن..هذه اسماء المرفوضين .. وضعنا أيدينا على قلوبنا ، فى حين قال الرجل بتمهل وبطء :

– حمدى ..

فضرب هذا القفة المستكينة عند قدميه ، ووقف محاذاتنا .

– يوسف

واتجه بنفور وتقزز واضحين الى جانب زميله حمدى .

– فتحى ..

وشعرت بالضيق لرفض صديقى ، لكننى قلت فى نفسى : «بسيطة .. مادام الرفض بعيدا عنى » .

ــ عطية ..

وسار صديقى الآخرالى جانب زملائه؛ وهنا نطق باسمى ، فأحسست بالفضاء يضيق من حولى ، والارض تميد من تحت قدمى ، لكننى نفضت هذه الاحاسيس .. ؛ واتجهت بوجوم أخرس الى أصدقائى،ففركت يدى ببعضهما البعض، وأخرجت سيجارة من جيب قميصى ورحت أدخن . وبكل هدوء ووقار عفنين ، أعطى كلا منا عشرة قروش ، وقال :

ــ الله يعطيكم العافية ..

وحاول احد الزملاء أن يعترض،فأجاب الرجل بكل ثقة :

ــ مصلحة العمل فوق كل اعتبار ..

ورحنا نقطع الدرب الترابى القصير بأرجل تعبة كليلة ، والصمت ما يزال واقفا بيننا كالعملاق . ولما وصلنا الشارع العام ، وقف باص « المحطة » ، ونزل منه خمسة شباب بالبسة مهلهلة ، والتفت أحدهم الينا سائلا :

ــ أتعرفون ورشة البكرى ؟

فاجابهم عطية بتهكم مرير ، مشيرا الى المكان :

ــ أظن انها هناك .. عند السيارة السوداء .. وقهقه عطية بصوت مجلجل

ــ بعد أن ذهب الشبان ــ قائلا :

ــ لتحيا مصلحة العمل !!

ــ وأضاف قائلا لفتحى :

ــ فرط الزواج القريب يا أبو الفتوح .. هه .. !

فأجابه فتحى غامزا :

ــ ليكن ما يكون . وانت .. سخيف كيف سنعطى نوال بائعة الترمس قرشا كل يوم ؟

فتدخلت وقلت :

ــ ستشعر معه ولا شك ..

وهنا قطعه عطية بجد مفتعل :

ــ أتعرفون ؟ .. ان نوال من الطف ما رأيت فى حياتى من فتيات آ

فعلق زميلنا يوسف ، وهو ممسك بذراع حمدى :

ــ يبدو أنك عريق فى معاشرة النساء ..

ــ فقهقه ــ مرة أخرى ــ بجلجلة ، وقال :

ــ فعلا .. هو هذا

وصحت فجأة ، وقال بتنهد :

ــ ايه .. أيام ..

وهنا جاء الباص العائد الى « المخيم »، فركبنا به . لم تكن المسافة لتستغرق زمنا طويلا ، ففى الحادية عشرة والربع كنا فى « أكواخنا » ! .. وقد ألحت أمى على أن تعرف سببا لمجيئى المبكر،فرفضت الاجابة ، وصحت بها ، فسكتت ، ويبدو أنها فهمت كل شيء . ورحت فى نومة عميقة طويلة ، لم أصح منها الا عند ما جاء عطية يدعونى لقضاء السهرة معه عند فتحى .

بعد دقائق ، كنا نجلس فى ضوء قنديل شحيح .. ، واللحن القديم الحزين يخرج من أعماق صديقى فتحى ، ونحن نستمع اليه بصمت وخشوع تامين . حنجرته سكبت بالحزن ، وهى تقطر الما وجمالا . ولما توقف عن الغناء ليمسح دمعتين فى عينيه، نظر كل واحد منا فى عيون صديقيه نظرة طويلة متفائلة ، وكأننا نقول : لابد للحن الحزين أن ينتهى .

فخرى قعوار
الاردن

خلود فى الوطن

• بقلم : إبراهيم المصرى



فاشرق وجه الشاب وخيل اليه انه سيتغلب عليها ويقنعها . فاحتقرته أيضا لسذاجته وهى تحس برغم احتقارها انها ماتزال تحبه بل تعشقه . ولكنه لم يفهمها . لم يستشعر العواطف الثائرة التى كانت تجيش فى صدرها . فاراد ان يعانقها . فلم تتمنع وعانقته . فزهاه الفرح واعماه ، واراد ان يقبلها أيضا . ولكنها ردته عنها فى رفق قاطع ، ثم انصرف مسرعا وهى تشيعه بنظرة ثابتة ملؤها الألم والحزن والحسرة .

وكان الكاهن الاعظم قد انطلق فى صحبة صفار الكهنة الى الرحبة المجاورة للهيكل والمعدة لنحر الذبائح . فاجالت هستيا الطرف حولها . فلم تبصر غير والدها جاثيا عند قدمى تمثال الآلهة ، مستغرقا فى تلاوة صلاة الشكر الجامعة .



فاستغربت منه كيف يستطيع ان يصلى وفى نفســه ارادة الخيـانة والغدر . واهاجها ما كان يبدو عليه من خشوع صادق واطمئنان عجيب . فازداد سخطها لنفاقه وقدرته الخارقة على المداراة والتمويه . وفى مثل لمح الطرف تصورت نشوب الثورة ، وهزيمة الجيش ، ودخول الفرس بلادها غزاة فاتحين . فضمت شفتيها فى بغض وحنق ، وهالها ان يقع كل هذا بفعل رجل هو والدها ، كما هالها ماينتظرها على يده من عار لم تكن لتتصور لحظة ان شبهة منه قد تلحق بها . فلبثت واقفة تنظر الى الرجل وترتجف ...

وتغلغل سكون المعبد فى اطواء نفسها ، وأسلمها بجمع عواطفها الى الفكرة المستبدة التى ملكتها . فابتهجت بوحدتها ، واحست الأمن يغريها ويدفعها ، ويوسوس لها الا تضيع هذه الفرصة الفريدة التى حباها القدر بها .

وتقدمت بضع خطوات وهى لا تدرى على وجه التحقيق ماذا يجب عليها ان تفعل . واذ ذاك وقع بصرها على تمثال الآلهة ، فتفرست فيه ، ولبثت فترة شاخصة اليه ، تبتهل وتتضرع وتلتمس ان يهبط الوحى عليها .

وغابت عن صوابها لحظات ، وشعرت كأنها تتحلل من كل اثر جثمانى وكأن روحها تندمج فى روح الآلهة وتفنى فيها . فعاودت التضرع والابتهال ثم دبت فيها الحياة فجأة . فتألقت عيناها ، وتحرك بدنها على دهش منها ، ومشـت كما يمشى النائم ، متجهة صوب حجرة النـذور ، تدفعها وتحرسها قوة مجهولة لا قبل لها بمقاومتها .

وجعلت تنقل بصرها فى انحاء الحجرة ، ونداء الآلهة يتبعها ، وصداه يرن فى اذنها ويفعم قلبها ايمانا وحرارة وعزما .

وكانت الحجرة مليئة بقلائد ذهبية وأساور واقراط واهلة من فضة وذهب ، وسيوف وخناجر مرصعة المقابض بالاحجار الكريمة ، وكلها نذور جمعت فى هذا المكان وقدمها الشعب اعترافا بفضل الآلهة وتمجيدا لمعجزاتها . فرفعت هستيا ذراعها واختطفت احد الخناجر ، ثم مرقت من الحجرة وتوقفت لحظة واصفت . فدوت حولها صرخات الذبائح منبعثة من الرحبة المجاورة . فأيقنت ان الكاهن الاعظم مايزال هناك . فاطمأنت ، ومشت مرفوعة بنفس القوة ونفس العزم ونفس الايمان ...

ولمادنت من الهيكل ، خلعت نعليها ، وسارت على اطراف قدميها ، وهى ما تفتأ تحدق الى حركات والدها وترقبها . وعندما الفته امامها جاثيا يصلى ، محنى الرأس ، محدودب الظهر ، بارز العنق ، اغراها سكونه وعجزه ، فحبست انفاســها جهدها ، وأهابت بعزمها الحاقد ، ورفعت ذراعها والخنجر مشــهر فى يدها ... وفى تلك اللحظة ... وقبل ان تتئد هستيا وتفكر وتتخير المقتل الذى يجب ان تسدد اليه طعنتها ، كان الكاهن الاعظم قد لمحها وهو فى رحبة الذبائح . فقفز اليها صارخا . فجفلت الفتاة وطعنت . ولكنها لم تستطع ان تصيب والدها الا فى كتفه . فأطبق عليها الكاهن الاعظم ، وانتزع الخنجر من يدها . ثم اسرع واوصد باب الرحبة ، وكر راجعا الى الفتاة وهو يصرخ ثائرا مستهولا :

ـ انت ؟ ... انت ياهستيا ، تريدين قتل والدك ؟ ...

فصاحت الفتاة :

ـ لقد خان عهده لوطنه . وانت ، انت أيضا خنت ، ، وكذلك رئيس الشرطة وصفوة الوجوه والاعيان فى هذا البلد . كلكم وصـوليون ، كلكم نفعيون وطلاب مصالح . الدم الحر فى الصفوة المختـارة من رجال اليونان قد نضب . والعصـارة الطاهرة فى قلوبهم قد جفت . فكيف نصبر نحن الشعب عليكم ، وكيف لا نحاول التخلص منكم قبل أن توردوا الوطن مورد الهلاك ؟ ...

انظر ... أنظر الى هذا المنشور الذى دسه فى يدى أحد المصلين ...

أليس هو من صـنع أيديكم ؟ ... أليست هذه أختـامكم ؟ ... ألستم انتم الذين تحرضون الشعب على الجيش وزعيمه وتطلبون عقد الصلح مع العدو ولو استحال أبناء اليونان الى رهط ممزق من الســائمة والعبيـد ! ... اقرأ ... واحجب وجهك عنى ، فقـد كنت أيضا خليقا بطعنة ابلغ واعمق من تلك التى اردت انا اسددها الى عنق والدى ! ...

واستردت أنفاسها وهمت بأن تتحول نحو أبيها الذى كان يبتسـم ابتسامته الغامضة والدم ينزف منه . ولكن الكاهن الاعظم اسرع وغمس منديله فى حوض الماء المقدس المجاور لتمثال الآلهة ، ثم ضمد جرح الكاهن الاول ، ثم ارتمى على هستيا ، وامسك بها ، وطفق يهزها هزا عنيفا ، ويقول :

– أيتها الفتاة الطائشة ، أيتها الفتاة الغريرة ، كان عليك أن تستفسرى قبل أن تتهورى . كان عليك ان تتثبتى قبل ان تضربى . ان والدك ياهستيا أشرف واطهر انسان . أما أنا حارس معبد الآلهة بالاس ، والكاهن الأعظم فى هيكلها المقدس ، فقتطيع بدنى أربا ، أو حرقى بالنار ، أو موتى على خشب التعذيب ، احب الى من خيانة وطنى ولو وعدت بملك الدنيا ! ... نحن الذين أردنا ذلك ... نحن الذين دبرنا المكيدة ... والدك وانا ورئيس الشرطة حالفنا المتآمرين عن عمد ، وشاركناهم فى توقيع منشور الخيانة ، واردنا ان نكون عيونا للوطن عليهم ، وجواسيس للزعيم عندهم ، كى نكشف عن خططهم ونحبطها وننقذ الجيش والزعيم فى معركة الاستقلال الفاصلة ! ... واذا كنت فى شك من ذلك فانظرى ... تعالى وانظرى ... اقتربى هذا هو البرهان ... هذا ما أمر به والدك اليوم بعد ان اجتمع فى بيته بالمتآمرين ، وهذا مانفذه على الفور رئيس الشرطة ... أنظرى واسمعى ...

واتجه الكاهن الاعظم الى أحد الابواب الجانبية وفتحها . فابصرت هستيا شبه غمامة كثيفة ، ثم رأت الغمامة تقترب ثم ابصرت ضبابها يتمزق ويسفر عن جماهير غفيرة تدفقت نحو ساحة الهيكل الخارجية ، وطفقت تلوح بأذرعها ، وتهدد بقبضاتها ، وتهتف :

– الموت لاكتيون !... نريد رأس اكتيون ! ... الموت للخونة ! ...

واوصد الكاهن الاعظم الباب ، وتحول الى الفتاة وقال :

– لقد اخذناهم فى الفخ نفسه الذى نصبوه لنا . القينا القبض عليهم جميعا ، ماخلا اثنين ... اثنين فقط .. اثنين من اخبثهم واخطرهم . امهلنا الاول فترة كى نطمئنه ونستدرجه ، ونعرف منه المكان الذى لجأ اليه الثانى فنباغته وهو فى جحره ، ثم نقتص من الرجلين معا ...

فجحظت عينا هستيا دهشة مما رأت ونشوة بما سمعت وذعرا لما أقدمت عليه . فارتمت عند قدمى والدها وصاحت :

– غفرانك ياابت الطاهر العظيم ... اقتلنى ... انى لاستحق الموت من يدك جزاء وفاقا على تهورى وطيشى .

فهتف الوالد المطعون :

– بل تستحقين الحياة ... العاطفة الوطنية هى التى دفعتك . والعاطفة تصبح الزم للوطن من العقل ، عندما يكون الوطن بين الموت والحياة ... لقد كنت مؤمنة بخيانتى ، وكانت القرينة واضحة ضدى ، فكان لزاما عليك ان تنكرى البنوة وتفكرى فى الواجب . انى لفخور بك ياهستيا . ولكنى اتمنى ان تعودى فتغمدى خنجرك حقا فى عنقى لو رأيتك ناكصة على اعقابك ، ومتهاونة ولو لحظة فى تأدية واجب وطنى آخر اقسى وافجع من قتلى ! ...

فتفرست فيه الفتاة وقالت :

– لا افهمك ... مرنى بما تريد . حياتى فداء للوطن ولك .

فلم يتكلم الوالد . بل انحنى الكاهن الاعظم على الفتاة وصاح :

— جاءنى رسول من قبل قائدنا وزعيمنا ملتيادس وانبأنى أن خطيبك ... حبيبك ... كرونوس ... رئيس فرقة الفرسان فى الجيش المقاتل ، فر من الجيش ... اتفهمين ؟ ... فر من الجيش حاملا بعض مستندات وخرائط سرية خطيرة متعلقة بالخطة التى رسمها قائدنا لمعركة الاستقلال الحاسمة .. فر من ساحة الحرب ، ثم هبط هذه المدينة ، ثم اتصل ولا ريب بشقيقه الخائن بلوتون حارس صوامع الغلال والذى كان منذ أيام عضوا عاملا فى عصبة المتآمرين ثم تخلى عنهم ليضللنا ... نعم ، اتصل كرونوس بشقيقه . أسرع لانقاذه قبل ان نقبض نحن عليه . واتفق كلاهما ولا شك على أن يغافلا حرس الحدود ، او يرشواهم بالمال ، ثم ينسلا من المدينة تحت جنح الظلام ، وينطلقا الى معسكر الفرس فيسلما العدو اسرار جيشنا ! ... هذا هو خطيبك ياهستيا ، وغد جبان ، مهتوك الشرف العسكرى وخائن ، بل هو شر علينا من افتك الخونة والمتآمرين . ولقد اعيا رجالنا البحث عن شقيقه الذى اختفى . فأمرت انا الشرطة بتعقبه هو وتفتيش بيته دون ان يقبضوا الآن عليه . ولكنهم بعد أن استجوبوه وفتشوا منزله ، لم يوفقوا لا الى العثور على المستندات الخطيرة التى سرقها ولا الى معرفة المكمن الذى يختفى فيه شقيقه ... واليوم .. بل منذ لحظات ابصروه وهو وكرونوس . يدخل بيتك ... بيتك انت يا هستيا ... فأسرع احدهم منذ دقائق وانهى الى النبأ . فأمرتهم بأن يحاصروا بيتك عن بعد . وكنت على وشك أن أصارح بالأمر والدك كى يسرع فيلحق بك قبل أن تبلغى البيت ، تنفيذا لخطة وضعتها انالتوى والقيت عبء تنفيذها على عاتقك ... فكرونوس ينتظرك الآن فى دارك . ومن المحال أن تكون المستندات السرية معه . انها ولا ريب فى حوزة اخيه. أما هو فأكبر الظن انه لم يذهب اليك الا ليقنعك بالفرار معه . فالواجب الذى أطالبك به اليوم ياهستيا ، واجبك العظيم ، واجبك المقدس حقا ، واجبك المرهون بتأديته انتصار جيشنا ، هو أن تتفوقى على نفسك ، وتقهرى حبك وقلبك ، وترحبى بمقدم الشاب وتجرديه من سلاحه ان استطعت، ثم تستدرجيه بالمكر والحيلة ووهم العاطفة والاغراء ، كى تعرفى أين يختبىء شقيقه الخائن بلوتون اذ نحن لو قبضنا على كرونوس ، وحتى لو عذبناه ، فهو لن يعترف . لن يضحى أبدا بأخيه الذى يعتبره بمثابة والد له. ولو تركناه طليقا ثم راقبناه ايضا ، فلابد أن يشعر بعد أن فشلت ثورة المتآمرين انه هو وشقيقه فى خطر، فيخدعنا عامدا ويضللنا ويسلك بنا سبلا ملتوية وزائفة كى يتيح لنفسه أو لأخيه فرصة الفرار من المدينة وحمل اسرارنا الى معسكر الفرس . واذن فنحن نريد ان نعرف المخبأ الذى يكمن فيه بلوتون ، نريد ان نعرفه من كرونوس نفسه وبمحض اختياره ، وان كنا مع ذلك قد امرنا رجالنا زيادة فى الحيطة والحذر بأن ينتشروا عند الحدود ويراقبوا كل مسافر متسلل ... فالساعة فاصلة ياهستيا ، ومصير جيشنا فى يدك ، وانت وحدك التى فى مقدورك ان تنتزعى السر من صدر كرونوس ، على ان توطنى نفسك يابنيتى على التضحية بخطيبك وحبيبك لانه هو ايضا يجب ان يعاقب ، وهو ايضا يجب ان يلقى مصير الخونة والمتآمرين !

فوجمت هستيا فترة ثم ذكرت ماقاله لها كرونوس واقشعر بدنها .

ادركت انه كان يخاتل وينافق ويحتال عليها . ادركت انه لم يحجم عن قتل والدها حبا فيها بل اعتقادا منه ان والدها كان مثله مارقا وخائنا . أدركت انه لم يفكر فى ترك جيشـــه وبلاده من اجلها هى وحدها بل من اجل مصلحته أيضا . من اجل مطامعه ، من اجل منصب كبير كان يثق ولا ريب انه سيظفر به من حكومة الخونة بعد أن يكون الجيش قد انهزم على يده ويد شقيقه ... واذن فهو قد اراد ان يظفر بكل شيء على انقاض وطنه : المرأة والمنصب ، الجسد والمـال ، شـهوة البدن وشهوة الدنيا ! ... نعم . هذا ما اراده كرونوس هذا ما اراد ان تعاونه عليه هستيا . بل هذا ما كان يستره خلف قنـاع الحب كي تنخدع به الفتـاة الساذجة وتنساق اليه ! ..

وارتعدت فرائصها ، وغشيتها موجة طاغية من الحنق والكره والحقد . كانت عندما صرفت حبيبها من المعبد لم تزل تحبه ، ولم تزل مبقية عليه برغم ثورتها على ضعفه واحتقارها له . كانت تريد ان تخلو به فى بيتهـا كى توقظ ضميره ، وتســتنهض كرامته ، وتلهب وطنيته ، وترده الى سـاحة القتال مرفوعة الرأس بهوهو ماض فى تأدية واجبه . اما الآن وقد وضحت الخيانة المروعة ، ووضح الخبث المحكم ، والفرض المتأصل المكين فقد تحجر قلب هستيا ، وغاضت عواطفها ، ولم تعد باقية فى عقلها الذى التهم كيانها غير فكرة ثابتة واحدة هى الثار لبلادها ولو على أشلاء حبها التاعس وأملها المخيب المنكود .

ورأت من العبث ان تصارح بانها قد التقت بكرونوس فى المعبد منذ قليل . فاكتفت بأن نهضت واتجهت من فورها صوب تمثال الالهة ، وجثت عند قاعدته ، ورفعت ذراعها وقالت :

– اقسم بالالهة بالاس فى يوم عيـدها ان البى نداء كاهنها الاعظم ، وانهض بالواجب المقدس المفروض على نحو وطنى !

فعانقها الكاهن الاعظم وباركها ، واحتضنها والدها وقبلها . فتأبطت ذراعه وخرجت به من المعبد ، ملتمعة العينين ، متقدة الوجنتين ، راسخة الخطى ، يرتسم على جبينها المقطب الصارم عزم امراة فذة عجيبة ، تجردت من انوثتها ، واستحالت الى قوة مرهوبة للعدل والثار والعقا ب

وكانت الجماهير ماتزال تهتف فى الميـدان المحيط بالمعبد وتطلب الموت للخونة المتآمرين . وكان الفيلسوف شالكاس واقفا مع صديقه اوريون على مقعد كبير من حجر فى طرف من أطراف الميدان ، وحولهما رهط من الفنـــانين والأدباء وخادمات الهيكل ، يتبارون جميعا فى اثارة روح الكفاح والصبر فى نفوس الجماهير ، بالقاء الخطب الحماسية ، أو القصائد الوطنية ، أو الاناشيد التى تمجد القائد الزعيم ماتيادس ، أو الازجال التى تحقر وتهزىء الشاعر الخائن اكتيون ، وهى تستنزل لعنة الآلهة عليه وعلى صحبه المارقين . وكان اوريون الدميم يخطب هو أيضا .

وكانت حماسته الصادقة تخلع على وجهه المشوه حلة رائعة من جمال . ولكنه كان حزينا ، لايكاد يصمت حتى يفكر فى حظه ويفكر فى حبيبته ، فيتمنى لو انه لم يكن ضعيفا وعليلا كى يسرع الى ميدان القتال ويموت فيظفر بالنعمتين العظيمتين . تقدير الوطن واعجاب هستيا .

وبرزت الفتاة على درج المعبد . فقفز قلب أوريون بين ضلوعه ، وخف اليها . فلوحت له ولأستاذها بأطراف أناملها . فأسرع شالكاس وحيا رفاقه واتجه نحوها . فناولته ذراعها اليسرى فتأبطها . ومشى الثلاثة واويون يتبع هستيا كظلها ، ويتنسم فى بهجة عبير وجودها ، محاذرا أن تقع عينيها عليه فينقبض قلبها فتلوى بوجهها عنه ...

ولم تتردد الفتاة وشرعت تقص على استاذها كل شيء . كل ما اقدمت هى عليه ، وكل ماقاله الكاهن الأعظم عهد اليها به ، دون أن تذكر لقاءها بكرونوس فى المعبد خشية أن يلومها الفيلسوف على ترفقها بحبيبها وأملها فى ايقاظ ضميره والهاب وطنه بعد أن رآه يتبدل ويوشك أن ينحرف عن السبيل السوى .

وكان اوريون يسمع وهو يرتعش . اثلجت صدره خيانة غريمه وانحطاطه فى نظر الفتاة . ولكنه كبح ثورته على كرونوس ولم يتكلم حرصا على كرامة هستيا . اما الفيلسوف فظل مصغيا للحديث فى هدوء المفكر المتأمل ، ثم تطلع الى الفتاة ، وابرقت عيناه وقال :

ــ هذه ساعة مجدك يابنتى . لن تكونى جديرة بالانتساب الى امتك ياهستيا، اذا انت احجمت ولو لحظة عن تأدية واجبك . فاحذرى وتنبهى . انك مهما قلت انك تبغضين الآن كرونوس ، فقلبك كان يحبه وروحك كانت اخت روحه ، ومستقبلك كله كان معقودا عليه . فاحذرى الضعف ساعة الحساب ياهستيا . ان الانسان قد يكره دون أن يعلم انه على قدر كرهه يحب . فالكره يخفى الحب فى معظم الاحيان يابنيتى . ومتى اراد الكره ان يعاقب ويضرب فقد يثور الحب فى النفس فجأة ، وتحل الشفقة العميقة محل الكراهية الغامرة . فاياك ان يغدر بك الحب فتشفقى على كرونوس . اية قيمة لحبنا اذا هو لم يرتفع بنا الى عالم افضل واسمى وأبقى منا . فأنت ان غلبت واجبك على حبك ، وعاقبت المذنب دون رحمة ، جاوز حبك نفسه محيط ذاتك الفانية . وسما بك الى حب أروع وأعلى هو حبك لوطنك الباقى وبلادك الخالدة . فانقلى الحب من الانانية الى التضحية ، من أرض الناس الى سماء الآلهة ، من فناء ترابك الجسدى الى خلود وطنك الغالى فى اصلابه المتعاقبة . ومتى ضحيت بحبك ، وخنقت عامدة قلبك ، وآثرت خلود وطنك على دوام متعتك وسعادتك ، خلدت انت نفسك فى نظر ذاتك ، وفى ذكرى أهلك وعشيرتك ، وفى عزة وطنك الذى لن ينسى انه كان على وشك ان يموت فقدر له ان يجد الخلاص على يدك ! ... فتقدمى ولا تجزعى . اضربى ولا تشفقى . هذه كلمتى اليك ياهستيا ، فاذكريها ، وضعيها نصب عينك وانت تحاسبين الخائن المجرم الشقى ! .



وصمت الفيلسوف وهو يلهث . فضمت هستيا ذراعه الى قلبها وصاحت :

ـ لم اعد الآن أنثى . لقد مات حبى وبقى حقدى ، والحقد اقوى من اية عاطفة رخيصة يمكن ان تغلبنى . فادخلوا انتم هنا . في الجناح الايمن من بيتنا . والبثوا هناك حتى أدعوكم . ولسوف أبدل أنا جوهر طبيعتى حتى انكرها ، وامعن فى خلق ذاتى خلقا جديدا عجيبا ، حتى أنفذ الى أعماق نفس كرونوس ، وأنتزع سره ، وانقذ وطنى .

ودخل الثلاثة مسرعين . اما هستيا فقد توقفت لحظة ، وتنفست طويلا ، ثم استجمعت قواها ودخلت الجناح الايسر ، حيث كان ينظرها كرونوس .

ولكنها ما ان نحت ستار الحجرة قليلا ولمحت الشاب جالسا على مقعد ومعتمدا رأسه بيده ، حتى تملكها ذلك الانفعال العنيف الذى توقعه استاذها . تخاذلت وتراجعت واشفقت . وثب حبها فى صدرها وارجف قلبها رجفانا كاد يخنقها . لم تستطع أن تتصور ان ستكون هى السبب فى المصير الفاجع الذى

ينتظر حبيبها . نعم . لقد ثارت عليه فى المعبد واحتقرته لضعفه . ولكنها اعتبرته خائنا بالفكر فقط وكان فى عزمها ان تؤنبه وتراجعه وتهديه . اما الآن فهو خائن بالفكر والفعل ، بالنية والعمل . ويجب أن تحاسبه . يجب أن تعاقبه . يجب أن تقتله بيدها هى ، بيدها التى لم تكن تتمنى اكثر من ان تضمه وترعاه وتخدمه الحياة بطولها .

وغشى الدم عينيها ، واشتد خفقان قلبها ، واوشكت الشفقة الغادرة ان تستبد بها وتقهرها . فتلفتت حولها شبه مخبولة ، وذكرت كلمات أستاذها ، وتصلبت ... تصلبت جاهدة وامسكت بقلبها ، تهصره بيدها هصرا كأنها تريد ان تنتزع من شغافه كل حبها وكل حنانها . ولما الفت نفسها ماتزال محجمة ، وماتزال مستخذية وخائرة ، ذكرت شيئا آخر ايقظها والهبها . ذكرت انها كانت ستقتل والدها نفسه فى سبيل بلادها . فكبر عليها أن تضحى بالوالد وتشفق على الحبيب ، أن تقسو على الأصيل وترغم الفريب . فضمت قبضتيها ، وعضت بأسنانها على طرف ثوبها الابيض الذى باركه ملمس الآلهة المقدسة منذ لحظات ، ثم استغفرت الآلهة واستنجدت بها ، ثم رفعت رأسها فى شموخ ، وجذبت ستار الحجرة فى عنف ، ودخلت على كرونوس امراة مستبسلة جديدة ،دهشت هى نفسها من حلولها الطارىء فيها ، ومن قوتها التى لم تكن تحلم ابدا بها .

وما ان ابصرها الشاب حتى فتح ذراعيه واقبل عليها . فارتمت فى حضنه ، وعانقته فى حرارة ، وقبلته فى نشوة ، ثم صاحت به وهى تضمه الى صدرها ضما عنيفا ، وتحاول بكل ما أوتيت من دهاء الأنثى وفتنتها ان ان تصب فى عروقه سحرا يختم على بصره ، ويخضع ارادته ، ويقهر وساوسه ويخنقها :

ــ الم يبلغك النبأ ؟ ...

فتطلع اليها ثابتا وقال :

ــ ومنذ الذى يجهله ... أنهم ألقوا القبض على الشاعر أكتيون وأنصاره . ولقد سمعت الجماهير من هنا تطالب بموته . واكبر ظنى انهم لابد ان يقبضوا أيضا على والدك ياهستيا وعلى الكاهن الاعظم ورئيس الشرطة وجميع من وقعوا المنشور ...

فصرخت الفتاة :

ــ لم يبق لى غيرك ... الجميع فى السجن يرسفون فى الاغلال ! .. والدى واصحابه ... ولكنهم ليسوا وحدهم الخونة . أنت جاهل ياكرونوس بما هو ادهى واعظم ... الحاكم نفسه خائن ... حاكم المدينة هو أكبر عملاء الفرس ... اتدرى ماذا فعل ؟ ... لقد اصدر امره أيضا باعتقال ابن عمى واربعة من رفاقه ... ابن عمى العالم الفلكى الشهير الذى كان يعيش فى صومعته منقطعا لعلمه وبعيدا عن الدنيا ...

فارتجف كرونوس وقال :

ــ حتى هو ؟! ...

فصاحت هستيا مستنكرة :

ـ أذلك الرجل العبقرى المشهود له بالنزاهة والاستقامة وصدق الوطنية ، يمكن ان يكون خائنا ؟! ... لا ... لقد قبض عليه الحاكم واعتقل أيضا رفاقه لانهم كانوا مخلصين واوفياء لقائد الجيش زعيمنا ... ان فى الامر لتدبيرا شائنا ياكرونوس ... ان فى الامر لطمعا مروعا فى الاسلاب والغنائم بعد الهزيمة ... ولقد بات حاكمنا يعتقد أن هزيمة جيشنا محتومة فأراد أن يقضى على المتآمرين والمخلصين معا كى يصبح هو وحده صاحب الكلمة النافذة فينا . فيستطيع ان

يحالف العدو المنتصر ، وان يفوز هو واعوانه بحكم البلاد تحت حماية الغاصب المحتل ... نعم . الحاكم واعوانه هم طليعة الخونة ، وهم طليعة الوصوليين ، وهم الذين يستخدمون سلطانهم للقضاء على كل من ينافسهم ويعارضهم ، بغية القضاء على جيشنا وعقد الصلح مع العدو ... فاذا كان ذلك العالم النبيل خائنا ورفاقه الاشراف ايضا خونة ، والحاكم واتباعه هم وحدهم الابرار ، فقل العفاء على جيشنا ، وقل السلام فى هذا البلد على كل جهد يبذل من أجل الحرية والخلاص .

والتقطت انفاسها واستطردت وعيناها تتوهجان كأنما قد تلبستها قوة علوية تلهمها دورها الهام :

ـ أنا لا أتألم ولا أتمرد لأن والدى الآن طريح السجن . يجب أن يلقى جزاءه . ولكنى أقول كيف يقبض على والدى ثمن يكون الذين قبضوا عليه هم خونة مثله ، ابلغ منه خيانة واوقع غدرا ؟! ... هذا ما يثيرنى عليهم . وأن ثورتى لتملأ كيانى ، وتغلى كالمرجل المستعر فى دمى .. ولكن ما حيلتى ؟ ماذا فى طاقتى أنا المسكينة ان أفعل ؟ أنا ثائرة ويائسة وكذلك استاذى واوريون . كلنا ساخط ، وكلنا ناقم ، وكلنا عاجز . فكيف يطلب منا ونحن افراد ان نكون اكثر وطنية من حكامنا ؟ ... كيف يطلب منا ان نبذل ونضحى بينما القدوة التى تهبط الينا من أعلى تعلمنا الانانية ، وتغرينا بالمصلحة ، وتدفعنا الى الاستسلام ؟ ... لا ... أنا لن أضحى بشخصى الا اذا رأيت مثل التضحية حيا نابضا فيمن هم اعظم منى . وماداموا هم قد خانوا ، فانا اتحلل من كل رابطة وكل قيد ، ولا أفكر الا فى نفسى ومصلحتى ...

فهتف كرونوس وهو ذاهل :

ـ الم أقل لك ؟ ... بأى حق نموت نحن ويعيشون هم على انقاضنا فى بحبوحة ورخاء ؟ ... ان حبى هو الحقيقة الواحدة التى اعرفها ، وهو المبدأ الفرد الذى أصبحت أعيش من أجله وأومن به ! ... لن أكون مطية للوصوليين ! ... لن اخدع بهم ! ... لن ادعهم يتخذوننى اداة لاطماعهم ثم يلقون بى جثة هامدة يرقصون على أشلائها مقهقهين . ان قوتى فى أن التهمهم قبل ان يلتهمونى ، وأن



أعيش واحب واسعد قبل ان يقضوا القضاء المبرم على ... يجب ان ارحل . فاذا كنت حقا تحبينني يا هستيا فاتبعيني ...

فلمعت عينا الفتاة ، وارتمت عليه ، ثم انسكبت فى لهفة بين أحضانه ، وانكمشت وتكورت كالهرة المستأنسة المولعة بالملاطفة والدعاب ، وقالت فجأة وهى تتأرجح على ركبتيه وتقبله :

ـ والى أين ستأخذنى ؟ ...

فقال وقد اشرق محياه :

ـ الى أية جزيرة نائية فى البحر المتوسط ، الى أية بقعة من الأرض يمكن ان تكون وطن الحب والحرية والنعيم الدائم الابدى .

فقالت هستيا وهى تحملق فيه وتبتسم فى دهشة كالاطفال :

ـ ومن اين لك المال ؟ ... ما أظنك قد جمعت ثروة وانت فى ساحة الحرب ؟ ...

فرماها بنظرة فاحصة ، واضطرب بالرغم منه ، ومرت على وجهه المحتقن سحابة من ريبة ... ولكن الفتاة عاجلته بضحكة ساذجة ناضرة ، وتعلقت بعنقه وصاحت :

ـ اية قيمة للمال مادام هناك حب . الحب نفسه ثروة تكسو وجه الفقر طبقة من ذهب . وسواء اضمن بك الحب فى قصر أم فى كوخ ، فأنت الذى أنشد ، أنت أملى وحلمى ، ومن قلبك وحده تنبع سعادتى لا من الجدران والأحجار !

فطرب الشاب ولم تعد تسعه الدنيا ، وردد :

ـ اذن فاتبعيني !

فقالت في صوت جهير يتقد حبا ومغامرة وعزما :

ـ سأرحل معك !

فجثا عند قدميها ، وطوقهما بذراعيه ، وطفق يقبلهما كمعتوه . اختلج بدنه ثقة وعزة ونصرا ، وتحدرت على وجنته دمعة فرح ، وتمثلت فيه صورة انســان كان يطلب المستحيل فدان له المستحيل واذهله وروعه وسحقه .

ونظرت اليه الفتاة وهالها مرآه . هالها ان يحبها على هذه الصورة . هالها يبكي من فرط عشقه لها فتفدر هي به عامدة وتطعنه . فعاودها الحنـان ، وعاودتها الشفقة . فمزقت قلبها ، بل قطعت احشاءها ، وكادت ان تعصف بها وتعميها عن رؤية واجبها . ولكنها تراجعت وتماسكت . تصلبت جهدها كما فعلت منذ لحظة . ثم تصورت والدها يلعنها ، واستاذها يلفظها ، واوريون يزدريها ، والكاهن الاعظم يصب جام سخطه عليها ويحرمها من دخول المعبد ويعلن في الملأ انها مارقة وخائنة . فجن جنونها ، وعز عليها مصيرها ومصير وطنها . ففرست اظافرها في راحتيها ، وقالت صارخة :

ـ وأين نلتقي ؟ ... ومتى ؟ ...

فهمس كرونوس وهو يزفر :

ـ الليلة ... يجب ان نرحل الليلة ... وسأكون في انتظارك بعد منتصف الليل ، عند سفح الهضبة الكبيرة القائمة خلف مساكن الشعب البعيدة عن قلب المدينة ومشارف المعبد ... لقد أعددت عدتي ...

فانتفضت الفتاة واحست ان الساعة المرتقبة المرهوبة قد دنت . فأهابت بكل ما فيها من شجاعة وصلابة ، واسرعت وقالت قبل ان تشفق مـرة اخرى وتنهزم :

ـ وشقيقك ؟ ... بلوتون ... ذلك الرجل الطيب الكريم الذي رباك بعد وفاة والدك ، وعلمك وثقفك ، ولم يشأ أن يتزوج خشية ان تستبد امرأته بك... انتركه هنا ؟ ... أندعه فريسة للحاكم ؟ ... سيعتقد الحاكم الخائن أنك فررت لتلحق بالجيش ، وانك ستعلن عن خيانته ، وتفضح خططه عند القائد الزعيم . فيقتل شقيقك انتقاما منك ! ... افيهون عليك ان تسلم انت ويموت الرجل الذي هو بضعة من لحمك ودمك ؟ ... لا ... انا لا اقبل . لا اقبل هذا ابدا !

فصاح كرونوس وقد راعه اخلاص الفتاة وضاعف حبه تأججا واشتعالا :

ـ بلوتون سيرحل معنا ! فلم تمهله وقالت وبدنها يكاد ينخلع :

ـ ولـكن أين هو الآن ؟ ... ألم تقل انه يختفي في مخبأ عينته أنت له ؟ ... فارشدني الى ذلك المخبأ وابتعد ... لا تظهر ... الحاكم لا يمكن ان يغفل عنك وانت الوطني المخلص ورئيس فرقة الفرسان . وهو كما قلت لك لا بد ان يتعقبك ويقبض عليك خشية ان تلحق بفرقتك وتفضـــح تدبيره عند القائد ... فما الذي يضطرك للظهور والاستهداف للخطر ؟ ... اهو المال الذي جمعته والذي نحن في

حاجة اليه ؟ ... لا ريب انك اودعته عند اخيك . سأجيئك انا به . فابق هنا ولا تخرج . انى خائفة عليك . الحاكم لن يفكر أبدا فى اقتحام بيتى بعد ان اعتقل والدى ... فدعنى أذهب الى المخبأ ... سأتصل بأخيك تحت جنح الظلام ، واصطحبه معى الى سفح الهضبة الكبيرة حيث تلحق بنا انت . وهكذا نفر جميعا وننجو ... فقل لى أين يختبىء بلوتون ؟ ... تكلم . وثق فى حنكتى وذكائى ، واعتمد بعد الآلهة على ! ...

وتراجعت كمن يتحفز لعمل جرىء هو خليق به ، ووقفت مرفوعة الرأس شامخة ومتأهبة . فبهره صدقها ، وفيض حماستها وغيرتها ونبلها . فا ندفع اليها شاردا مفتونا ، وضمها الى صدره كمن يضم كنزا وقال وهو يغمر وجهها بالقبلات :

ــ فى الكهف ... فى كهف المجذومين ! ... هناك خبأت شقيقى ، فى ذلك الكهف الذى كان يطرح فيه مرضى الجذام قبل أن تنشىء الحكومة مستعمرة لهم ... الكهف على بعد ساعة من هنا . ولكن كيف يمكنك انت الذهاب الى هناك ، واجتياز الطريق فى الليل بدون رفيق ؟ ...

فقالت هستيا وهى ترتعد :

ــ اذن فالمخبأ هو كهف المجذومين ؟! ...

وتقلصت عضلات وجهها تقلصا مخيفا ، وتلوث فى تشنج والم كظيم ، كان قوة تعتصرها اعتصارا وتستنزف آخر نقطة من دمها . ولم تشأ ان تنظر الى كرونوس ، فأغمضت عينيها ... أغمضت عينيها كى لا تراه فى هذه اللحظة الرهيبة ولا تنجذب اليه ولا تدع قلبها يتأثر ويتحول ولو بمسكة من الشفقة عليه . وقبل ان يوجس ويتنبه ويستفيق ، غافلته وهو ساهم ، واستصرخت فى عمق نفسها معبودتها الجبارة بالاس ، ثم انحنت على الشاب ، واختطفت منه خنجره ، ودسته فى صدارها ، ثم انطلقت نحو باب الحجرة ورفعت ستاره ، وصاحت فى صوت غائر مخبل متحشرج مخنوق :

ــ تعالوا ... ادخلوا ... لقد اعترف ! .. ان شقيقه الذى يحمل اسرار جيشنا يكمن الآن فى كهف المجذومين ! واندفع الى الحجرة والدها واستاذها واوديون ونفر من رجال الشرطة الذين كانوا قد حاصروا البيت . وما ان ابصرهم كرونوس وشاهد والد هستيا حرا طليقا ، حتى تراجع مصعوقا وجمد . اندلعت عيناه ، وارتجفت شفتاه ، ورمى الفتاة بنظرة من نار ، وظل يحدق اليها منهوم الفم ، مستشيط العين ، ممسوخ القسمات ، اشبه بوحش وقع بغتة فى فخ ضيق المنافذ عالى السدود ، فهو يود ان يعض وينهش ويثأر فلا يستطيع ... ووضحت أمامه المكيدة المحكمة التى دبرتها له المرأة الوحيدة التى أحبها . أدرك لفوره أن قصة الحاكم كانت كلها محض اختلاق . ادرك ان والد الفتاة ورئيس الشرطة كانوا جميعا جواسيس للحاكم والقائد عليه هو وعلى بقية المتآمرين .

فتاه عقله ، وايقن من موت شقيقه وموته هو ايضا بالسهام والحراب بعد ان يجر في شـوارع أثينـا ، ويعرض على الجماهير الثائرة ، ويلطخ اسمه واسم أسرته بشر ضروب الفضيحة والعار . فظل لحظة تائها ولم يتكلم . وعندئذ دنت منه هسـتيا وصاحت بأعلى صوتها وهى تتفطر وتتلوى والدمع ينهمر من عينيها :

ـ أشهد الآلهة يا كرونوس على انى كنت أوثر ان يكون عقابك وعارك على يد غيرى . كنت احبك بل اعبدك يا كرونوس .

كنت استدرجك واتمزق . كنت احاسبك واتقطع . كنت ادينك وقلبى المفصم بالشفقة عليك يقطر دما . ولكنى كنت مجبرة يا كرونوس . كنت مواطنة قبل ان اكون امرأة ، وكنت اغريقية قبل ان اكون انثى وعاشقة . كان يجب ان اضع واجبى فوق حبى ، وان اتجرد من كل رحمة واحب موتك يا حبيبى لاستطيع ان احب الحياة لوطنى ! ... فقدر موقفى يا كرونوس ولا تكرهنى . اشفق على شفقة استحقها ولا تبغضنى . لقد ارتفعت انا بحبنا الى عالم أسمى وابقى منا . فانظر انت ألى هذا العالم فقط ولا تنظر الى . انظر الى وطنك ولا تحقد على . كن نبيلا كما كنت فى ماضيك ، وكفر عن جريمتك مختارا واقبل عقابك . اقبل العقاب العادل واحتمله فى اقرار متواضع بذنبك ، أحس انا ان وطنيتك قد بعثت وضميرك قد اسـتفاق ، فأعبدك روحا أكثر ألف مرة مما كنت أعبدك جسـدا ، وأعاهدك على ألا أعـرف بعدك أى رجل ، وأن أدخل المعبد منذ السـاعة ، وأنقطع فيه عن الدنيا ، وانذر نفسى وحياتى لخدمة الآلهة حتى أموت ! ..

فاختلج كرونوس اختلاجا عنيفا ولم يجبها بكلمة . لم يلق عليها أية نظرة ، بل أشاح بوجهه وأجال بصره فى اوريون الناقم الحاقد ، وفى الفيلسـوف الهادىء المتأمل ، واستقر على والد هستيا الجامد الصابر . فاتجه نحوه ، واتأد فترة ، ثم قال فى صوت ثابت جهير :

ـ لا انكر شيئا مما تتهموننى به يا سـيدى . انا مقر بأنى قد فررت من الجيش وسرقت أسراره ، ومقر بأنى خائن لوطنى ومستحق للعقاب . ولقد ندمت كل الندم على جريمتى . ندمت من أعماق قلبى ولم أعد آمل فى أكثر من أن يشفع لى ندمى عند الآلهة فتغفر لى فى العالم الآخر وترحمنى . ولكنى جندى يا سيدى ، جندى خدمت بلادى فى ساحة الحرب مرات ، وقاتلت فى بسالة وجرحت . فغاية ما أطلب الآن هو أن تجنبنى الفضيحة والعار . فاعطنى سلاحى أقضى به على نفسى بنفسى ، واموت كجندى لا كمجرم . هذا كل ما اطمع فيه يا سيدى . فلا تبخل على بهذه النعمة فى لحظتى الأخيرة وترفق بى ! ...

فاضطرب الكاهن ورمق الفيلسوف بنظرة . أما هسـتيا التى لمست فعل كلماتها فى نفس كرونوس ، والتى كان عـزاؤها الأوحد أن تراه يرتد الى حظيرة الوطن تائبا نادما متطهرا قبل أن تفقده الى الأبد ، فقد راعتها عبـاراته ، وبهرتها يقظة ضميره ، وأثلج صدرها فرط ندمه وتوبته . فاسـتضاء وجهها ، وتألقت عينـاها ، وانبعثت أمامها صـورة الفارس الوطنى البطل الذى كان بالأمس كل حياتها . فارتمت على والدها ، وتشبثت به وصرخت :

– ما جدواكم من تعذيب الرجل وتلويثه ؟ ... ما جدواكم من عرضه فى شوارع المدينة أمام الشعب الثائر ، ثم قتله بالسهام أو الحراب كأنه قاطع طريق ؟ ... ان أسرار جيشنا فى حوزة شقيقه ، وشقيقه أصبح الآن فى قبضتكم .

أما هو فقد رد الى نفسه اعتبارها بيقظته الخالصة وندمه العميق . فأنا ، أنا الذى مالأته واستدرجته وانتزعت لكم سره ، من حقى عليكم ، أن تدعونى أفصل فى القرار الذى يجب أن تنتهى بموجبه حياته ! ... لا ... لن يموت الرجل كمجرم ... لن يلطخ بالعار بعد أن استهول الجريمة وآمن بالوطن ... خذ سلاحك يا كرونوس ، واسترد ولو بعض كرامتك ، ومت على الأقل كجندى ... خذ ...

وانتزعت خنجره من صدارها ودفعت اليه به . فانحنى على الأرض وهو يتناوله منها . ثم رفع رأسه وحدق اليها . فالفت نفسها فجأة تجاه عينين واسعتين ضاريتين مثبتتين فيها . فاجفلت وتراجعت . ولكن كرونوس لحق بها . وقبل أن تتنبه هى أو يفطن اوريون أو والدها أو استاذها أو رجال الشرطة ، غافلها الشاب وهى مشدوهة ، وجذبها فى عنف اليه . وفى مثل خطف البرق أو وقع الصاعقة ، أخمد خنجره فى صدرها . ثم انتزعه وحاول أن يضرب به نفسه . فأسرع الجند وارتموا عليه ، ثم جردوه من سلاحه وكباوه ، بينما كان اوريون يطلق صرخة مدوية ، ويتلقى الفتاة بين ذراعيه ، ويرقدها على احدى الأرائك ، والفيلسوف وقد ملكه الذعر ، يهرع اليها ، وينادى الخدم ، ويطلب طبيبا ، ووالدها المسكين ينحنى عليها ويهزها فى تهافت وخبال ، ويصيح :

– هستيا ... حبيبتى هستيا ...

ولكن الفتاة التى كان ينزف الدم من صدرها ، زفرت زفرة مخنوقة أعقبها أنين أجش . ثم أرسلت نفسا عميقا سمع له اصطخاب أشبه بهدير موج . ثم اصفر لونها ، وغارت وجنتاها ، ولمعت عيناها الجاحظتان لمعانا ثابتا خاويا مخيفا لا أثر فيه لأى وعى بشرى . ففقد الوالد صوابه ، وصرخ وهو يضرب صدره بقبضته وينفجر بالبكاء :

– ماتت ابنتى ! ... ماتت هستيا ! ...

وأخذته أخذة مروعة من الحنق والكمد واللوعة . فتحول الى الجند ، وأشار الى كرونوس وصاح :

– لقد عاش خائنا وانتهى نذلا . فعذبوه ... عذبوه هو اليوم بالفضيحة أولا ، ثم عذبوا بها فى غد شقيقه الذى هو الآن فى قبضتكم ... اعرضوهما على الجماهير فى الشوارع ... مرغوهما فى حمأة الذل والتنكيل والعار ثم اقتلوهما بالسهام أو الحراب . فكلاهما أغلظ وأقسى من افتك مجرم قاطع طريق ! ..

فانقض الجند على كرونوس ، وجردوه من مئزره العسكرى وقميصه ، وانتزعوا من صدره شارات فرقته ، وكبلوا قدميه بالأغلال ثم ساقوه . فعاد الوالد وارتمى على جثة ابنته ، واردف مخبولا وهو يقبلها فى حرقة ويبكى :

ـ احملوها الى فراشها ... اغمروها بالزنابق والورود ... سيصلى عليها الكهنة هنا ... وستدفن هنا ... فى ضريح بيتى ... فى الضريح الذى دفنت فيه أمها . والذى لابد ان ترحمنى الآلهة وشيكا وتغيبنى أنا أيضا فيه ! ..

ومد ذراعيه المرتعشتين ليعاون فى حملها . ولكن اوريون ، اوريون الذى كان يتأملها ويختلج ، ويضم الى صدره جسدها البارد والدمع يطفر من عينيه ، تشبث بها ، وأحكم ضمها واعتناقها ، وصاح فى صوت غائر قاطع ، تمشت فيه شبه لوثة من جنون :

لن يجسر واحد منكم على أن يسلبها منى . انها الآن لى ... لى أنا وحدى ! ... لقد أحببتها وعبدتها كما لم أحبب وأعبد آلهتى ! ... فأنا الرجل الشقى ، أنا الرجل الدميم المحقر المنبوذ الذى وهبت كل ما أملكه لوطنى ، وكنت أتعس انسان برغم ثرائى ، ولم أشعر فى حياتى بأية نفحة من حب أو قبس من حنان ، ألتمس منكم ، بل أتوسل اليكم أن تعطونى هستيا ... لا تأخذوها منى ... ان مثلها لا يسجى على أرض فانية كجميع الناس ... يجب أن يصلى عليها فى المعبد لا هنا . انها منذ اليوم عذراء الوطن الخالدة . ولقد ماتت شهيدة . فالمقبرة الخليقة بها هى مقبرة المعبد المقدسة حيث ترقد من حلت عليهن معجزات الآلهة بالاس ، ومن اختلطت عظامهن بعظام خادمات الهيكل البتولات الطاهرات ... هناك مثوى ابنتك يا سيدى الكاهن . فلا تحرم الوطن من تقديسها ، ولا تحرمنى أنا منها ، فأنا سأقتدى منذ اللحظة بها . سأفعل ما كانت ستفعله هى من أجل رجل لم يستحقها . سأودع الدنيا فى سبيلها ، وأدخل المعبد ناذرا نفسى لخدمة الآلهة ، وأظل فى المعبد بجوار قبرها ، أحبها وأذكرها وأصلى ، حتى تحبنى هى ، وتنادينى ، فأموت وقد استوعبت روحها روحى كما يستوعب النور ظلمة الليل الحالكة ! ... فلا تكن أنانيا يا سيدى ، ومر بحمل ابنتك الى المعبد ...

وما كاد اوريون يتم خطابه ، حتى اهتزت جوانب البيت ، وتصاعدت من الخارج جلبة كبيرة . ثم شوهدت الجماهير التى علمت من رجال الشرطة بخيانة كرونوس واستشهاد هستيا ، تتقدم نحو البيت كالسيل الجارف ، وتصرخ طالبة تمجيد الشهيدة وحملها الى المعبد . فهتف اوريون والفرح يخنقه :

ـ هذا هو صوت الشعب !

فلم يسع الكاهن الا أن يسلم . فتقدم اوريون نفسه وحمل الجثة بمعاونة أستاذه ، وخرج موكب الشهيدة يتبعه والدها الشيخ ، وخدم الدار ، وطوائف الشعب التى كانت تهتف للعذراء المجيدة ، وتستنزل لعنة الآلهة على كرونوس ، وتفافل الجند وتقتحم نطاقهم ، كى تبصق فى وجه المجرم ، وتخدشه بأظافرها أو تضربه بقبضاتها أو تركله بأقدامها ، وهو يعرض فى الشارع ، عارى الصدر ، مكبل اليدين والقدمين ، يمسح بذراعه قطرات الدم التى تسيل من وجهه ، ويشهد عاره بعينيه قبل أن يضرب بالحراب ويموت

ولما دخل الموكب المعبد ، أقيم جثمان هستيا على منصة عالية عند قاعدة تمثال الآلهة بالاس ، وغطته خادمات الهيكل بالزنابق والورود وسعف النخل وأكاليل الغار التى كان قد جاء بها الشعب . ثم تقدم الكاهن الأعظم ، وقدم عليه والد الشهيدة ، وشرع يتلو صلاة الجنائز ، ومن حوله الشعب ينتحب وصغار الكهنة يحبسون دموعهم ويرتلون .

ولما صمت الكل فترة ، وانصتوا لسماع كلمة التأبين ، نهض الفيلسوف الذى كان قد تداعى من فرط الألم وجلس على احدى درجات المعبد ، وتمالك نفسه ، ووقف فى الجمع المحتشد ثم رفع ذراعه وقال :

ــ اخوانى وأبنائى فى الوطن الجريح ... منذ أن تحضر الانسان عز عليه أن يفنى جهاده . فصبت نفسه الى الخلود . أحس أن حياته الشخصية فانية . فآمن بالدين كى يخلد ، وآمن بالعائلة كى يخلد . ثم آمن بالوطن لأن الوطن هو الرمز الشامل المقدس لخلوده ، وخلود أصلابه ، وخلود جميع من تحملهم الأرض التى منها يتنفس وبوساطتها يعيش . ولكن الانسان قوى وضعيف ، باذل وأنانى . وهو دائم التأرجح بين مصلحته الخاصة ، وبين ما عليه من واجب نحو الوطن الذى يغدق عليه خيره والذى يكلؤه ويحميه . فبقدر ما يقهر الانسان أنانيته ، وبقدر ما يتفوق على ضعفه وغرائزه ، وبقدر ما يتألم ويبذل ويضحى ، يرتفع فى سلم التحضر ، ويتسنم ذروة الخلود الأسمى فى الحياة والموت من أجل وطنه وخير العالم . وهذا ما فعلته الشهيدة هستيا . لقد أحبت والدها وخطيبها بكل قوى قلبها وايمانها وشبابها . فلما صدمتها الخيانة وأيقنت من خطرها الداهم على بلادها ، أنكرت بنوتها ، ثم قهرت حبها ، **ثم غالبت النعيم الباطل الذى كان فى متناول يدها ولم تتردد فى تسليم حبيبها الخائن الذى حاولت مع ذلك أن تهديه فقتلها .** فهذه الفتاة وضعت كرامتها فوق حبها ، ووطنها فوق نفسها ، وخلودها فى الوطن الباقى فوق نعيمها فى دنيا الحب البشرى الفانية . فاتخذوا منها مثلا حيا لكم . قدسوها ما حييتم . واعلموا أن النصر لو حالف فى معركة الاستقلال قائدكم وزعيمكم ، فسيرجع الكثير من الفضل فيه الى الشهيدة الباسلة التى ماتت من أجلكم !

فانحنت الجماهير فى خشوع ورددت :

ــ المجد للوطن ! ... المجد لهستيا ! ...

فتقدمت خادمات المعبد ، ورفعن الجثمان وسط عاصفة من الهتاف ، وحملنه الى المقبرة المقدسة القائمة تحت حرم الهيكل ، بينما كانت الجماهير تندفع نحوه وتتألب عليه ، كى تلمسه وتتبرك به قبل أن يغيب عن أعينها ويستقر فى مثواه الأخير .

وانتهت الصلاة وانصرفت الجماهير شيئا فشيئا . ولكنها لم تغفل عن القيام بالواجب المفروض عليها نحو أسرة الشهيدة . فانطلقت فى الشوارع تجمع زنابق وورود وأكاليل غار أخرى ، لتحملها الى الكاهن الأول تعزية له وتمجيدا للبيت العتيد الذى ولدت فيه هستيا .

وساد الصمت فى المعبد . فارتعش اوريون الدميم وظل ينظر فى سكون الى حجرة المقبرة . نظر الى قلبه ، الى روحه ، الى أمله ، الى حلمه العظيم الذى استحال فى مثل لمح الطرف حقيقة واقعة . فانخلع بدنه وأومضت عيناه ... أحس فرحا عاتيا غمره وأذهله وأنساه حياته البائسة كلها . فلم يتمهل وتقدم . تقدم لفوره . تقدم وهو تائه ونشوان ، وعانق والد حبيبته ، ثم عانق أستاذه ، ثم صارح الكاهن الأعظم بما اعتزم عليه . ولما أجابه الكاهن الى سؤاله ومنحه بركته ورضاه ، خلع اوريون نعليه ، وتمتم صلاة قصيرة . ثم مشى كالمؤمن المجتبى، ودخل حرم الهيكل الذى تنهض تحته المقبرة التى دفنت فيها هستيا . وهناك حيث آلى على نفسه أن يعيش ويموت ، **ارتمى على سطح المقبرة المقدسة ، وبسط ذراعيه الملهوفتين كأنه يحتضنها ، ثم قبل أرضها الطاهرة وبكى .**

وعندئذ فقط أحس أن موته عن الدنيا هو الحياة ، وانه الآن مكتمل السعادة كالأرباب ، وأن هستيا قد أصبحت حقا له وحده ، وان من المحال أن ينازعه فى حبها بعد اليوم انسان .

* * *

ولم يفلح الفرس فى الوقوف على أسرار جيش الاغريق ، ولم تنشب أية ثورة داخلية بعد مصرع كرونوس وشقيقه وعصبة المتآمرين . فاطمأن القائد الزعيم ملتيادس ، وتأهب لمعركة الاستقلال الفاصلة فى سهل ماراتون . فطاف بجنوده قبل المعركة ، وأثار حميتهم بذكر ما أقدمت عليه هستيا عذراء الوطن الشهيدة الخالدة ، ثم اطبق بجناحيه القويين على جيش الفرس . **فمزق صفوفهم ، وما زال بهم يتعقبهم ويطاردهم حتى حطمهم تماما وألقى بهم فى البحر .**

فهرس

فى هذا العدد